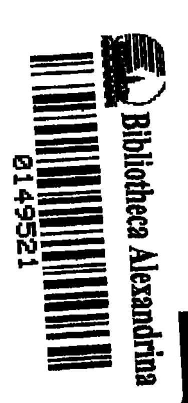
إحسان عبد القدوس .. يتذكر

د. أميرة أبو الفتوح







إحسان عبد القدوس .. يتذكر

د. أميرة أبو الفتوح



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٢



احسان عبد القدوس .. أستاذا

بقلم كامل زهيرى

بدأت مع احسان عبد القدوس فى روزا ليوسف منذ اكثر من ربع قــــرن .

وكان احسان اسما لامعا جدا . وكان اسمى مجرد اسم ثلاثى فى بطاقتى الشخصية . وتعلمت منه الكثير . واهم ما اكتشفته واحببته .انه يؤمن بالحرية الفكرية والفنية . وانه لم يعرض على رأيا . ولذلك تعلمت منهوانا اتمتع . ومدرسة احسان هى مدرسة الكتابة فى الهواء الطلق . ولايعرض فيها الاستاذ على تلاميذه استاذيته . والمتعة إنه لايضع مسافة بينه وبينهم . ولأن ذكــاءه من البدع العاطفى فهـــو يتسسلل الى قلبك وعقلك بموهبة ولطف .. تماما كما يفعل فى رواياته مع قرائه .

ولذلك لم يكن العمل مع احسان مجرد تلمذه . بل كان مشاركة ومتعة .

ولهذا دخلت مدرســة احسان أسماء عديدة بدأت مجرد أسماء ثلاثية فى البطاقات الشخصية ، او شهــادات الميلاد ، وتخرجت اسماء لامعة قوية .

واحسان عبد القدوس عاطفى الذكاء . لأنه فنان . مضطرم وجياش وهو عنيد لكنه لا يعرف العنف الا فى العاطفة . واستاذيته موهبة . وهى تختلف عن أستاذية الذين يحبون وضع التقديرات لتلاميذهم ، ويحبون أن يفرضوا أو يفترضوا أستاذيتهم .

واحسان عبد القدوس استاذ لكثيرين دون فرض او فروض طاعة ٠ وهذا هو الفارق بين الأستاذ بطبيعته والأستاذ بوظيفته ٠ وهو نفس الفرق الدقيق بين الرجل الأنيق والمتأنق٠فالأنيق ينتخب ألوانه الهامسة دون أن يجرح النظر ٠ أما المتأنق فهو الذى يصرخ بألوانه الفاقعة أو الملفتة ٠

وقد تعلم أكثر أبناء روز اليوسف من احسان عبد القدوس اثناء العمل ٠ ومن طريقة عمله ٠فقد كان يتخذ من روزا اليوسف محله الممتاز٠ ويجلس الى مكتبه بالساعات ٠ ويحضر كل صباح فى الحادية عشرة حتى الثالثة٠وينام القيلولة ٠ ثم يعود فى الثامنة ليبقى حتى الثانية صباحا٠ ولم أدخل عليه الا وجدته غارقا فى الكتابة أو بين اليقظة والاغماء كأنه منذ لحظات قد انتشل نفسه عنوة من العمل ٠

وظللت عشرة اعوام متصلة أكتب فى روزا وصباح الخير ـ بعد انشائها ـ فى وقت واحد وبكميات وفيرة ٠ لان احسان لم يكن يحاضرنا عن أهمية العمل ٠ بل كان يعطينا القدوة ٠ بأن يسبقنا فى الكتابة ، وفى الوفرة ، وبموهبة اكثر معقلا ٠

واحسان يكره المواعظ ٠ وهو لايجيد كثيرا الحديث ٠ لان لسانه فى قلمه ٠وخلال عشر سنوات افشى لى ببضعة نصائح قليلة ٠ وكانت النصيحة الأولى التى قالها لى احسان قد حكاها لى فى صورة قصة قصيرة ٠

قال لى ان محمد التابعى الجد الأكبر لمدرستى احسان ومصطفى أمين كان يشرف على تحرير آخر ساعة ٠ وكان احسان قد ترك روز اليوسف فترة ليعمل مع التابعى وكان لا يزال محررا صغيرا ٠ وكان التابعى يدق الجرس ليطلب احسان من آخر الصالة٠فيهرع احسان وقلبه يدق بعنف٠ يخشى أن يكون ما قدمه الى أستاذه ركيكا ٠ فيجد وجه التابعى الطويل ممطوطا ٠

ويقول التابعى :

ـ احسان ٠٠ لقد نسيت فى مقالك أن تضع نقطتين فوق التاء ٠ ونقطتين تحت الياء ٠

وصدقت قصة احسان ٠٠ لاننى كنت أعرف خطه ٠٠ وأرى مقالاته قبل ارسالها للمطبعة ٠ ولعله الكاتب الوحيد الذى يعتنى بأن يضع النقط فوق الحروف ٠٠ وهو لا يزال أكثر الكتاب أناقة فى خطه ، وأشدهم عناية بما يكتب ٠

وهذه القصة القصيرة جدا مغزاها أن العمل فى الصحف ـ رغم السرعة يستلزم العناية • فالصحف كالحدائق تذبل من غير عناية مستمرة وهى كالزهور الرقيقة سريعة التلف أو كالثمار سهلة العطب • والأصل أن المجلة لسيت سلعة تبيعها لقارىء عابر • بل هى هدية لقارىء دائم يحبك أو يثق فى رأيك •

(٢)

ومن خلال عشرتى لاحسان فى روزا لم أحس كثيرا ودائما انه صاحب عمل • وأحسست أكثر انه صاحب مدرسة تحتاج الى الحرية والموهبة ثم الدأب •

وقد يرجع ذلك الى أن روز اليوسف لم تحفل أن تصبح مؤسسة رأسمالية كبرى • ولا أن تتحول الى صناعة ثقيلة ، تستند على الطباعة وتعتمد على الاعلانات • وظلت روزا كما بدأت مجلة رأى • تعتمد على الصناعة الدقيقة • أى على النقد فى الفن أو السياسة • ولذلك كانت وكرا رائعا لمواهب الكاريكاتير • وكانت عشا طبيعيا للموهوبين فى القصة والرواية • وأخرجت عددا لا يحصى من المواهب الفنية والشعرية والسياسية •

وكانت روز اليوسف من ١٩٢٥ الى ١٩٥٥ ضعيفة الادارة • وكان المدير « العام » محاميا غير متفرغ للادارة • وكانت أهم خزينة مالية فى حقيبة السيدة الجليلة فاطمة اليوسف • وأثبتت روز اليوسف خلال ثلاثين عاما معجزة أن تعتمد على القارىء أى على التوزيع • وهذا ما جعل احسان حساسا جدا لما يقوله القراء عن المجلة • وكان يؤمن أن ثقة القارىء هى أكبر جائزة يمكن أن يحصل عليها أى صحفى •

وقد ظهرت روز اليوسف عام ١٩٢٥ ، أى بعد دستور ٢٣ بعامين• وكان قد ظهر القارىء الناخب الوطنى والحزبى الذى يريد أن يشارك فى الحكم ، وأن يضع الأمة فوق الحكومة • والحق فوق القوة • ومع ظهور هذا القارىء الجديد ظهرت مدرسة روز اليوسف الصحفية بقيادة محمد التابعى الذى أنزل الكتابة الصحفية من عرش الأدب والبلاغة ، وخلصها من السجع السياسى ، وطنطنة الخطابة ، يظهر نوع جديد من الكتابة السهلة والسلسة ••

واحسان هو الحفيد الفنى لهذه المدرسة الصحفية . وقد زاد عليها بفنه الساخط أو السافر . ومن نصائحه القليلة لى أن من الكتاب من يعقد السهل . وهناك من يبسط الصعب . وقلت له ان الألمان يعقدون الفلسفة . وأن الفرنسيين يسهلون الأفكار المعقده . فقال :

ـ أفضل الفرنسيين فى اسلوبهم .

وكان احسان عبد القدوس فى الخمسينات حريصا على أن تقـدم للقـارىء أصعب الكتب وأعقـد المذاهب بأسلوب سهل وسلس . وفى روز اليـوسف قدمت مذاهب غريبة كالسيريالية والفوضـوية والعدمية والوجودية ومذاهب القافيين والمغضوب عليهم فى الأدب والفن . وكان احسان يشجعنى الى حد اننى لم أطلب فى حياتى منه علاوة . لانه كان يسبقنى بذكائه فيقترح الزياده . وكان يقول :

ـ وستأخذ بالباقى « مجدا » .

ولم يكن أقدمنا يحس أن هناك أمجد من أن تكتب وتنشر ويحيطك جو من حنانه العاقل .

(٣)

والحديث عن احســان قبل ثورة ١٩٥٢ وبعدها حديث طويل .. تكشف اعترافات احسان فى هذا الكتاب كثيرا من أسراره . وهو يتحدث باخلاص عن حملاته العنيفة على الفساد . فى الأدمغة والأسلحة . وعن فشل الأحزاب والبـاشوات . وأزمة ١٩٥٤ التى قادته الى السجن . وأزمات كثيرة قبل ١٩٥٢ قادت المجلة للمصادرة . ويحكى العلاقة الصعبة مع ثورة ١٩٥٢ . واحسان من المؤمنين بهذه الثورة لأنه مهد لها مع غيره من كتاب الوطنية المستقصين فكرا وروحا . وقد ظل احسان حريصا مع استقلاله الفكرى ، فتعرض لفكرة التجربة والخطأ . وكان نصيبه أحيانا التكريم ، أو السجن ، أو الابعاد ، أو السماح له بالصمت .

واحسان سياسيا كاتب عقائدى لا مذهبى . لأنه لم يسجن فكره فى مذهب أو حزب وهو حريص على استقلاله الفكرى لطبيعته الفنية ، وهو موقف صعب ، لأن الحكومة لا ترضى عنه عادة ، وباستمرار ، وهو بين سخط الحكومة وكيد الغلاة يشق طريقا صعبا .

ولحسن الحظ أن احسان عبد القدوس وجد نفسه في القصة والرواية . وكلما كانت تضيق أمامه الأبواب في السياسة كان يلجأ الى الرواية . ولانه أيضا صحفي فهو الروائي الوحيد الذي كان يكتب مانشيتات لرواياته يضعها في براويز بمجلته . وهو يشبه روائي القرن التاسع عشر في فرنسا ، مثل زولا دموموباسان ، والذين كانوا يكتبون في الصحف الروايات النهرية وهو اسم يطلق على الروايات المسلسلة المتدفقة التي كانت ترفع التوزيع . وقد اصطدم احسان بنقاد ينتقدونه بمذاهب جامدة.وصدم نقاده برواجه الذي لا يتمتع به كاتب آخر .

ويستحق الحديث عن احسان قصاصا وفنانا حيزا أكبر.ولكنني آثرت أن أكتب عن احسان أستاذا لي ولكثيرين في الصحافة . لهذا فانني أشكر الدكتورة أميره أبو الفتوح أن اتاحت لي فرصة كتابة هذه السطور . فقد يكون فيها بعض الوفاء لاستاذي الذي علمني متعة الكتابة في الهواء الطلق !



احسان عبد القدوس الانسان - احسان عبد القدوس الانسان - احسان عبد القدوس الانسان احسان عبد القدوس الانسان

إحسان عبد القدوس

الإنسان



١ ـ احسان ٠٠ والمتناقضات

احسان محمد عبد القدوس أحمد رضوان وهذا هو اسمه بالكامل ـ نشـأ فى بيت جده لوالده المرحـوم الشيخ أحمد رضـوان وكان من خريجى الجامع الأزهر ويعمل رئيس كتاب بالمحاكم الشرعية وهو بحكم ثقافته وتعليمه متدين جـدا وكان يفرض على جميع العـائلة الالتزام والتمسك بأوامر الدين وأداء فروضه والمحافظة على التقاليد بحيث كان يحرم على جميع النساء فى عائلته الخروج الى الشرفة بدون حجاب ٠٠

وفى الوقت نفسه كانت والدته الفنانة الكبيرة والصحفية اللامعة السيدة روز اليوسف سـيدة متحررة تفتح بيتها لعقد ندوات ثقـافية وسياسية يشـترك فيهـا كبار الشعراء والأدباء والسـياسيين ورجال الفن ٠٠٠

وكان ينتقل وهو طفل من ندوة جده حيث يلتقى بزملائه من علماء الأزهر ويأخذ جرعته الدينية التى ارتضاها له جده وقبل أن يهضمها يجد نفسه فى أحضان ندوة أخرى على النقيض تماما لما كان عليه ٠٠ انها ندوة روز اليوسف ٠٠

فماذا كان يرى أستاذنا احسان فى هذا التناقض ؟

يقول :

« كان الانتقال بين هذين المناخين المتناقضين يصيبنى فى البداية

بما يشبه الدوار الذهنى حتى اعتدت عليه بالتدريج واستطعت أن أعد نفسى لتقبله كأمر واقع فى حياتى ، لا مفر منه » .

ومن هنا يتضح لنا أحد المفاتيح الهامة فى شخصية كاتبنا الكبير ألا وهى المسالمة ، فالأستاذ احسان عبد القدوس انسان مسالم لأقصى درجة يؤمن بالقدر ويرضى به بل انه أكثر من ذلك يحاول دائما تطبيع الواقع طبقا لما يراه ويريده وهذه صفة تتناقض مع أهم صفاته على الاطلاق وهى الثورية وهذا التناقض يجعلنا نسلم منذ البداية أن الرحلة داخل احسان عبد القدوس ، هى ولا شك رحلة صعبة وشاقة حيث تتضارب وتتصارع المواقف وهذا التصارع والتضارب ربما ميز أستاذنا احسان عبد القدوس بميزات خاصة عن كل جيله ليس كأديب فحسب بل كسياسى أيضـــا ..

وربما لا يعرف كثيرون أن الأستاذ احسان عبد القدوس من أصل ريفى قح بعكس ما يعتقد الكثيرون عن نشأته الأرستقراطية !! فجده كان أول من هاجر الى المدينة من عائلته والتى لا تزال تقيم بكفر ممونة التـــابع لقـــرية شبرا اليمن بمركز زفتى محـــافظة الغربية وكان يقضى أجازته الصيفية فى القرية كأى تلميذ من أصـــل ريفى يعايش فيهـــا الفلاحين معايشة كاملة من ركوب الحمار الى الصيد فى الترعة أو حتى الاستحمام فيها اذا اقتضى الأمر وكان جده يحرص أشد الحرص على أن يبعده خلال أشهر الصيف عن القاهرة حتى لا يتصل بوالده الفنان محمد عبد القدوس الذى غضب منه وطرده من البيت بسبب اشتغاله بالفن !!

ومن هنا نستطيع أن نتصور مدى الحيرة التى يقع فيها طفل ينفره جده من الفن ويحببه والده فيه وتدفعه والدته للعمل العام ..

وكانت هذه التناقضات هى السبب المباشر فى صنع كاتب كبير أضاف الكثير للمكتبـــة العربية .. وربما لو لم يعش أستاذنا احســـان عبد القدوس فى هذا التناقض لما كنا استمتعنا به كاتبا روائيا وصحافيا قديرا وسياسيا لامعا ..

وعن هذه الفترة التى شكلت حياة الأستاذ احسان عبد القدوس يقول :

« لقد استطعت التوفيق بين هذه المتناقضات فى حياتى بحيث لم تفسد شخصيتى كانسان ولم تقض على مواهبى كفنان وأديب بالحب .. الحب هو الذى أعاننى على مواجهة كل هذه التناقضات فى حياتى الأولى

بل وطوال مسيرتي بعد ذلك .. كنت أحب جدى وكان هذا الحب يفرض علي كل أنواع الاحترام تجاه جدى العالم المتدين الزاهد في الدنيا .. كنت أحب قيم جدى وأفكاره بل كنت أعشق تقاليده التي كان يفرضها علينا .. وعلى الجانب الآخر كنت أحب أبي وأمي مدفوعا أولا بعاطفة البنوة ، ولقد دفعني هذا الحب الذى كنت أكنه للقطبين المتنافرين في حياتي الى التعمق في معرفة وادراك وجهة نظر كل منهما بحيث يمكنني الدفاع عنه في مواجهة الطرف الآخر » .

ومن هنا يبرز مفتاح آخر في شخصية أديبنا الكبير احسان عبد القدوس فهو يحترم وجهات النظر المختلفة ويحترم الرأى الآخر ويحاول أن يتعرف دائما على الدوافع التى تدفع الآخرين للاختلاف كما أن أستاذنا احسان حينما يعارض فانه لا يعارض لمجرد المعارضة وانما يعارض ليصل الى عيون الحقيقة .. وربما كانت هذه احدى العوامل التي دفعته لدراسة الحقوق ..

ومرة أخرى نعود للنشأة الأولى للأستاذ احسان عبد القدوس لنتعرف على المنابع الأولى التى كونت حياته الاجتماعية والتى كان لها أكبر الأثر فيما بعد ، على فكر أستاذنا احسان ومعالجاته الأدبية وحتى نتعرف على هذه المنابع لابد أن نتعرض للنشأة والظروف الاجتماعية التي تربى فيها والدا الأستاذ احسان الفنان محمد عبد القدوس ، والفنانة الصحفية فاطمة اليوسف ..

.... ونعود لنذكر أن والده محمد عبد القدوس نشأ وتربى في بيئة متدينة حيث كان والده أحد علماء الأزهر وكان يقطن في حى العباسية ، وهو نفس البيت الذى نشأ وتربى فيه الأستاذ احسان ..

أما والدته السيدة فاطمة اليوسف فقد ولدت في احدى قرى لبنان وعرفت اليتم والغربة منذ بداية حياتها فقد توفي والداها ، وأدركت الوحدة في هذا العالم المخيف واحتضنتها أسرة صديقة لأسرة الوالد الراحل وضمتها اليها كواحدة من بناتها وتقرر هذه الأسرة أن تهاجر الى أمريكا كما هو الحال دائما في لبنان وتستقل الأسرة ومعها الطفلة اليتيمة فاطمة احدى البواخر متجهين الى المهجر ، المجهول . ولكن يبدو أن القدر رسم لفاطمة اليتيمة حياة أخرى .. فحينما رست الباخرة في ميناء الاسكندرية لتتزود بالوقود والماء صعد الى سطحها صاحب فرقة مسرحية معروفة آنذاك هو « اسكندر فرح » لكى يودع الأسرة المهاجرة .. ومع

الأسرة شاهد الطفلة الصغيرة فأعجبه جمالها وحسن تصرفها ولاحظ نظرة الحزن والانكسار البادية عليها والتى كست الوجه الجميل الصغير بملامح مأساوية كبيرة واستطاع اسكندر فرح اقناع الأسرة بالتنازل له عن اليتيمة الصغيرة ليتولى هو تربيتها فى مصر ووافقت الأسرة بعد الحاحه ..

وانتقلت فاطمة اليوسف لعائلها الجديد (اسكندر فرح) وبدأت حياة جديدة ..

وفى القاهرة وفى بيت صاحب « الجوقة التمثيلية » اسكندر فرح تبدأ فاطمة اليوسف أولى خطواتها فى عالم الشهرة والأضواء عالم الفن الى أن تلتقى « بعزيز عيد » الذى استطاع أن يخلق منها نجمة كبيرة تجيد الوقوف على خشبة المسرح وايصال الفن المسرحى للجمهور ..أحس عزيز عيد بقدرات وامكانيات ومواهب فاطمة اليوسف فتولاها بالرعاية والاهتمام فعلمها القراءة والكتابة ..

وتتعرف فاطمة اليوسف على المهندس محمد عبد القدوس المهندس بالطرق والكبارى فى حفل أقامه النادى الأهلى وكان عبد القدوس عضوا بالنادى ومن هواة الفن . فصعد على المسرح وقدم فاصلا من المنولوجات المرحة . أعجبت به الفنانة الصاعدة روز اليوسف فأسرعت لتهنئته .. ومن هنا كانت البداية ، بداية اللقاء الذى جمع بين القلبين المتفقين على الفن وعلى الحياة واتفقا على الزواج...ولكن « تأتى الرياح بما لاتشتهى السفن » ...

فمحمد عبد القدوس هو ابن الشيخ أحمد رضوان العالم الأزهرى . فكيف يتزوج ابن من زهد الدنيا واتجه بقلبه الى الآخرة من ممثلة ؟! فثار الأب على الابن ثورة عارمة ، وحاول الأصدقاء والمعارف أن يوفقوا ما بين وجهتى النظر ولكن الأب أصر على موقفه .... وكذلك أصر الابن على موقفه . وتزوج محمد أفندى عبد القدوس من الممثلة التى أصبح اسمها روز اليوسف عام ١٩١٧ ويتبرأ الأب من ابنه الى يوم القيامة ويطرده من بيته ... ويستقيل الابن المتمرد من وظيفته الحكومية ويتفرغ للفن ممثلا ومؤلفا مسرحيا ..

ومع بداية حياتهما معاً يتلمس كل منهما ما فى الآخر من تناقض لشخصيته ، محمد عبد القدوس انسان يسبح فى دنيا الخيال لا يحسب حسابا لغده ، بينما روز اليوسف تعيش فى دنيا الواقع تعد لغدها قبل

يومها هكذا علمتها الأيام وغدرها ، كل شيء عندها أرقام تحسب وانتصارات تضاف لسجل حياتها ..

وتبدأ غيرة الزوج العاشق على زوجته الشابة الفاتنة التي تبحث عن المجد وتجرى وراء الشهرة والمال وتعمل كل هذه العوامل ما لم يستطع عمله الشيخ رضوان فتحكم عليهما بالفراق ويتم الطلاق بينهما في العام الثاني من زواجهما ، وكانت روز اليوسف حاملا في شهرها السابع .. وبعد شهرين تضع مولودها « احسان » في مستشفى الدكتور سامى بشارع عبد العزيز ..

ففى مطلع عام ١٩١٩ عام ثورة سعد التي هزت وجدان الشعب المصرى كله خرج الى الحياة ابن المتناقضات والثورات « احسان عبد القدوس » .

وفى نفس اليوم أيضا قرر الجد الشيخ رضوان نزعه من بين احضان امه التي رضيت مرغمة أن تتركه للجد حيث تتوفر له سبل الرعاية التي لن تستطيع هى أن توفرها له ، وقررت المضى فى طريق الفن حيث الشهرة والأضواء ..

وفى مذكرات الأستاذ احسان الخاصة التي يكتبها ليحتفظ بها لنفسه فقط ولا يطلع عليها أحدا ... كتب عن يوم مولده عام ١٩٤٦ يقول :

اول ينـاير ..

فى مثل هذا اليوم منذ سبعة وعشرين عاما ، وفى منتصف الليل تماما ، وبينما كان التاريخ يقلب صفحة الزمن من عام الى عام والعالم يرقص ويتبادل الانخاب والقبلات تحية لعام ١٩٢٠ ... وكان المصريون فى ثورتهم يحصدهم رصاص الانجليز ليخمد فى حناجرهم صوت الحرية والاستقلال دوت « واه ... واه » فى أذن الوجود تبشر بمولدى السعيد !! واستمرت حياتى الى اليوم ، صورة من ليلة مولدى : رقص ودموع !!

٢ ــ احسان فى بيت نعمات هانم

وهناك فى البيت الكبير ، بيت الجد ، يجد احسان عبد القدوس صدرا حنونا يعطف عليه ويرعاه ، هو صدر عمته التى أغدقت عليه من الحب والحنان بلا حدود ·· عاش احسان فى ظل جده يتعلم منه وفى ظل عمته يرتوى منهـا المودة والحب الى أن أصبح شابا يافعا وتجاوز عمره الثامنة عشرة ··· فقرر ــ وكان القرار فى غاية الصعوبة أن يعود الى أمه ليعيش معها ··

وعن هذه الفترة ··· يقول أستاذنا احسان عبد القدوس :

« كنت فى الواقع بين نارين ··· فأنا أحب عمتى حبا شديدا وفى نفس الوقت أريد أن أستمتع بالبنوة وأجعل أمى تستمتع بالأمومة · عمتى العظيمة لم تتخل يوما عن مسئولياتها تجاهى حتى بعد وفاة جدى الشيخ أحمد رضوان ارتبطت بعمتى عاطفيا وهى متزوجة من الأستاذ محمد فائق بوزارة المعارف وربة أسرة كبيرة وأم لثلاثة أولاد وبنت أحدهم الأستاذ أحمد سعد الدين الوكيل السابق لوزارة الثقافة والفنان الموسيقار ، وقد شعرت بصدق احساس عمتى وشعرت بتدفق عواطفها نحوى ··

فاذا كانت والدتى أعطتنى ووهبتنى الحياة فان عمتى ــ نعمات هانم رضوان ــ أعطتنى الاستقرار فى الحياة بلا ثمن وبلا مقابل سوى احساسها الأصيل بحب « ابن أخيها » وأملها فى أن ينجح فى حياته ·

وللتاريخ .. أريد أن أقول انه برغم تعنت جدى ضد أمى وبرغم تزمته الشديد الذى أدى الى انتزاعى من أحضانها لانها ممثلة ، وهو لا يريد لحفيده أن يعيش حياة أبيه فنانا وحتى لا ينشأ فى عالم عماد الدين ... برغم كل هذا فقد أحس جدى - حينما كبرت قليلا - أنه لا ينبغى أن أقاطع أمى فسمح لى أن أزورها يوم الجمعة من كل أسبوع ولكنى كنت أحس دائما بأنى مجرد زائر لأمى فقط كأى زائر ، كان بيت جدى فى العباسية وبالتحديد فى « حارة نصير » وكان بيت أمى فى « حارة جلال » بشارع عماد الدين حيث كانت أمى تقيم فى احدى شقق العمارة التى كان يملكها أمير الشعراء أحمد شوقى » ..

... كانت الأم تستقبل وليدها بكل الحب وبكل الحنان ... حنان الأم المحرومة من ابنها .. ولهذا فقد كانت تبذل جهدا كبيرا لتشعره بالسعادة وتعطيه من الحنان مخزونا أسبوعيا يعيش عليه الى أن يعاودها فى الأسبوع التالى ونتج عن هذا الموقف شعور تجسد لدى احسان بالأسى والحسرة والمرارة لأنه لا يعيش حياته كلها مع هذه الأم العظيمة ليتمتع بهذا الفيضان العظيم من الحب والحنان كل يوم بدلا من أن يتلقاه فى جرعة واحدة كل أسبوع !!

يتربى الطفل احسان عبد القدوس فى بيت جده يأخذ من حب عمته وينهل من حب أمه ولكن أين أبوه ؟! أين الأب فى هذه المرحلة الهامة من حياة الابن ؟

يقول الأستاذ احسان عبد القدوس :

« لا شك أننى كنت أحب أبى حبا بالغا .. كنت أعشقه لدرجة الافتتان ، وحينما أرسم لوالدى صورة فأرسمها وفى ملامحها القديسين الكبار أو أرى أبى كأنما هو أحد المتصوفين الكبار » .

المهندس محمد عبد القدوس كان يعمل بالطرق والكبارى سعى والده الشيخ الأزهرى رضوان لدى المسئولين لنقله الى الصعيد بهدف ابعاده عن طريق الفن ، وفعلا ينجح الأب فى نقله ولكنه يفشل فى ابعاده عن الفن اذ يعين ناظرا لمدرسة الأقصر الصناعية ولكن حبه للفن كان يشغل كل كيانه وتفكيره ولم تفلح الوظيفة فى ابعاده عن عشقه الفنى فاستقال من نظارة المدرسة وعاد الى القاهرة ولم يعد موظفا بوزارة المواصلات الا بعد مولد احسان بأيام قليلة وظل موظفا ومهندسا الى آخر أيام حياته حتى يضمن دخلا ثابتا يكفيه للانفاق على ابنه احسان وان كان فى الوقت نفسه ظل يعمل بالفن ..

هذا الفنان محمد عبد القدوس هو فى واقع الأمر ظاهرة تستحق الدراسة فهو كما ذكرنا ابن لأحـد علماء الأزهر الشريف يبغض الفن ويرفض عالمه ولا يسمح فى مجلسه للفنـانين اطلاقا على الرغم من انه كان من هواة الغناء وكان يدعو الى بيته عبده الحامولى وكثيرا من المطربين ليقيموا سهرات غناء قاصرة على الرجال فقط وكان له صديق يجيـد العزف على الناى وكان يعجب بعزفه ، هذا الصديق اسمه عبد القدوس وبلغ من شدة اعجابه به أن سمى ابنه على اسمه !! ولكن بعد سنوات ثار على ابنه وطرده من عالمه حين استهواه عالم الفن ويخرج الابن من بيت الأب ليجد نفسه غارقا فى بحور الفن مصارعا لأمواجها ... هذا الفنان يرفض الزواج بعد انفصاله عن روز اليوسف ويظل وفيا لها على الرغم من قصر فترة زواجه بها بل انه يفرض على نفسه عزلة عاطفية وصلت الى حد « الرهبنة » خوفا على ابنه من أن تؤثر على مكانته فى قلبه امرأة أخرى ولذلك كان الأب دائم العناية بولده احسان حيث أدخله فى البداية كتابا بالعباسية قبل أن يسافر الى ايطاليا عام ١٩٢٤ لدراسة فن التمثيل ثم يلحقه بعـد عودته بمدرسـة البراموني الأولية بالعباسية حيث ظل تلميذا بها حتى نقله الى مدرسة السلحدار الابتدائية فى « باب الفتوح » ليكون فى رعاية صديق للأب هو « محمد عبد الوهاب » مدرس الموسيقى والأناشيد بالمدرسة .

يقول الأستاذ احسان عبد القدوس عن هـذه المرحلة الهـامة من حيـاته :

« كان أبى شديد القلق على مستقبلى وقد اتضح ذلك فى كثرة نقله لى من مدرسة الى أخرى فكان كلما سمع عن مدرسة أفضل بادر بنقلى اليها ، وقد تنقلت فى خلال هذه الفترة بين مدارس البراموني الأولية بالعباسية والسلحدار الابتدائية بباب الفتوح والنيل الابتدائية بشبرا وخليل أغا الابتدائية التى أنزلنى ناظرها من السنة الثالثة الى السنة الأولى وأتذكر أن مدرس الموسيقى فى مدرسة السلحدار كان الموسيقار عبد الوهاب الذى حاول أن يعلمنى الموسيقى وضمنى لفرقة الأناشيد بالمدرسة ولكننى فشلت فشلا ذريعا » ..

٣ ـ احسان فى بيت فاطمة اليوسف

... وتمر السنون بالطفل احسان فى بيت جده الشيخ رضوان تحت رعاية عمته « نعمات هانم » مع السماح له بزيارة الأم والاقامة معها يوم الجمعة من كل أسبوع الى أن جاء أواخر عـام ١٩٢٣ حيث تزوجت السيدة فاطمة اليوسف من الفنـان زكى طليمات وكان عمر احسـان أربع سنوات ..

وقد أغدق عليه زوجها ـ بابا زكى كما يناديه احسان حتى الآن ـ حبا عظيما وحنانا صادقا كذلك أعطاه قيمة هامة هى الاحترام مما جعله ينسيه تمـــاما أنه زوج والدته » فذات يوم من أيام الجمعة التى اعتاد احسان أن يزور فيه والدته اعتدى عليه أبناء الجيران وهنا ثار الفنـان الكبير زكى طليمات ونزل الى الشارع حاملا شـومة ضخمة ليدخل فى مشاجرة عاصفة مع الجيران ..

وقد عرف احسان دائما بأنه ابن السيدة روز اليوسف وكان أحيانا يواجهه الناس بلقب « ابن الست » ..

ويقول الكاتب الكبير احسان عبد القدوس :

« صحيح أننى تمردت على لقب ابن الست الذى ظل يطـاردنى لسنوات طويلة ولكننى فى نفس الوقت لم أرفضه لأن أصحابه كانوا

يريدون بطريقة خبيثة أن ينسبوا كل نجاح أحققه وكل نصر أتمكن منه الى هذا اللقب وكأني مجرد كائن لبلابى النزعة يحسن التسلق على اسم أمه وعلى شهرتها وبذلك أكون بلا فضل فى أى شيء » ..

كانت هذه مشكلة تؤرق الأستاذ احسان عبد القدوس فهو يحب أمه بل وتعلم منها الكثير ولكنه كان يرفض تماما أن ينسب أى تفوق له لأنه ابن روز اليوسف ..

وعن هذه المرحلة يستكمل الأستاذ احسان الصورة فيقول :

« نعم أنا ابنها وتلميذها أخذت منها البدايات الجيدة ولكنى بعد ذلك قدمت اضافات لا يستطيع أحد انكارها ..

ففى مجتمع روز اليوسف الأم والمجلة .. عرفت حقيقة الطبقة الحاكمة ولكنها كانت معرفة سلبية عمقتها بعد ذلك عن طريق صداقاتى وعلاقاتى مع أبناء تلك الطبقة وكان بعضهم ينتمى لأقصى اليمين أو لأقصى اليسار كعائلات للوم والبدراوى وسراج الدين وغيرهم فأعطتنى تلك الصداقات رؤية فاحصة واعية لعقلية تلك الطبقة وبطريقة حياتها ولأسلوب تفكيرها ... وعن طريق روزاليوسف الأم رأيت الآلام التى عانتها لأنها رفضت الخضوع للسيطرة الحزبية ولأسلوب القهر ووسائل الاغراء المادى والأدبى التى تعرضت لها فعرفت أسلوب الأحزاب فى اضطهاد ضحاياها ، ولكن الى جانب هذه الدروس المستفادة من أستاذتى وأمى فاطمة اليوسف عايشت بنفسى التجربة ومررت بها فى أكثر من واقعة سواء وأنا طالب أو بعد تخرجى فى كلية الحقوق أو بعد تفرغى الكامل للعمل الصحفى » ..

واستمرت الحياة تداعب الطفل احسان فتقذف به يمينا تارة ويسارا تارة أخرى فنجد والده « محمد عبد القدوس » يلحقه عام ١٩٢٨ بمعهد الموسيقى العربية لدراسة الكمان ولكن الفتى يفشل ، فيتركه الأب يواصل دراسته الابتدائية الى أن يحصل على الشهادة عام ١٩٣٣ فيحاول معه مرة أخرى فهو يريد أن يصبح ابنه فنانا مثقفا وبأى ثمن فيحاول اقناعه بدراسة التمثيل وهو طالب فى السنوات الأخيرة من المرحلة الثانوية ويكاد احسان أن يقتنع لولا تدخل الأم والعمة معا لكى يبعدا احسان عن العالم الذى قاست منه الأم عن تجربة وخافت منه العمة عن سماع لما يدور فى محيط الفن وما يقع فيه من مآس ومحن لايقوى على

تحملها ابن أخيها ٠٠ ويقع احسان الطالب بمدرسة «فؤاد الأول الثانوية» بين مغناطيسية أبيه وأمه فكل من والديه يرسم له طريق المستقبل الذى يريده هو ويحاول بشتى الطرق جذبه اليه ٠٠٠ فنجد احسان يحاول كتابة الزجل والقصة استجابة لتوجيه أبيه ويحاول الاشتغال بالصحافة استجابة لتوجيهات أمه التى أرادته صحفيا وعن محاولاته فى الشعر نذكر منها ما يلى :

حبيتك ليه تسيبينى ... وتزيدى فى تباريح وجدى
وهويتك ليه تنسينى ... مين غيرى حبك بعدى
كيوبيد اتجنن من قلبك ... من هجرك لى وأسايا
حيسيب الصنعة عشان خطرك ... وحيقعد يبكى ويايا

٤ ـ لولا حبى الأول والأخير

بعـد أن اجتاز احسان دراسته الجامعية بنجاح وتخرج فى كلية الحقوق عام ١٩٤٢ اتخذ أهم قرار فى حيـاته فقد قرر أن يتزوج الفتـاة الوحيدة التى أحبها « لولا » وعنها يقول الأستاذ احسان :

« هى حبى الأول والأخير وقد لا يصدق الكثيرون هذا ولكنها الحقيقة فمنذ عرفتهـا فى مطلع عام ١٩٤٢ وكنت حينذاك طالبا بالحقوق وحتى الآن لم تستطع أى امرأة أن تزحزح مكانها فى قلبى !! فلولا ثقتها بى وأنا فى مستهل حياتى لما وجدت الشجاعة على الاستقلال بنفسى وهذا الذى جعل أمى تطمئن بقدرتى على المضى فى الحياة .. لقد أعطتنى « لولا » الصورة المثالية للزوجة التى تفهم دورها فى حياة زوجها والتى تستطيع أن تشكل هذا الدور تبعا للظروف التى يمر بها زوجها فى مراحل حيـاته المختلفة فقد عشنا ظروفا عصيبة وأياما صعبة ففى بدء حياتى كان دخلى لايزيد عن عشرة جنيهات وكانت رسالتها آنذاك وشغلها الشاغل هو البحث عن وسائل لتوفير حياة معقولة بهذا المبلغ البسيط ، وعندما تغيرت حياتى ، وأصبحت المشكلة الاقتصادية ليست مشكلة حياتى الأولى سارت زوجتى بذكاء لتغيير دورها فى حياتى ، من تدبير الوسائل التى تسهل لدخلى البسيط أن يكفينا حتى آخر الشهر الى حمايتى ككاتب عليه أن يعطى الكثير من وقته لقلمه ، من مشاغل الحياة اليومية التى تشغل بها كثير من الزوجات بال الزوج الذى يجب أن يتفرغ لما هو أهم من التفكير فى اصلاح

الثلاجة أو شراء لوازم البيت مثلا ··· وبالتدريج تحولت زوجتي برسالتها في حياتي الى وضع فريد ، أستطيع أن أشبهه بدور رئيس مجلس الادارة في حياة الشركة أو المؤسسة ، الأمر الذي يجعلني الآن قادرا على أن أقول ببساطة أن زوجتي هي رئيسة مجلس ادارة حياتي ، بل لقد نجحت بذكاء شديد في أن تأخذ كل اختصاصات مجلس الادارة مجتمعا رئيسا وأعضاء ! واذا كان مؤرخو المسرح الأوربي يعتبرون سترندبرج مثلا للضياع والشتات وقمة في التمزق النفسي والاجتماعي ، فان حياتي قبل أن أتزوج ، لا تقل فظاعة عن كل ما لاقاه هذا الأديب الضائع لولا أنني وفقت وبضربة حظ الى الحب الحقيقي الذي أعاد الى حياتي توازنها وهو ما أعتقد أن سترندبرج عاش يبحث عنه دون أن يلتقي به » ·

أجمل كلام من الممكن أن يقوله زوج عن زوجته قاله أستاذنا انصافا للحق لمن أحبها ·· ولكن ما هي قصة هذا الحب الذي يتحدث عنه بكل هذا القدر الوافي من الوفاء والاخلاص ·· وما هي ضربة الحظ التي قادته للحب الحقيقي ؟

يقول الأستاذ احسان :

« لقد كانت البداية مع طبق عاشوراء ! فقد كنا ليلتها في ليلة عاشوراء وذهبت مع صديقي أحمد جعفر لكي نوصل « طبق عاشورة » من صنع والدته الى أسرة صديقة لهم ووقفنا على الباب ، ولكن السيدة ربة البيت أصرت على أن ندخل « الصالون » لكي نأكل العاشورة عندها ، وكانت تلك عادة العائلات في العباسية تبادل الهدايا في المناسبات والأعياد · وفي الصالون رأيت صورة « لواحظ المهيلمي » فشغلتني نظرة البراءة والذكاء الحاد المطلة من عينيها ، عن طبق العاشورة اللذيذ الذي قدمته لي شقيقتها ربة البيت ، وسألت صديقي أحمد جعفر عن صاحبة الصورة وكانت البداية ! وقد عرفت فيما بعد أن زوجتي كانت موجودة عند شقيقتها في نفس اللحظة التي كنت مشدودا فيها لصورتها وأنها رأتني سرا وبادلتني على البعد نفس الاهتمام ، ومنذ تلك الليلة بدأت أهتم بتتبع أخبارها ، وأتعمد التواجد في المجتمعات العائلية التي يمكن أن ألتقي بها خلالها » ··

وهكذا يعترف لي الأستاذ احسان بقصة ميلاد حبه لزوجته ، ذلك الحب الذي قال انه حبه الأول والأخير ··· ولا أخفي عليكم سرا أنه لم يكن من السهولة بمكان كما قد يتصور البعض أن يحدثنا أستاذنا عن

ذلك الحب ، على الرغم مما يصوره في مؤلفاته الأدبية من قصص الحب ولغرام الى المدى الذى استغله أعداؤه ـ كما سيتضح فيما بعد ـ وهاجموه ووصفوه بأنه « صاحب مدرسة أدب الفراش » وأنه قصاص الجنس فى الأدب العربى المعاصر ٠٠ فأستاذنا كما يعرفه المقربون اليه انسان بطبيعته خجول لا يجيد الكلام على الرغم من أنه كاتب بارع فضلا عن أنه من المعروفين بالانطواء الشديد والحرص على ابعاد الأضواء عن حياته الخاصة ! ٠٠ ومن يطالع روايته « زوجة أحمد » التى اتجه فيها الى كتابة قصة زواجه وحياته الأولى نجده يعترف على نفسه ويقول :

« لا أجيد الكلام ولا أجيد المناقشة وأنى لا أستطيع أن أركز أفكارى الا فوق سن قلمى ٠٠ ولعلك تعلمين أنى منذ تزوجت أمك حتى اليوم وأنا أكتب لها كل شهر خطابا أقول لها فيه ٠٠ كم أحبها ، وأنها ترد على كل شهر بخطاب تقول لى فيه ٠٠ كم دللتنى ، وكم عبئا حملته عنى » ٠

وبعد عثور الشاب « احسان » على حبه الحقيقى وتأكده من صداه الايجابى لدى حبيبته ، يقرر القبض عليه حتى لا يفلت منه ويضمن بقاءه فى حياته للأبد ولكن تصادفه عقبة فماذا يفعل أمامها أنه مستعد ان يحطم أية عقبة تقف فى طريقه لحبيبته ٠٠

يقول الأستاذ احسان عن هذه العقبة :

« وصادفتنا فى النهاية مشكلة ٠٠ كلانا يحب الآخر وكلانا مقتنع بأنه وجد شريك عمره ٠٠ ولكن نظرة أسرتها لى لم تكن نظرة الرضا فضلا عن الاعجاب أو الترحيب ٠ ووجدنا أن الحل فى فرض الأمر الواقع على الجميع ، وفى عصر أحد أيام نوفمبر سنة ١٩٤٣ دخل المأذون الى بيت محمد التابعى ليعقد قرانى سرا على زوجتى ٠٠ وسقانا التابعى وكان أشهر عازب فى ذلك الوقت « شربات » الفرح وهو ينثر حولنا دعاباته الساخرة ، مما يتوقع حدوثه لكلينا من أمى ومن أهلها ، عندما تظهر حقيقة « العملة » التى « عملناها » ثم استأذنت لولا لنعود الى بيت أسرتها وظللت أنا فى بيت التابعى الذى كنت أقيم عنده بعد خلاف وقع بينى وبين أمى » ٠٠

ولكن هل هذا الزواج السرى حقق له كل ما كان يتخيله من سعادة وراحة ٠٠

يقول الأستاذ احسان :

« كنت واهما حين تصورت أن زواجي سرا من حبيبتي ، سيضع حـــدا لمتاعبي ... صحيح ان قلقي النفسي انتهي وأن احساسي الدائم بالوحدة والاغتراب النفسي عن كل ما حولى قد زال وتلاشي . وصحيح أنني وجدت أخيرا الانسانة التي تفهمني وتحس بكل ما في قلبي ، قبل أن أفتح فمي بكلمة واحدة ولكنني وجدت أمامي مشكلة فظيعة يتحتم على أن أصل الى حل عاجل لها قبل أن أصل الى سعادتي في بيت يضمني مع زوجتي ، فلم يكن مرتبي من مجلة روز اليوسف يزيد عن اثنى عشر جنيها في الشهر ، تضاف اليه خمسة جنيهات كنت أتقاضاها كمحام تحت التمرين من « ادرار قصيرى » وهو دخل لا يسمح لى بفتح بيت واقامة أسرة مستقرة ماديا » ..

قد لا يعلم الكثيرون ان الأستاذ احسان حين تخرج في كلية الحقوق عام ١٩٤٢ قد التحق كمحام تحت التمرين بمكتب واحـــد من أشهر المحامين آنذاك وهو « ادوار قصيرى » ولكن طبيعته كشخص خجول ، لا يجيد الكلام والمناقشة والمحاماة مهنة الحوار والصراع بالمواجهة لا ينجح فيها رجل يتسم بهذه الصفات وان كان قد وفق في « كتابة المذكرات القانونية » فان محامي المذكرات في ذلك الوقت يجب أن يكون من عمالقة المهنة الذين تمرســـوا بالعمل وبلغوا من ذيوع الشهرة في الوســط القضائي بحيث تفتح شهرتهم الأبواب أمام مذكراتهم .

وعن هذه الفترة يقول أستاذنا احسان :

« كنت محاميا فاشلا لا أجيد المناقشة والحوار وكنت أدارى فشلي في المحكمة اما بالصراخ والمشاجرة مع القضاة ، واما بالمزاح والنكت وهو أمـر أفقدني تعاطف القضـــاة بحيث ودعت أحلامي في أن أكون محاميا لامعا » ..

وتنزوى أحلام المحاماة في خياله الى لافتة صغيرة يعلقها على باب حجرة بمجلة روز اليوسف عليها عبارة « احسان عبد القدوس المحامي » وظل يوقع بهـــذا اللقب المقترن باســـمه على جميع مقالاته وتحقيقاته الصحفية عدة سنوات وكأنه يعزى نفسه لنفسه أيضا على فشله في هذه المهنة وفقدانها للأبد !!

٥ ـ احسان والزواج الزائف

لم يمض أكثر من ثلاثة أشـــهر حتى عرفت أسرة المهيلمى بهـــذا الزواج . يقول الأستاذ احسان :

« لاحظت أخوات « لولا » البنات شيئا ما بينى وبينها ولكن لم يخطر ببالهن اطلاقا اننا متزوجان فضيقن الخناق عليها وشيئا فشيئا منعوها من الخروج واستدعونى وأخذن يقنعننى أن أبتعد عنهـا ولا داعى اطلاقا لفكرة الزواج .. فغلت الدماء فى عروقى فأخبرتهن فى الحال أننا تزوجنا منذ ثلاثة أشهر فأغمى على أختها الكبرى فى الحال ..

كان لابد أن يعترفوا بالأمر الواقع ولكى تبدو الأمور طبيعية أمام النـاس عملوا كتب كتاب صـورى وأحضروا نفس المأذون الذى عقـد قراننا . ووقفنا لالتقاط الصور كأى عروسين يوم زفافهما » .

وهـكذا انتصر حب احسان على مجتمع زوجته .. ويقف الجميع مناصرين لهذا الحب العظيم .. الا السـيدة فاطمة اليوسف التى كانت رافضة لزواج ابنها لصغر سنه فقط ولم تحضر الفرح ..

ولكن والده « محمد عبد القدوس » يشعر بسعادة لا مثيل لها ، فهو مقتنع بابنه غاية الاقتناع وكل ما يفعله ابنه على صواب فهو مدرك أن ابنه لديه من المسئولية ما يعينه على السير فى هذه الحياة .. فيتنازل طائعا عن شقته الصغيرة وهى كل عالمه ودنياه ، لابنه احسان ليبدأ حياته

الزوجيــة بها ، بينما ينتقل هـو للاقامة مع أختـه فى منزل الجـد بالعباسية ..

قبل أن نترك حادثة زواجه الطريفة هذه نكون قد وضعنا يدنا على أهم مفتاح فى شخصية أستاذنا وهى « الثورية » تلك الثورية فى اتخاذ القرارات والتى تجلت بوضوح فى موضوع زواجه .. وهى التى جعلت منه صحفيا جريئا ومفكرا خلاقا كما سنرى فيما بعد ..

ولكن هل أحس الصحفى الشاب بالسعادة الكاملة وهو يقيم بتلك الشقة بعد أن أعطته زوجته الأمان والاستقرار النفسى والاجتماعى الذى طالما حرم منه لسنوات طويلة قضاها فى التنقل بين بيت أمه وبيت جده وبيت أبيه وبيوت أصدقائه وبيت عمته والبنسيون .. وما عاناه خلال هـذه السـنوات من التمزق النفسى والصراعات الحادة وهو يرى هـذا التناقض الصارخ بين هذه المجتمعات الى المدى الذى أصابه ــ كما يعرف المقربون اليه ــ بنـوبات عصبية ، يفقد فيها شعوره ، فيشد شعره ويمزق ملابسه ، حتى يسقط على الأرض غائبا عن الوعى ، فاذا ثاب الى رشده شعر بالراحة النفسية بعد المجهود البدنى الذى بذله ونفس به عن حالات الكبت النفسى التى يختزنها فى أعماقه ..

وقد ظلت هذه النوبات العصبية تحل به حتى أرقدته فى الفراش وهو فى السابعة عشرة من عمره ثلاثة أشهر كاملة لم يتخلص منها ــ كما قال لى ــ الا بعد أن قرأ القرآن ثلاث مرات متتالية استجابة لنصيحة .

بالطبع لم يشعر الأستاذ احسان بالسعادة الكاملة فى بيت أبيه بحى عابدين ، فهو يريد أن يوفر لزوجته حيـاة كريمة مريحة فيهـا استقرار مادى لا تقل عن الحياة التى عاشتها فى بيت أسرتها .. فزوجته هذه التى أعطته كل الحب والحنان وضحت من أجله بكل شىء ، فهى التى كانت تهرب خلسة من بيت أهلها لتذهب للبنسيون الذى يعيش فيـه «احسان» وتطبخ له وتغسل له ملابسه وحينما تطمئن عليه تتركه وترجع بيتها ثانية ... هذه الزوجة المضحية المخلصة لابد أن يوفيها حقها .. ولكن كيف...وأين السبيل لذلك ومرتبه من الصحافة محدود لايتجاوز اثنى عشر جنيها فى الشهر ودخله من المحاماة شبه معدوم ؟

ويروى الأستاذ احسـان كيف واجه تلك المشكلة العسـيرة فى حياته ... وهو الذى اعتاد على خوض المعارك بكل شجاعة ، بحيث أصبح لا يطيق الحياة بلا معارك ... على الرغم مما قد يبدو عليه الآن أمامنا من

هدوء ظاهرى فيقول : « ذهبت الى التابعى وطلبت منه العمل بآخر ساعة ، فرحب بى ، وقرر أن يكون مرتبى كسكرتير تحرير خمسة وعشرين جنيها ••• قبلتها على مضض لانني اعتبرتها رشوة منه لأبن الست » ••

ولكن هل رضيت زوجة احسان بما عرف عنها من ذكاء شديد بأن يعمل زوجها مجرد سكرتير تحرير لمجلة آخر ساعة •• بالطبع لا •• فقد رأت الزوجة الذكية أن المكان الطبيعى لزوجها انما هو فى مجلة أمه « روز اليوسف » وليست فى آخر ساعة التى تنافسها •• فتلح عليه فى العودة للعمل مع أمه راضية بمبلغ لا يتعدى الاثنى عشر جنيها رافضة مبلغ الخمسة والعشرين جنيها ••• ويستجيب احسان لالحاح زوجته ••• ويعود الضيق المالى ••• ولكن هل يسكت « احسان » الثورى ويرضى بتلك الحياة المتواضعة التى يعيشها مع زوجته فى حى عابدين المتواضع بما يشوبها من أزمات مالية ••• ويعلن انهزامه فى معركته الكبرى التى خاضها من أجل زوجته الوفية • تلك الزوجة التى دفعها الحب والعقل والقناعة والوفاء الى الرضا بشقة متواضعة •

وهنا أحس احسان أن واجبه يحتم عليه أن يثبت لها أنها لم تخطىء أبدا ولن تندم عندما اختارته من دون الرجال ، لكى تمنحه حبها واخلاصها ، ويصمم الأستاذ احسان على الاستمرار فى خوض تلك المعركة التى بدأها عاقدا العزم على المضى فيها حتى نهايتها بكل ضراوة وشجاعة معتمدا على الله سبحانه وتعالى واثقا بأنه سيكلل سعيه بالنجاح ••

٦ ـ احسان وتجارة الأرز

قال لى الأستاذ « احسان » : « أنا انسان مستسلم لقدره الى حد السذاجة !! ولعل هذا راجع لظروفى الخاصة التى فرضت على أمورا لو لم أكن قوى الايمان بالله صادق التسليم بالقدر لما استطعت تحملها ... وهذا الايمان بالقدر جعل منى انسانا قد يبدو غريبا فى نظر البعض . لأنه « بلغة المصالح » لا يعرف كيف يستفيد من علاقاته !! ولو عرف هذا « البعض » أن قوة ايمانى بالخالق ، جعلتنى أستنكف طيلة عمرى أن « أطلب » لنفسى شيئا من بشر مثلى لاتضح لهم سبب هـذا الزهد فى مطالبى الدنيوية ، التى انحصرت طيلة عمرى فى مطلب واحد لم يتغير أبدا أن يكون فى يدى قلم ، وأن أستخدم هذا القلم فى هواية عمرى .. الكتابة !! » ..

ولذا فاننا نجد كاتبنا لا يسعى الى كبار الساسة والاقتصاد فى مصر لعله يجـد لديهم عملا يدر له كسبا ماديا سريعـا يحقق بموجبه ما يتمناه لزوجتـه الوفية من الاستقرار المادى الذى يوفر لها الحيـاة الكريمة ... وما أيسر على الأستاذ احسان أن يسلك هذا الطريق فهو « ابن الست » ذات الصيت اللامع فى عالم الفن والصحافة ... ولكننا نجده يرفض ذلك الطريق السهل بشكل قاطع ويتجه بدلا منه الى الطريق الصعب معتمدا على الله سبحانه وتعالى وحـده فنجده يعاود التفكير فى البحث عن حل لأزمته المالية .

فيقول لى « جاءتنى الفكرة وأنا جالس ذات يوم مع صديق لى باحدى المقاهى ··· ورأيته يتنقل بين مائدتين يتحدث الى الجالسين عليهما ، ثم يعود متهللا ليعلن لى أنه ربح خمسمائة جنيه من السمسرة فى صفقة أرز بين المائدتين ··· !! ··· وأطار الخبر صوابى !! وقررت فورا أن أشتغل سمسار أرز مستغلا اتساع نطاق معارفى . ولكننى فشلت فشلا ذريعا فى أول صفقة حاولت عقدها ، ورأيت أحلام الثراء تطير من يدى وأنا أتشاجر مع تاجر كنت أعرفه ، وأثبتت لى التجربة انه نصاب كبير ··· وقلت له رأيى بصراحة لا أحسد عليها » ··

ولكن هــل ييأس الصحفى الشاب احسان من ايجاد حل لمشكلته المادية التى يخشى أن تهدد عشه الصغير فى حى عابدين وبالتالى الخضوع للأمر الواقع وهو العيش بدخل لا يتجاوز اثنى عشر جنيها فى الشهر وهو كل ما يتقاضاه من مجلة روز اليوسف ··· بالطبع لا ··· فنجده يعاود التفكير مرة أخرى للبحث عن حل فيتبادر الى ذهنه لماذا لا يجرب الكتابة للسينما ، وهو بحكم نشأته ليس غريبا على الوسط الفنى فهو ابن الممثلة المشهورة « فاطمة اليوسف » وما أكثر ما عاش فى مجتمعها ··· ذلك المجتمع الذى تتزاحم فيه أعلام الأدب والفن والسياسة ··· والأجور فى السينما مرتفعة وهو لا يقل عبقرية عن عباقرة السينما المصرية فى ذلك الوقت !!

ويسترجع الأستاذ احسان هذه الفترة من حياته قائلا :

« كتبت سيناريو لفيلمين ، وذهبت بهما الى مكتب عبد الوهاب بعمارة « ايموبيليا » ··· لقد كان كل منا يعرف الآخر جيدا فضلا عن أنه كان أستاذى فى المدرســة الابتــدائية وفى مصعد العمارة التقيت بالمرحومة عزيزة أمير···وعرفت سبب حضورى ، وجلست تلتهم بعينيها مسودة الفيلمين فأخذتنى عنوة الى مكتبها بنفس العمارة ، ولم تتوقف حتى انتهت من القراءة ··· ودون أن تعطينى فرصة للكلام ، أخرجت دفتر شيكاتها ، وحررت لى شيكا بمائة وستين جنيها ··· بواقع ثمانين جنيها عن الفيلم الواحد ··· ورغم بساطة المبلغ ، الا أنه كان بالنسبة لى شيئا مذهلا ··· لقد كانت هذه أول مرة فى حيــاتى أقبض فيهــا مائة جنيه كاملة ··· وخرجت وأنا أرتعش من شــدة الانفعال ويدى ممسكة بالشــيك فى جيبى بطريقة تغرى أخيب نشــال بأن ينسف سعادتى ··· ووصلت الى بيتى مشيا على قدمى ··· كانت زوجتى فى حجرة النوم وفوجئت بزوجها الخجول ··· يتشقلب على السرير كامهر

بهلوان ··· وعندما عرفت الخبر أثبتت أنها لا تقل عن زوجها مهارة في عالم الشقلبة ··· وكانت ليلة لا تنسى في عمر حبنا الطويل » ··

وهكذا استمر صراع الأستاذ احسان مع الحياة من أجل توفير الحياة الكريمة لزوجته الحبيبة حتى وصل به الى منصب رئيس تحرير مجلة روز اليوسف كما سيتضح فيما بعد وهو المكان الذى رأته زوجته بعين الخيال حين طلبت منه أن يترك عمله فى آخر ساعة ويعود للعمل مع أمه فى مجلة روز اليوسف ··· هذه الزوجة العاقلة التى تحملت وقاست من الحياة الجافة حتى تساعد فى صنع نجاح زوجها . وتحملت أيضا عصبيته الزائدة ، فقد كانت رغبته فى الوصول للنجاح والحصول على المال تسبب له توترا عصبيا مستمرا وتجعله دائما باحثا عن العمل خارج البيت فاذا عاد اليه كان فتات انسان هدرت قواه !! تحملت كل هذا بحب ورضاء بالغين ··

وقد لا يعلم الكثيرون أن زوجة كاتبنا كان لها ارث عن أسرتها كان كافيا أن يوفر لها الاستقرار المادى وهما فى أشد حاجة الى المال ··· ومع ذلك يرفض الزوج احسان رفضا مطلقا أن يجعل زوجته تصرف ولو بقدر بسيط من هذا الميراث للوفاء باحتياجاتهما المعيشية وقد حاولت مرارا أن تقنعه بضرورة مشاركة المرأة ماديا للرجل فى الحياة ولكنها أبدا لم تفلح !!

وهنا يتجلى بوضوح الجذور التى نبت منها الأستاذ « احسان عبد القدوس » الذى تجرى فى عروقه الكرامة والشهامة ، فالأستاذ « احسان » رجل شرقى صميم يرفض أن تعوله امرأة ··· أيا كانت هذه المرأة ··

كما يوضح لنا هذا الموقف كيف يرفض كاتبنا الطريق السهل للوصول به للاستقرار المادى الذى يوفر لهما الحياة الكريمة ··· مختارا الطريق الصعب طريق الكفاح فى الحياة حتى يصل الى ما يصبو اليه معتمدا على نفسه فقط ، واثقا أن الله سبحانه وتعالى سيكلل عمله بالنجاح والتوفيق ··

ولذلك كان يرفض الانجاب فى هذه المرحلة الدقيقة والحاسمة في حياته ··

يقول الأستاذ احسان : « منذ تزوجت وأنا رافض ومشترط على زوجتي ألا يكون لدينا أطفال ونعذبهم معنا بهذا الدخل البسيط وكانت ولله الحمد متفقة معى فى ذلك المبدأ تمام الاتفاق وظللنا على هذا المبدأ الى أن وصل دخلى الشهرى ستين جنيها ، فقلت لزوجتى الآن فقط ممكن أن يكون لدينا ابن وأستطيع بكل ثقة وأمانة أن أوفر له الحياة اللائقة وفعلا جاء محمد ثم أحمد ··

وهذان الولدان يمثلان حياتى بالضبط ، فأنا دائما أقول عن نفسى أننى نصفين ، نصف خيالى وفنى صرف متفرغ لآرائى ومبادئى فقط ·· هذا النصف ورثته عن أبى الفنان « محمد عبد القدوس » وورثته بالتالى لابنى « محمد احسان محمد عبد القدوس » الصحفى بأخبار اليوم ··· يذكرنى بشبابى فى الصحافة . فهو مثلى ثورى وجرىء ولكن الفرق بينى وبينه أنى ظللت أرفض الانضمام أو التبعية لأى تنظيم ··· لكن محمد لم يستطع أن يصمد مثلى فهناك من يؤثر عليه وهو متدين جدا يذكرنى بجدى ، وحينما فكر أن يتزوج لم أتدخل مطلقا فى زواجه ولم يكن لى أى رأى ··· والحمد لله اختار فتاة فاضلة من أسرة الشيخ الغزالى ··· فزوجة محمد هى ابنة فضيلة الشيخ الغزالى ولهما طفل اسمه محمد أو مودى كما نناديه » ··

« أما نصفى الآخر فهو واقعى ، يعيش الحياة بحلوها ومرها ويعمل حسابا لذلك المر ، ذلك النصف الواقعى ورثته عن أمى السيدة روز اليوسف التى كثيرا ما حذرتنى من نصفى الآخر الخيالى ودائما كانت تقول لى « اوعى تطلع خايب زى أبوك ماعهوش ولا مليم » !!

هذا الجانب الواقعى الذى يعرف كيف يكسب أنتج المهندس أحمد الذى عين معيدا بكلية الهندسة وكان مرتبه ٢٧ جنيها ففكر بعقلية (جدته) الألكترونية فوجد أنه سيظل فى كنفى طوال العمر وسأظل أصرف عليه ، فسافر الى أمريكا بعد أن تعلم ادارة الأعمال فى مصر والتحق هناك بجامعة كاليفورنيا وأخذ ماجستير فى ادارة الأعمال فى عامين ··· إشتغل بعدها فى شركة كبيرة ، ومنذ هذا الوقت امتنع نهائيا عن أخذ أى مليم منى ، لأنى أنا الذى كنت متكفلا بجميع متطلباته الدراسية والعائلية هناك ··

وفى العام الماضى فقط ترك الشركة وفتح مكتبا باسمه هناك وأسس شركة أيضا باسمه وباسم زوجته التى تزوجها قبل سفره وهى كريمة الأستاذ الخبير البترولى الكبير توفيق شوقى ... كانت طالبة بالسنة الثالثة بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ودرست فى أمريكا وأخذت ماجستير .. ولهما طفلان كريم وشريف أحبهما جدا ... لقد قضيا معى الصيف الماضى وكنت ألعب معهما على رمال العجمى الجميلة وكانت أسعد اللحظات وأنا أراهما يتسابقان مع مودى على » ..

« كان يحكى لى عن أحفاده وأنا أنظر الى وجهه وهو ينفعل بالحب والحنان وأتأمل عينيه فأجد فيهما براءة الأطفال تزيدهما لمعانا فوق لمعان ... هذا هو كاتبنا الكبير ... أب وطفل فى آن واحد ..



احسان عبد القدوس الأديب - احسان عبد القدوس الأديب - احسان عبد القدوس الأديب - احسان عبد القدوس الأديب

إحسان عبد القدوس

الأديب

١ ـ احسان يقرأ القرآن

كان احسان يعد نفسه لأن يكون أديبا في يوم ما وبالتحديد كاتب قصة فأخذ يسلح نفسه بكافة الأسلحة التي تحقق له هذا الغرض ، فاتجه الى القراءة والبحث ابتداء من أوائل عام ١٩٤٠ وحتى نهاية دراسته الجامعية بكلية الحقوق بعد أن قرر الابتعاد عن محاولة التأليف المسرحي وكتابة الشعر كما سبق أن ذكرنا مختارا طريقا واحدا من أنواع الأدب لا يحيد عنه وهو أدب القصة ... وقد لا يعلم الكثيرون أن كاتبنا في طفولته الأولى كانت متعته الوحيدة هي القراءة وأحس والده « محمد عبد القدوس » بذلك فشجعه وأحضر له الكثير من قصص الأطفال لعله يتقرب بها الى قلب طفله الصغير الذي حرمه القدر من حب أبويه بدون ذنب جناه !!

ويقبل الطفل الصغير بكل شغف وشوق الى الاستمتاع بتلك القصص كالفارس باردليان ، ومغامرات روكامبول ، واللص الشريف ... الخ ... وهو سعيد بالجو الخرافي الذي تشيعه حوله أحداث تلك القصص التي يلتهمها ... فاذا اشتد به الفزع من هول مايقرأ ... استغاث بمربيته «أمي نبوية» كما كان يناديها كي تجلس معه في الحجرة ، بشرط أن تجلس صامتة لا تقطع عليه قراءته ، ولا تعطله عن اصدار ما يشاء من صيحات الفزع أو السرور حسب مقتضيات الأحوال ... وينمو مع الطفل حبه الوحيد للقصص ، وعالمها الخيالي ،

الذى يجد فيه كل ما ينقصـه فى عالمه الواقعى الخاوى من حنان أبويه الأحياء ٠٠ ولذا نجده قد اتجه على الفور الى دراسة أدب القصـة رافضا المسرح والشعر ٠٠

يقول الأستاذ احسان عن هذه الفترة : « أنا كأديب ٠٠٠ لم يكن لى مثل أعلى وانما سعيت الى أن أكون ما أستطيعه ككاتب ٠٠٠ ولكى أعد نفسى كأديب يكتب القصة بشكلها المعروف عالميا ٠٠٠ سرت فى خطين متوازيين فى وقت واحد ٠٠٠ وصل بى أولهما الى اتقان الشكل الفنى لحرفية « وتكنيك » كتابة القصـة وأخذت من الثـانى سلامة العبارة ، وموسيقى الجملة العربية » ٠٠

الخط الأول ، بدأ مع سنوات دراسته الجامعية بكلية الحقوق (من عام ١٩٣٨ الى ١٩٤٢) وكانت سنوات اضطراب وخلخلة أصابا العالم كله مع قيام الحرب العالمية الثانية ، ولم تكن الدراسة منتظمة بشكل تام ، لهذا وجد نفسه شبه متفرغ للدراسة الأدبية ، فقرأ بالانجليزية معظم ان لم يكن كل ما كتب فى الأدب العالمى من قصص من أول الهند واليابان حتى روسيا وانجلترا وفرنسا ٠٠٠ وقد أفادته هذه « الدراسة الحرة » لأدب القصـة العالمى ، فائدة لا حدود لها ، وفى مقدمة عمالقة القصـة الذين استفاد منهم « جى دى موباسان » ، و « أوسـكار وايلد » ، ثم « برنارد شو » الذى استفاد منه كأديب سياسى لاذع ٠٠

أما عن الخط الثانى فهو القرآن الكريم ٠٠٠ فهو مؤمن بأن الأديب الذى يكتب بالعربية ، لكى يستقيم له جمال العبارة وموسيقى الجملة ، يجب أن يوثق صلته بالقرآن قراءة ودراسة٠٠وهذا ما حدث له بالفعل ، فقد قرأ القرآن عشرات المرات بحكم نشأته مع جده العالم الأزهرى قرأه من باب التدين وحينما أصيب بحالة نفسية وهو فى السابعة عشرة من عمره ألزمته الفراش فترة طويلة ، تخلص منها بقراءة القرآن ثلاث مرات متوالية كعلاج نفسى ٠٠٠ ثم بدأ بعـد ذلك يقرأ القرآن قراءة الدراسة والتذوق لجمال عبارته والاحساس بموسيقاه التى لا تدانيها موسيقى ٠٠

ولكن يبقى سؤال هل للبيئة الاجتماعية التى نشأ وترعرع فيها كاتبنا الكبير دور فى ثقل شخصيته الأدبية .. قال لى الأستاذ احسان :

« ٠٠٠ شخصيتى الأدبية بنت الظروف والبيئة الاجتماعية التى نشأت فيها ٠٠٠ وهى ظروف متضاربة ومتناقضة للغاية ، ويتهم بعضها البعض ، وهذا التناقض فى نشأتى الاجتماعية الأولى أثر ، ولا يزال يؤثر

تأثيرا كبيرا جـدا على شخصيتى لا كأديب فحسب ، بل كمفكر وكاتب سياسى واجتماعى أيضا ٠٠٠ وأستطيع أن أقول بلا تحفظ كما سبق أن ذكرت أننى نشأت فى بيئة تجمع كل التضاربات والالوان المتنافرة فى المجتمع المصرى ٠٠٠ فقد نشأت مثلا فى بيت جدى لوالدى (المرحوم أحمد رضوان) وكان من خريجى الجامع الأزهر . وكان يعمل رئيس كتاب بالمحاكم الشرعية ، وهو بحكم ثقافته وتعليمه متدين جدا . كان يفرض على كل أفراد الأسرة الالتزام بأوامر الدين وأداء فروضه . والمحافظة على التقاليد بلا أدنى تساهل ٠٠٠ وفى نفس الوقت كانت والدتى السيدة روز اليوسف فنانة معروفة ، وسيدة متحررة ٠٠٠ لم تقف عنـد التفرغ للعمل الفنى ، بل اشتغلت بالصحافة والسياسة ٠٠٠ وكنت أنتقل وأنا طفل من ندوة جدى حيث يجتمع به زملاؤه من علماء الأزهر ورجال الدين، بكل محافظتهم على التقاليد ، لأجد والدتى تدير فى بيتها ندوة يشترك فيها كبار شعراء مصر وأدبائها الى جانب السياسيين وكبار الصحفيين٠٠ وكان الانتقـال بين هذين المناخين المتناقضين ، يصيبنى فى البـدابة بما يشبه الدوار الذهنى ، حتى اعتدت عليه بالتدريج واستطعت أن أعد نفسى لتقبله كأمر واقع فى حياتى ، لا مهرب منه » ٠

وفى اعتقادى أن هناك عاملا آخر كان له تأثيره الواضح فى تكوين شخصية كاتبنا الكبير ٠٠٠ وهو انتماؤه لأصل ريفى قح كما اتضح لنا من قبل ٠

قال لى الأستاذ احسان :

« انتى عندما أكتب عن الفلاح ، انما أكتب عن أولاد عمومتى الذين عرفتهم جيدا وعشت معهم فى كفر ممونة بشبرا اليمن ، ولا يزال بيتى في القاهرة مفتوحا لهم حتى اليوم ، ولقد ظللت أحتفظ بالأفدنة الثلاثة التى ورثتها عن جدى هناك حتى عام ١٩٧٢ » ٠

فى الواقع أن من يطالع قصص الأستاذ احسان التى كتبها عن القرية المصرية انما يلمس من أول وهلة مدى صدق قوله هذا ٠٠٠ ومدى اعتزازه بهذا الانتماء الريفى ٠٠٠ فهو يكشف لنا عن احساسه بالفلاح المصرى على الطبيعة فى العشرينات من هذا القرن عندما كان يتردد كما يقول بانتظام كل صيف على عائلة جده الشيخ رضوان فى كفر ممونة بقرية شبرا اليمن ٠٠٠ والصور التى عرضها فى هذه القصص ٠٠٠ مجموعة « علبة من الصفيح الصدىء » وغيرها توضح اعجابه الشديد بسكان الريف وبساطتهم وتماسكهم الأخلاقى ٠٠

ولكن هناك اسم فلاحة فى معظم القصص التى كتبها عن الريف المصرى ٠٠٠ ذلك الاسم هو « سبيلة » فما قصة هذه الفلاحة وما السر فى تكرار اسمها ؟

يقول الأستاذ احسان : « أنها شخصية حقيقية بالفعل ، اختزنها وجدانى من حياتى الأولى فى القرية ، أيام الطفولة والصبا كانت احدى قريباتى الصغيرات ، وكانت فى سنى ٠٠٠ وكنت أصحو مبكرا ، لكى أسرع بلقياها والذهاب معها الى الحقل نرعى المواشى معا « ونسبخ » الأرض بالسماد البلدى الذى تنقله (سبيلة) على « الحمار » وأنا سائر بجوارها ، سعيد بزمالتها ، راض بمشاركتى بهذا الجهد مستمتع بما كانت تحكيه لى من حواديت ساذجة » ٠٠

٠٠ وهكذا يؤكد لنا أستاذنا للمرة الثانية مدى فخره واعتزازه بانتمائه الريفى ٠٠٠ ذلك الانتماء الذى جعله يخزن فى ذاكرته حتى الآن اسم فتاة قروية أحبها وهو فى سن الطفولة والصبا الى المدى الذى كان يجعله سعيدا بزمالتها وصداقتها ٠٠

قال لى الأستاذ احسان :

« ان حبى للفلاح نشأ أساسا من الصورة الطيبة التى كان يلقيها على سمعى جدى الشيخ رضوان فى طفولتى الأولى عندما كنت آقيم معه ونما ذلك الاحساس بحب الفلاح والقرية فى نفسى مع ترددى كل عام على القرية ، واقامتى الدائمة فيها بضعة أشهر سنويا أحيا مع عائله جـدى حياة الريف بكل بساطتها وصبرها كما أننى لم أصادف فى هذه الفترة من عمرى والتى امتدت منذ وعيت للدنيا فى عام ١٩٢٤ حتى عام ١٩٣٥ ريفيا واحدا يستحق نفورى منه ، وفى حدود ما تعى ذاكرتى ، فلم أصدم وقتها بسلوك أو قول لفلاح واحد ، يوحى بأن القرية المصرية قد أصابها ما أصاب مجتمع المدينة آنذاك من تحلل وخروج على القيم والمبادىء ، ولقد تعلمت من فلاحى كفر ممونة معنى البساطة والوضوح الذى يوشك أن يقترب من السذاجة ٠

ولكن هل يعنى ذلك أن كل بطـلات قصصه ليست وليـدة الخيال وانما تشكل فى الواقع ذكريات حلوة عاشها كاتبنا كما هو الحال فى بطلة قصصه الريفية ؟

يقول الأستاذ احسان :

« لقد كتبت أكثر من ستمائة قصة ، ولا يمكن أن أكون بطلها كلها بحكم الواقع الزمني الذى تستغرقه أحداث كل قصة ، بالقياس الى العمر الذى عشته كانسان ٠٠ فلا يعقل عاقل أن أكون ٠٠٠ وأنا فرد واحد محدود الطاقة والوقت بطلا لمئات القصص التى أكتبها فى أدبى الروائى ٠٠٠ ان البطل الحقيقى لكل قصصى هو المجتمع الذى وقفت أطل عليه ، وأسجل بقلمى فى صراحة وصــــدق ما كان يعانيه من أمــراض وما يجتازه من محن أخلاقية أو اجتماعية أو سياسية » ٠٠

وفى اعتقادنا أن ما يثار حوله بالنسبة لهــذه النقطة انما يعتبر وسام تقدير واعترافا ضمنيا من خصوم أدبه قبل أصدقائه بأنه كاتب صادق استطاع أن يأخذ نماذجه الفنية من المجتمع الذى يعيش فيه ووفق فى تقديم هذه النماذج بصورة مقنعة دفعت البعض الى هذا القول الذى يعنى شيئا واحدا وهو أنه كاتب صادق مع نفسه ومع مجتمعه لأنه يعرض بأمانة نماذج محكمة يرى الناس فيها أنفسهم ٠٠ فاذا أردنا أن نتعرف على مجتمع ما معرفة حقيقية دون رتوش حاقدة أو مجاملة فيجب أن نبتعد عما يقوله المؤرخون وعلينا بما يسجله الأدب ٠٠ لأن التاريخ يحتاج عقلا أعمله صاحبه تحت سلطان الرغبة أو الرهبة لصاحب السلطان غالبا !! ٠٠٠ أما الأدب فهو عطاء القلب والروح ٠٠٠ وعطاؤهما أقرب الى الصدق والأمانة والعفوية فى التعبير عن الأدب ومجتمعهما ٠٠ فمثلا أعمال سوفوكليس وغيره من شعراء الاغــريق ، ومسرحيات شكســبير الانجليزى وموليير الفرنسى ، وشعر جيتا الألمانى وقصص زولا وموم ٠٠٠ ومعلقات العرب على أستار الكعبة ثم شعرهم بعدها على مر عصور التاريخ الاسلامى ٠٠٠ اذا قرأناها بعقل الباحث الاجتماعى ، سنجد أمامنا بلا شك صورة دقيقة وحية لملامح المجتمع فى تلك الأمم ، عجزت لغة التاريخ الجافة الخاضعة فى كثير من الأحيان لاعتبارات سياسية عن تسجيلها ! ٠٠

٠٠٠ وهكذا يسجل لنا الأستاذ احسان عبد القدوس بكل ثقــة واقتدار قدرة الأديب على رسم صورة صادقة للتعبير عما يدور فى مجتمعه بعيــدا عن كذب السياسة ٠٠٠ وبعيــدا أيضا عن مجاملة « المؤرخين » الذين لا يخلون من غرض أو هوى حين يبرزون ما لا يستحق الابراز ٠٠٠ أو يتجاهلون ما يستأهل الحديث عنه !

وفى الواقع أن من يطالع قصص أستاذنا انما يلمس من أول وهلة مدى صدق كلامنا هذا فنجده قد اتجه فى مجموعاته القصصية الثلاث التى

أصدرها قبيل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ باسم (صانع الحب) عام ١٩٤٨ ٠٠٠ و (بائع الحب) عام ١٩٤٩ ٠٠٠ و (النظارة السوداء) عام ١٩٥١ الى تصوير دقيق لفساد المجتمع المصرى وما يعانيه خلال تلك الفترة من انغماس في الشهوات والرذيلة والبعد عن الفضيلة والأخلاق السامية ٠٠

فلو قلبنا مثلا صفحات تلك المجموعة القصصية الأخيرة « النظارة السوداء » سنجد في نهايتها قصة غريبة في بنائها وأحداثها معا تحت عنوان « سيدة صالون » حيث تدور أحداثها أن سيدة فرنسية هاجرت الى مصر مع زوجها الفرنسي ٠٠٠ لكي تستعيد معه ثراءهما الضائع من قبل ٠٠٠ ثم تشرح القصة بأسلوب أقرب الى المقال السياسى ٠٠٠ أو الريبورتاج الصحفى الأساليب التى اتبعتها تلك السيدة لكى تتصيد العملاء لزوجها من طبقة الباشوات وكبار رجال الأعمال بحيث يتمكن زوجها من استعادة مكانته وتكوين ثروته من جديد على حساب الشعب المصرى ٠٠٠ ثم تجرى الأحداث على هذا النمط الذى يسايرها أستاذنا بشرح واف عن أساليب المستعمرين الأجانب فى تكوين ثرواتهم على حساب الشعب المصرى وعرقه ودمه مقابل اشراك طبقة المستوزرين والحكام المصريين فى هذه المغانم الحرام ٠٠

ولكننا هنا نتوقف لحظة عند الجزء الثانى من القصة التى يتجه فيها أستاذنا الى الحديث عن علاقة سيدة الصالون ٠٠ باسماعيل الأديب والكاتب المصرى ، الجرىء ٠٠٠ الساخر الذى كان يتردد على سهرات ما كان يسمى بالمجتمع الراقى لا لكى يقتات من فتات الموائد ٠٠٠ بل لكى يستوعب من قلبه وعقله معا مخازى هذا المجتمع ويقف عن قرب على فضائحه ، ثم يطلع بها فى شجاعة وأمانة على قرائه من عامة الشعب ٠

٠٠٠ وقد يفطن القارىء من أول وهلة أن الأستاذ احسان انما يصف نفسه ويحدد موقفه بشكل حاد من مجتمع عصره وهو موقف المعارض والفاضح لأساليب هذا المجتمع البورجوازى الذى يثرى على حساب الشعب وانحاز احسان للطبقة الشعبية انحيازا كاملا ٠٠

وأيضا اذا تناولنا روايته الخالدة « شيء فى صدرى » التى صدرت عام ١٩٥٨ نجده يرسم لنا صورة دقيقة وصادقة للصراع القائم بين المجتمع الرأسمالى والمجتمع الشعبى والمعركة الدائرة بين الجشع الفردى والاحساس بالمجتمع ٠٠ فهى قصة عذاب الاحتكاريين والاستغلاليين ومثلهم بحسين باشا شاكر ذلك الرجل الذى جمع ثروته من احتكار الآخرين واستغلالهم

وحقق انتصاراته على كل من حوله من الناس بذكائه وأمواله واشترى سكوتهم ومظـــاهر احترامهم ولكنه لم يستطع أن يخدع هؤلاء الذين يعيشون داخله ٠٠ هؤلاء الذين استغلهم فهم يعيشون داخل نفسه ٠٠ في صدره . وهو يحس بعذابهم ويحس باعتدائه على حقوقهم ولذلك فلن يستطيع شراء سكوتهم واحترامهم ٠٠٠ أن قطعة من المجتمع تعيش في صدره وتعذبه ٠٠

وهذا ما أراد أن يقوله الأستاذ احسان عبد القدوس فليس هناك شيء يسمى فردية مطلقة ، فاحساس الفرد هو نتيجة تفاعلات احساس المجتمع ٠٠٠ احساس الملايين بكل ما في هـذا الاحساس من رواسب المـاضي ٠٠

وكل قصص الأستاذ احسان عبد القدوس بها اتجاهات سياسية حتى الأكثرهم صراحة في الحب واشارة للجنس لانه يؤمن بأن المواطن العادي رجل سياسي وكل القصص العاطفية بما فيها روميو وجوليت تدور حول مجتمع سياسي لأن كاتب القصة لا يستطيع أن يتخلص من فكره السياسي وأثبت كلامي هـذا باحدى قصصـــه الشهيرة « **الخيط الرفيع** » ٠٠ تلك القصة بكل ما فيها من علاقات واضحة وصريحة الا انها تتعرض للمجتمعات السياسية المختلفة فهو يصور لنا فيها غريزة التملك تلك الغريزة البشعة التي يفصل بينها وبين عاطفة الحب السامية خيط رفيع جـدا فهذه الغريزة تدفعك دائمـا الى أن تضحي بغيرك في سبيل نفسك وهذا ما حدث لبطليها ، فالبطل ضحى بحبيبته في سبيل مستقبله والمجتمع الذي حـوله فهو شخصـية تتأثر بكل المجتمعات السياسية الرأسمالية والاشـتراكية والشـيوعية ويتفاعل معها طبقا لما يحققه له نجـاحه ٠٠

وأيضا في رواية « **أنا حرة** » وبرغم ما فيها من علاقات خاصة جدا الا انها تدور في مجتمع سياسي ، مجتمع ما قبل الثورة وما بعدها فالبطلة أمينة الفتاة ذات الشخصية القومية التي تريد أن تحصل على حريتها في ظل تقاليد قديمة موروثة ومحاولتها تحطيم هذه القيود لتصـل الى ما ترنو اليه وصراعها مع أهل الحي « حي العباسية » حتى تستطيع في النهاية أن تحصل على حريتها ولكنها حرية بلا معنى فهي لا تهبها لغرض أو هدف ولكنها حينما تلتقي بالكاتب الثوري عباس الذي يجمع حـوله الثائرين وتحبه تهب له حريتها فلقد انحصرت كل أهدافها فيه انهـا تريده كاتبا كبـيرا وتريد أن تحقق له ثورته فهي تخبيء الهـــاربين من الثوار وتشاركهم اجتماعاتهم ومناقشاتهم بحماسها الواعي فلقد أصبح

لحريتها طعم آخر ٠٠ فهى لم تعد حرة فهى دائما ملك له ولكنها لا تحس أنها فقدت شيئا ولم تنتبه الى أن الحب والحرية لا يجتمعان ولم تنتبه أيضا الى أن الحب هو التنازل عن الحرية ٠٠

وهذا ما أراد أن يصل اليه كاتبنا الكبير فهو يقول أن الانسان الحر ٠٠ حر فى أن يحب ما يشاء أو من يشاء ولكنه عندما يحب أو عندما يؤمن فانما يتنازل عن حريته فى سبيل حبه وايمانه ٠٠ فليس هناك شيء اسمه حرية مطلقة وهمس فى الأذن قائلا : قبل أن تطالب بحريتك اسأل نفسك لأى غرض ستهبها ؟!

ونفس الشيء نجده أيضا فى روايته العظيمة « **لا تطفىء الشمس** » نهى تصوير للمؤثرات السياسية ولطبيعة المجتمع من خلال قصص عاطفية بين أبطالها ، وهو يقول من خلالها أن الحياة مبادىء ٠٠ ابحث عن مبادئك تجد نفسك ٠٠

وهناك العديد من القصص السياسية للأستاذ احسان عبد القدوس والتى لا تقل براعة عن قصصه العاطفية ٠٠

أمثال « **فى بيتنا رجل** » التى صدرت عام ١٩٥٦ وهى قصة بطولة لثورى مصرى هو « حسين توفيق » قاتل أمين عثمان الذى أخفاه كاتبنا فى منزله تحت حراسة زوجته وهى قصة وطنية خالصة ليس فيها جنس ورغم ذلك فقد رفعت توزيع مجلة روز اليوسف أكثر مما رفعته قصة « **لا أنام** » ـ كما هو ثابت من كشوف التوزيع ـ وهذا خير رد على من يدعون أنه كاتب جنس فقط ٠٠

وأيضا روايته الشهيرة « **لا شيء يهم** » التى أحدثت ضجة كبرى حوله من مراكز القوى آنذاك ٠٠ فهو أراد من خلال أبطالها أن يصور الصراع الدائر فى مصر بعد القوانين الاشتراكية بين من يؤمنون بضرورة وحتمية هذه القوانين وضرورة حمايتها لأن فى بقائها بقاء لهم وبين الذين يسايرون أى موجة ويركبون أى مركب يصل بهم الى مايريدون ٠٠ فأحد أبطال الرواية « توفيق » مستعد أن يكون اشتراكيا أو شيوعيا أو رأسماليا أو حتى صهيونيا أو أى شيء من أجل مصلحته ٠٠

والبطل الآخر « حلمى » يؤمن ايمانا منقطع النظير بهذه القوانين ويخشى على الثورة من أمثال توفيق ٠٠

والأستاذ احسان يترك نهاية الرواية مفتوحة دون أن يحسم الصراع بينهما لصالح أحد منهما لأنه يؤمن بأنه صراع مستمر ٠٠ فتوفيق يراهن

أنه سينجح فى انتخابات الاتحاد الاشتراكى ·· بينما حلمى يتحداه بأنه سيخسرها ··

ولا أعــرف ان كان الأستاذ احسان تنبأ بما حــدث فى مصر فى الستينات من سطو توفيق وأمثاله على الثورة والمرارة التى ذقناها فى هذه الفترة والتى أدت لهزيمة ٦٧ ولذلك فضل أن يترك المعركة دائرة قبل اطلاق الرصاصة الأخيرة !!

وأعتقد أنه لهذا السبب ثارت مراكز القوى وتربصوا به وحاولوا الوقيعة بينه وبين الزعيم الخالد جمال عبد الناصر كما سنرى فيما بعد ··

ولكننى هنا أحب أن أشــير الى ان كاتبنا يصــدر هذه الروايات والأشخاص الذين يعنيهم فيها موجودون وفى مناصبهم أيضا ولا يفعل مثل كثيرين من الكتاب ينتقدون فترة من الحكم بعد زوالها ·· لا فالأستاذ احسان عبد القدوس يواجههم وهم فى أوج نفوذهم ويترفع عنهم وهم فى دائرة النسيان ·· واليكم مثلا آخر يثبت كلامنا هذا قصــة « **الهزيمة اسمها فاطمة** » التى صدرت سنة ١٩٦٨ وهى أول قصة تتناول الهزيمة المرة كما انها تتناولها فى شكل جديد فقد صور فيها تصويرا غاية فى الدقة مدى الحيرة والضياع والتشرد الذى عاش فيه أهالى محافظات القناة بور سعيد ، السويس ، الاسماعيلية الذين هاجروا من بيوتهم رغما عنهم تاركين فيها أمتع وأعطر الذكريات !! ·· هؤلاء هم ضحايا هزيمة ٥ يونيو الحقيقيين والذين تجاهلناهم ·· ففاطمة بطلة الرواية مهاجرة من السويس هدم منزلها فى الحرب ويئست من الحصول على شقة بعد انتظار طويل عاشته مع وعود المحافظ وبسفر هذا الانتظار على خيمة تعيش فيها هى وزوجها وأولادها مع ١٢ عائلة حيث يصبح كل شىء مكشوف فلا توجد أية خصوصيات فيهرب الزوج ولاتجد هى مفرا من أن تعمل لتعول أولادها فتسافر الى مصر وتعمل فى احدى الشقق المفروشة التى يتبادل عليهــا العديد من السكان الذين يعتبرونها حقا لهم فهى جزء من الشقة !!

وكما كان احسان عبد القدوس أول من كتب قصة صور فيها الهزيمة فانه أيضا أول من صور نصر ٧٣ فى قصته الممتعة « **الرصاصة لا تزال فى جيبى** » وكيف أن الجنــدى المصرى غسل عار الهزيمة وأعــاد لمصر طهارتها وكيف أنه سيحافظ عليها دائما فالرصاصة مازالت فى جيبه وقد رمز لمصر بالفتاة فاطمة التى اعتدى عليها من مستغل آفاق وكيف عاد اليها حبيبها ابن البلد الحقيقى الذى يعيش من خيرها ولا يتطفل عليهــا كالذى اعتدى عليها ·· عاد ليمحو العار ويأخذها فى أحضانه ويضعها فى عينيه ويعاهد الله على حمايتها للأبد ·· تصوير غاية فى الابداع ··

وفي قصة « حتى لا يطير الدخان » يحلل المجتمع الذى سبب هزيمة ٦٧ ويصور تصويرا دقيقا مدى الفساد والانحطاط الذى عاش فيه كل هؤلاء الذين فكروا فى حرب ٥ يونيو ، فقد قالها أحدهم نكتة وهو مسطول فى مجلسهم الموقر الذى ينعقد كل ليلة فى غرزة بالزمالك يمتلكها البرنس الكبير يمارس فيها الفساد والقذارة بكل أنواعها ٠٠ ومن داخل هذه الغرزة تحكم الدولة ويعين الوزراء والمحافظون وتتم الزيجات !! وكل شيء ٠٠ كل شيء مباح فى هذا المكان ٠٠ المهم أن البرنس التقط هذه النكتة ممن أطلقها وأعلن موافقته على الحرب وبدأوا يخططون للحرب وهم يترنحون سكارى وكانت الهزيمة الشنعاء !!

والحوار فى هذه القصة من أمتع مايمكن فهو حوار مركز ذكى يلعب دورا رئيسيا فى توصيل الفكرة الى القارىء ٠٠

وفى قصة « الراقصة والسياسى » أراد أن يربط بين السياسى والراقصة من خلال وصف دقيق وممتع للحياة السياسية منتهيا الى أن ما يحدث فى الرقص يحدث مثله تماما فى السياسة والعكس صحيح !! فهما أبناء مهنة واحدة فهو راقص مثلها وان اختلفت وسيلة التعبير ، فهى تعبر عن نفسها بهزات جسدها ٠٠ بينما هو يعبر عن نفسه بهزات لسانه أى انها ترقص بجسدها وهو يرقص بلسانه وهدفهما فى النهاية واحد اكتساب الجماهير لاسعادهم ٠٠ هى تسعدهم بأن ترتفع بهم الى سماء الفن فوق متاعبهم وهو يسعدهم بالوعود التى تحتمل دائما الكذب، فكلاهما يرتفع بهم فوق الواقع المضنى٠٠وفى الحوار الدائر بين الراقصة دلال والسياسى عبد الحميد «بك» تؤكد له دلال أن السياسى مطلوب منه وهو يرقص رقصته السياسية أن يخلع ثيابه الاجتماعية قطعة قطعة حتى يراه الناس عاريا على حقيقته واذا لم يفعل ذلك يعريه خصومه أو يعريه الجمهور بينما هى فتخصصها لا يفرض عليها أن تظهر عارية فما كشفت عنه يكفى للاثارة ولذلك فقصته أخطر فهو لا يكتفى بالاثارة ولكنه يتعمد التأثير كأنه يطلق من لسانه مخدرات يوزعها على الجمهور ٠٠ مخدرات مهدئة أو منشطة ٠٠ ومخدرات يتعمد أن يبقى مفعولها الى أن يلتقى بجمهوره مرة ثانية ليسقيه جرعة أخرى من مخدر آخر ٠٠ ويبين لنا أيضا الفرق بين فراش السياسى وفراش الراقصة ففراشها فراش خاص هى فيه امرأة فقط بينما فراشه فراش عام يمكن أن يكون فيه أى شيء وكل شيء ٠٠ هذه متطلبات السياسة ٠٠ أو هى فن الفراش السياسى !! وتؤكد الراقصة دلال أن التاريخ ٠٠ تاريخ مصر قد أنصف الراقصات ولم ينصف السياسيين !! وان الجماهير تثق بالراقصات أكثر مما تثق فى السياسيين !!

وفى مسرحية « **لا أستطيع أن أفكر وأنا أرقص** » صور مصر بفرقة موسيقية بها جميع أنواع الآلات الموسيقية وأراد بذلك أن يقول أن مصر مرتبطة بكل العالم والعالم كله مؤثر عليها وأنها ترقص على جميع أنغام العـــالم !!

وفى قصة « **القضية نائمة فى عربية كاديلاك** » وهو يكمل بهـــا مجموعة مقالاته الشهيرة عن حرب فلسطين ٠٠ فكاتبنا من أكثر الكتاب تبنيا لقضيتهم ٠٠ ففى هذه القصة يوضح كيف ان القضية ضاعت بين أيدى من يساومون بهـا ، فبطلها مناضل كل فكره متعلق بالقضيـة الفلسطينية يتعرف على سيدة أجنبية يأخذ منها المال ليشترى السلاح هكذا أقنع نفسه بأن الغاية تبرر الوسيلة ومن أجل ذلك أخذ يقدم تنازلات عديدة وانساق وراء السيدة وتلاشت القضية من ذاكرته أمام العربة الكاديلاك الفاخرة التى أهدتها اياه فدخل فيها ونام واستراح !!

والأستاذ احسان عبدالقدوس أول كاتب يكتب قصصا عن المجتمع الاسرائيلى ، فقد كتب العديد عن قصص اليهود فى مصر فقد عاش هذا المجتمع منـــذ كان يعيش صباه وشبابه فى حى العباسية الملاصق لحى الظاهر الذى كان يضم أغلبيته من السكان اليهود ٠٠ وأكثر القصص التى أثارت اهتماما داخل المجتمع المصرى والمجتمع الاسرائيلى قصـــة « **لا تتركونى هنا وحدى** » فقد كثر حولها الكثير من الجدل خاصة أنها صدرت عقب مبادرة السلام على الرغم من أن الأستاذ احسان كان قد انتهى منها قبل المبادرة ولم يفكر فى تعـديل أحداثها بما يتمشى مع الأحداث الجديدة لأن القصة عنده لا تمثل واقعا قائما ولكنها تمثل مرحلة مرت بالمجتمع المصرى ٠٠ والمدهش أن هذه القصـــة رفضت من العالم العربى واسرائيل فى وقت واحد ، ففى اسرائيل قامت ثورة ضد هذه القصة بسبب الصورة التى قدمها لليهود فى مصر وأغراضهم وراء الهجرة لاسرائيل ٠٠

ومن أجرأ القصص التى كتبها الأستاذ احسان عبد القدوس قصة « **أعوذ بك منك** » والتى نشرت فى صباح الخير عام ٨١ وهى قصة غريبة فى تناولها فهو يصور الشيخ محمد ابن عويس الذى قتل غدرا وهو يدافع عن قريته تفتح له الملائكة أبواب السماء وتقرر عدم محاسبته فقد كان ايمانه أقوى من أن ينزل به الحساب ، لقد عاش بايمان الملائكة وفتحوا له الجنة من أزهى أبوابها ولكنه وهو فى النعيم بدأ يعود باحساسه الى القرية ورفع يده الى السماء يطلب من الله أن ينتشل أهل قريته من طغاة

الأرض وحينما أبلغته الملائكة استحالة ذلك طلب أن ينزل الى الأرض ليقف بينهم وينقذهم وتحققت رغبته وأعاد الأرض لأهله وناسه وأقاموا الأفراح وطلبت منه الملائكة أن يعود معها بعد أن أتم مهمته ولكنه لم يوافق وأصر أن يبقى فى الأرض فهو يحس الآن أن القرية أصبحت ملكه وله أن يتصرف فيها كما يشاء يصـــدر خيراتها بأعلى الدولارات ·· والأهالى تصرخ ·· ولكن ليس هناك أذن تسمعهم وهكذا تحول الملاك محمـد ابن عويس الى شيطان ويهبط اثنان من الملائكة لرفعه الى السماء لمحاكمته والمحاكمة هنا من أمتع ما يمكن وفيها طوع الحوار واستنقى ما فيـه من كلمات لخدمة المضمون الذى يريده وهو كيف يتحول الحاكم الذى يبـدأ بمبادىء سليمة الى حاكم ذى مطامع خاصة تحت تأثير السلطان والاغراءات المادية ·· وانتهت المحاكمة باحالته الى أهل الجحيم ··

وفى أحدث قصة للأستاذ احسان عبد القدوس « **يا عزيزى كلنا لصوص** » التى صدرت عام ٨٢ وأحـدثت ضجة فى المجتمع المصرى فالكل يتساءل ماذا يعنى باللص فلان ؟·· ومن هم أبطال الرواية فى الواقع ؟! فهى تمثل الصراع بين مجتمعين ·· فالصراع الدائر بين عبد الله بهنس ومرتضى ما هو الا صراع يدور بين لصوص الأمس ولصوص اليوم ·· فالسرقة مستمرة طالما أن للصوص أنجالا أعزاء سيحملون الأمانة من بعدهم !! فهى حلقة متصلة يتبادلون فيها الأماكن والمناصب فمن كان سارقا بالأمس يصبح مسروقا اليـوم وهكذا وهم يتبادلون مسروقاتهم ويسترجعون ما نهبه آباؤهم فيما بينهم !!

وهذه الرواية ليس فيها أية شخصية نسائية رئيسية أى ليس فيها أية عاطفة أو جنس ومع ذلك نجحت نجاحا هائلا فما رأى السادة الذين ظلموا الأستاذ احسان وقالوا أنه صاحب مدرسة الجنس للجنس ؟؟

وأنا هنا لا أحصر كل أعمـاله بل أذكر أمثلة منها فقط فأعمـاله القصصية كثيرة جدا وكم كنت أتمنى لو أننى تناولتها كلهـا بالتحليل والدراسة ولكن هذه الامنية سوف تحتاج وحدها لعشرة كتب وما زال مشوارى معه طويلا ··

ولا تنسينى زحمة قصصه السياسية والعاطفية أن أشير أنه كتب أيضا القصص الدينية متأثرا بما شاهده فى بيت جده الشيخ أحمد رضوان من حفاظ على الدين وتقاليده كقصص « **الله محبة** » ، منتهى الحب ·· الخ وقد أخذ منها الجانب المتسامح ·· المقابل لموقف الجد المتشدد من أمور دينـه ··

٢ ـ احسان متهما فى مجلس الأمة

تاريخ الأدب العالمى سجل العديد من الحالات التى تثبت أن بعض كبار الأدباء كانوا مصابين بانفصـام الشخصية وأن الواحد منهم كان يعيش حياتين مختلفتين تماما ، فهو انسان سوى ، يحب الناس ، ويحب الخير لهم حين يكتب ... وهو فى ذات الوقت حطام انسان حين يخلو الى نفسه ، يمارس ما يمارسه البشر من حيـاة خاصة ... ولعل حيـاة لورد بيرون الشـاعر الانجليزى بكل ما فيهـا من انحلال وتحطيم لقيم المجتمع على أى مستوى وبأى مقياس أخلاقى ... ثم مساندته المجنونة لثورة اليونان فى عصره ... خير مثل على هذا التناقض الذى يقع فيه الأديب حين تتمزق نفسـه بين واقعه الخاص كانسـان تحركه ظروفه الاجتماعية ومحصلات بيئته التى نشأ فيها وبين اندفاعه كفنان مرهف الحس للحفاظ على كل ما هو شريف ونبيل من قيم الحياة ..

وقد يعتقد البعض أن كاتبنا الكبير تعرض لمثل هذا وأصيب خلال هذه الفترة بانفصام الشخصية فهو يعايش المجتمعات الراقية وفى نفس الوقت يعايش المجتمع الشعبى ويتفاعل معه ..

يقول الأستاذ احسان :

الأمر يختلف بالنسـبة لى عن أديب كاللورد بيرون مثـلا فهـو أرستقراطى المولد والنشأة ... وتفسخه الاجتماعى فى حياته الخاصة ، كان امتدادا شبه عضوى لحياته الممتدة من مولده الى وفاته ... فهو ابن

شرعى للارستقراطية البريطــانية ونتــاج طبيعى لمقوماتها الأخلاقية والنفسية ··· أما أنا فقد كنت بحكم المولد والنشأة ابنا للطبقة الوسطى القريبة من الطبقة العاملة الكادحة ··· أبى المهندس البسيط ··· ثم الفنان الكادح وأمى الممثلة العصامية ثم الصحفية المناضلة ··· كل هذا يجعلنى اجتماعيا ابنا طبيعيا للأغلبية الساحقة من القوة الاجتماعيه فى مصر قبل الثــورة ··· أما اقترابى من الطبقة العليــا الحاكمة فقد كان اقترابا مصنوعا ، فرضته الظروف التى عشتها فى كنف أم تملك اكبر مجلة سياسية قادت أعنف المعارك السياسية ضــد النظام الحاكم بكل مساذله وخطاياه ··· ومواقفى العملية تقطع كلهــا بالتوافق الكامل بين حياتى الخاصــة كانسان مصرى ، وأديب سجل قلمه موقفه الفكرى من مجتمعه » ··

ومما لا شك فيه ان انضمامه للجماعات الثورية فى مستهل حياته يزيد من تأكيده أن ماكتبه من أدب صريح ، لم يكن هدفه الدفاع عن الطبقة الحاكمة أو الخوف عليها ، بل كان دافعه أولا وأخيرا هو تعرية تلك الطبقة وتقديم المزيد من الأدلة على ادانتها ، لكى تستمر عجلة الثورة الشعبية فى دورانها حتى تصل الى ما تصبو اليه من ازاحة تلك الطبقة المستعلية بكل خطاياها ··

قال لى الأستاذ احسان :

« علمتنى الحيــاة ألا أنظر الى الأفراد باعتبارهم أشخاصا قابلين للحب أو الكراهية ، بل اعتبارهم تبعا لمواقف انسانية ذات تأثير اجتماعى مفيــد أو ضار ··· وهذه النظرة الى المواقف ورفضها أو الحماس لها جعلتنى أقرب الى الموضــوعية فى حكمى على الحوادث والأشخاص ··· وحمتنى من الوقوف موقف العداء الشخصى من خصومى فى الرأى طيلة حياتى ··· الأمــر الذى كان يصعب فهمه على الكثيرين ممن يعرفوننى معرفة شخصية » ··

واذا تعمقنا فى هذا القول واسترجعنا موقفه مثلا مع الوزير الوفدى الكبير فؤاد سراج الدين اتضح لنا صحة كلامه ، فالقارىء يراه يهاجمه بشدة حين يقف موقفا سياسيا يستحق الرفض ··· فاذا أصدر تعليماته فجر الخامس والعشرين من يناير عام ١٩٥٢ لقوات الأمن بالاسماعيلية بأن تدافع ضد الانجليز عن مبنى المحافظة حتى آخر طلقة وآخر رجل ···

كان أول المدافعين عن قـراره الذى يمثل موقفـا وطنيا لا يختلف عليه اثنـان ..

وعندما أغتيل الرئيس السادات كتب فى الأهرام مقالا تحت عنوان « كيف كنت أفهم السادات » تناول فيه بموضوعية بالغة تاريخ السادات السياسى بكل ما فيه من مواقف وأحداث .. على الرغم من أن ابنه محمد كان من المقبوض عليهم ضمن مجموعة الاعتقالات التى سبقت اغتياله .. فكتب يقول :

« كيف يغتال السادات فى هذا اليوم بالذات ووسط هذا الحفل بالذات وبهذه الوسيلة بالذات ، وكنت أحيانا وأنا فى ذهول أهم أن ألوم السادات لقد عاش السياسة من جميع أركانها منذ وعى وكان يجب أن يقدر أنه يعيش احتمال الاغتيال فهو شخصية سياسية مؤثرة فلماذا لم يحسب حسابه ؟ » ..

يقول الأستاذ احسان :

« الاحساس بالمسئولية بأدق معانى كلمة المسئولية..ثم الحب .. بأشمل معانى الحب الذى يسع الزوجة والولد والعمل والصديق وحتى الخصم !! من هذين النبعين ... المسئولية والحب نقلت الموضوعية ونمت فى حياتى فكرا وسلوكا ... فالمسألة ليست عندى مسألة كراهية أو حب .. انها عندى أولا وأخيرا منهج فى التفكير التقيت به طيلة عمرى منذ وعيت ... وهو منهج جنبنى الانزلاق فى مخاطر الأحكام الشخصية المغرضة على غيرى » ..

والقول بأن احسان عبد القدوس كاتب جنس فقط تهمة اطارها الخارجى المزيف اطار أدبى ، ولكن أساسها الحقيقى حملة تشهير سياسية ظالمة ، شنها عليه خصومه السياسيون فى المرحلة الماضية ووصل بهم الأمر فى عام ١٩٦٥ الى تقديم سؤال فى « مجلس الأمة » الى وزير الثقافة فى ذلك الوقت ... وكان الدكتور محمد عبد القادر حاتم ووقف أحـد هؤلاء الخصـوم ليسأل فى المجلس « كيف تسمح الحكومة بنشر قصـة « أنف وثلاث عيون » هذه القصة الجنسية الهدامة ... الخ . وكان رئيس المجلس فى ذلك الوقت هو الرئيس الراحل محمد أنور السادات ، ورد الدكتور حاتم على مقدم السؤال (بأن الحكومة لا تتدخل فى حرية الأدب ... وعلى المعترض مقدم السؤال أن يتقدم للنيابة العامة اذا رأى أن هناك ما يستحق ابلاغها) .. وقد حاول هؤلاء الخصـــوم بالفعل أن يشكوه للنيابة العامة !! ... والطريف أن تأتى بعد هذا جميع الأجهزة الفنية

المختلفة ممثلة في الاذاعة والسينما والتليفزيون وتشترى هذه القصة لتنتجها مسلسلا اذاعيا ، وفيلما ، ومسلسلا تليفزيونيا ..

قال لى الأستاذ احسان :

« أنا لا أكتب عن الجنس فقط . ولكنني أكتب عن كل ما فى الحياة التي يعيشها مجتمعي ... الجنس وغيره ... وبالنسبة للجنس فانني لا أخاف من الكتابة عنه ، لأنه موجود في حياتنا ومؤثر فيها الى حد كبير. وعندما أكتب عنه ، لا انناوله لذاته بل بهدف التحليل الواقعي لدوافع الانسان التى تحركه نحو سلوك معين .. فأنا لا أتعمد اختيار نوع معين من القصص أو اتجاه معين ولكن تفكيرى فى القصة يبدأ دائما بالتفكير فى عيوب المجتمع وفى العقد النفسية التى يعانيها الناس وعندما أنتهى من دراسة زوايا المجتمع أسجل دراستى فى قصة » ..

وهذا ما يتلمسه القارىء والناقد أيضا حينما يتناول قصص « احسان عبد القدوس » فانه يجد نفسه أمام دراسة صادقة لعيوب مجتمعنا ، وهى عيوب قد يجهلها البعض ولكن الكثيرين يعرفونها .. وهى عيوب تحتاج لجرأة الكاتب حتى يتحمل مسئولية مواجهة الناس بها .. والهدف من ابراز هذه العيوب هو أن يحس الناس بأن أخطاءهم ليست أخطاء فردية بل هى أخطاء مجتمع كامل .. أخطاء لها أسبابها وظروفها فى داخل المجتمع ..

يقول أستاذنا احسان :

« ان نشر هذه العيوب سيجعلهم يسخطون وسيؤدى بهم السخط الى الاقتناع بضرورة التعاون على وضع تقاليد جديدة لمجتمعنا .. تتسع للتطور الكبير الذى نجتازه ونحمى أبناءنا وبناتنا من الأخطاء التى يتعرضون لها نتيجة هذا التطور .. وهذا هو الهدف الذى حققته قصصى .. لقد بدأ الناس يسخطون ، ولكنهم بدلا من أن يسخطوا على أنفسهم وبدلا أن يسخطوا على المجتمع سخطوا على الكاتب أى سخطوا علىّ أنا .. ولكنى كنت مؤمنا بأن مع استمرارى وتصميمى سينقلب السخط على الى سخط على عيوب المجتمع ومن ثم يبدأ الناس فى التعاون على اصلاح ما بأنفسهم » ..

وحينما نتمعن فى كلامه هذا ونسترجع رواياته الشهيرة أمثال « أنا حرة » ، « الطريق المسدود » ، « لا تطفىء الشمس » ، « أين عمرى » .. الخ .. ونقارن بين حال الفتاة المصرية فى الخمسينات وحالها

الآن في الثمانينات نجد أن أدب احسان عبد القدوس قد أحدث ثورة في المجتمع المصرى ··· وساهم في تغيير الكثير من مفاهيمه الموروثة ، ففي رواية « انا حرة » مثلا نادى بالحرية للفتاة وضرورة استقلالها ولكنه وضع محاذير حول هذه الحرية فليس هناك شيء اسمه حرية مطلقة لأنه يؤمن بأن آكثرنا حرية هو عبد للمبادىء التي يؤمن بها وللغرض الذى يسعى اليه واننا حينما نطالب بها فلكى نضعها فى خدمة أهدافنا ··

وقد كانت هذه الرواية أحد الأسباب التى جعلت الفتاة تطالب بالعلم والشهادة الجامعية والاستقلال المادى فى الحياة وترفض الخضوع لسيطرة الرجل والاستسلام له ··

وأدب احسان عبد القدوس بوجه عام دفع الفتاة لدراسة نفسها ولمعرفة متطلباتها فى الحياة حتى تستطيع أن تشارك فيها دون أن تخطىء ، انه يجنبها هذه التجربة ولكنه في الوقت نفسه يدعوها للتعرف على نماذج عديدة مختلفة الأنماط ومتنوعة الألوان من البشر وذلك من خلال رحلتها مع قصصه ··

وهو الذى حث الفتاة على ضرورة اختيار شريك حياتها بنفسها دون تدخل من أحد ·· وجعلها تخرج بحبها فى النور وتتباهى به بدلا من أن تنزوى به خجلا فى الظلام حيث يصبح كل شيء مباحا !!

وهذا ما أصبحنا نراه اليوم فقد أصبحت صور الحب مألوفة فى مجتمعنا وأصبح طبيعيا أن نجد فتاة تجلس فى مكان عام مع زميلها تناقشه بوضوح ونضج فى مستقبلهما معا وهى صورة لم تكن مقبولة فى الخمسينات فقد أصبحت الفتاة أكثر احتراما لنفسها ولكيانها كأنثى لأنها شاركت المجتمع فى حبها وأصبح مسئولا عن حمايتها وهذا ما نادى به كاتبنا فى كل رواياته فى الخمسينيات والستينيات ··

كما ان كل قصصه تعطي شحنة هائلة للصمود والاستمرار وترفض الانهيار والاستسلام ويتجلى ذلك بوضوح فى « الطريق المسدود » ، « لا تطفىء الشمس » ، « النظارة السوداء » ، « لا أنام » ·· الخ ···

واذا أخذنا قصة « الطريق المسدود » كمثال على كلامنا هذا نجد أن البطلة « فايزة » قاومت حتى النهاية الانحراف والانسياق وراء الأجواء الفاسدة وتراجعت عن فكرة الانتحار وتوصلت لحقيقة كانت غائبة عنها وهي أن القبلة من رجل لا تحبه أقسى على النفس من ظلم الناس والخطيئة عذاب لا يعادله عذاب !!

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن قصص احسان عبد القدوس مهدت للاصلاح الاجتماعي في مصر شأنه شأن الكاتب الفرنسي الكبير (بلزاك) الذي ثار الناس عليه في عصره واليوم يعتبرونه مصلحا اجتماعيا وقصصه تترجم بالكامل بجميع اللغات حيث يعتبر هناك أحد المعاول التي هدمت الطبقات الاجتماعية المنحلة لقدرته على ابراز العيوب الاجتماعية ..

وأدب احسان عبد القدوس برغم ما فيه من صراحة فانه في النهاية يدين الرذيلة ويحبذ الفضيلة فلا توجد قصة من قصصه تخالف ذلك حتى الأكثرها صراحة « لا أنام » . « أنف وثلاث عيون » .. أنه فقط يجسم عيوب المجتمع أى انه يبرز المرض ونتائجه .. وهو كما قال يدعو الناس الى السخط وان كان السخط قد عاد عليه في البداية الا ان ذلك أولى خطوات الشفاء لأنهم من الضرورى سوف ينقلبون على عيوب المجتمع ويبدأون فى اصلاحه بأنفسهم وهذا ما حدث بالفعل فلم يعد الناس يسخطون على كاتبنا الكبير كما كانوا يفعلون فى الخمسينيات والستينيات بل اتخذ سخطهم هذا مسارا آخر تجاه المجتمع وعيوبه ..

قال لى الأستاذ احسان :

« لست الكاتب المصرى الوحيد الذى كتب عن الجنس فهناك المازنى فى قصته « ثلاثة رجال وامرأة » وتوفيق الحكيم فى قصته « الرباط المقدس » و ... و ... وكلاهما كتب عن الجنس أوضح مما كتبت ولكن ثورة الناس عليهما جعلتهما يتراجعان ولكننى لم أضعف مثلهما عندما هوجمت فقد تحملت سخط الناس علىّ لايمانى بمسئوليتى ككاتب .. ونجيب محفوظ أيضا يعالج الجنس بصراحة عني ولكن معظم مواضيع قصصه تدور فى مجتمع غير قارىء أى المجتمع الشعبى القديم أو الحديث الذى لا يقرأ ولا يكتب أو هى مواضيع تاريخية لذلك فالقارىء يحس كأنه يتفرج على ناس من عالم آخر غير عالمه ولا يحس أن القصة تمسه أو تعنى المجتمع الذى يعيش فيه لذلك لا ينتقد ولا يثور ..

أما أنا فقد كنت واضحا وصريحا وجريئا ... فكتبت عن الجنس حين أحسست أن عندى ما أكتبه عنه سواء عند الطبقة المتوسطة أو الطبقات الشعبية . دون أن أسعى لمجاملة طبقة على حساب طبقة أخرى » ..

٣ ـ عبد الناصر يعترض على البنات والصيف

قد لا يعرف الكثيرون أن الزعيم الخالد جمال عبد الناصر كان من هواة قراءة الروايات بوجه عام وكان مهتما بوجه خاص بقراءة كل مايكتبه الأستاذ احسان من أدب قصصي ويتتبعه تتبعا كاملا وكان يبدى اعجابه بها ولكنه حينما قرأ مجموعته القصصية « البنات والصيف » اعترض على احدى هذه المجموعات ... يعلق الأستاذ احسان على ذلك قائلا :

« لست أدرى حتى الآن ان كان اعتراضه هذا نتيجة رؤية شخصية خرج بها من قراءاته الخاصة لهذه المجموعة القصصية أم أنه كان نتيجة لواحدة من الهمسات الحاقدة لأفاعى مراكز القوى من حولى ، رغبـة فى الايقاع بى ، ولو عن طريق أدبى الروائى ، بعد أن حرمتهم هذه الفرصة فى عالم الكتابة السياسية !! ...

« عنـــدما علمت باعتراض المرحوم جمال على مجموعة « البنـات والصيف » التى بعثت بها اليه ، تحولت العلاقة بيننا الى تباعد تدريجى اجهدت مراكز القوى نفسها فى استغلاله الى أبعد مدى ، رغبة فى ابعاد أى صوت حر أو فكر مستنير عن دائرة الضوء المحيطة بالقـــائد الذى استقرت بين يديه مقاليد الثورة » ..

وقد وجد الأستاذ احسان خطابا كتبه لجمال عبد الناصر عام ٥٥ فى درج مكتبه أو كما يسميه « درج الأسرار » ونساه بل انه لا يذكر ان كان قد أرسله اليه فعلا أو اكتفى بكتابته ثم ألقى به فى درج النسيان .

قال فيــه :

« أبلغنى صديقى « الأستاذ هيكل » أن سيادتكم قد فوجئت عندما قرأت فى احدى قصصى « البنات والصيف » ما يمكن أن يحدث داخل الكبائن على شواطىء الاسكندرية والذى سجلته فى قصصى يحدث فعلا ويحدث أكثر منه وبوليس الآداب لن يستطيع أن يمنع وقوعه والقانون لن يحول دون وقوعه انها ليست حالات فردية انه مجتمع ·· مجتمع منحل ولن يصلح هذا المجتمع الا دعوة ·· الا انبثاق فكرة تنبثق من سخط الناس كما انبثقت ثورة ٢٣ يوليو ·· لهذا أكتب قصصى » ··

والأستاذ احسان ضحية دائما للتأثير السياسى على كل ما يكتبه من قصص ولعل أقرب مثال على ذلك قصة « علبة من الصفيح الصدىء » التى فسرتها مراكز القوى آنذاك على انها اتهام خطير لجمال عبد الناصر فهى تقول ببساطة أن ما حدث قبل الثورة يحدث بعدها ··· ولم ينصت الزعيم الخالد لهمسات من حوله بل أخذ القصة وقرأها بنفسه وبعد أن فرغ من قراءتها أمر على الفور بعرضها فى التليفزيون كما هى دون تغيير أى شىء منها ··

يقول الأستاذ احسان :

قال لى أنور السادات أن جمال عبد الناصر كان فى اجتماع معه ثم استأذن منه وقال انه سيصعد ليجلس أمام التليفزيون لكى يرى قصة لاحسان عبد القدوس قد طلبها ويخشى أن يكونوا عدلوا فيها ···

وهذا دليل قاطع على اختلاف التفسيرات فقد اتهم الكثيرون كاتبنا الكبير بمعارضة الحاكم فى حين أن الحاكم نفسه يرى أن ما يكتبه هو درس يجب أن يعرض على الشعب ··

قال لى الأستاذ احسان :

« أن المرحوم جمال عبد الناصر اتصل بى خلال السنة الأخيرة من عمره وكانت عملية اتصال غير مباشر ·· !! وكنت قد توقفت لفترة عن الكتابة القصصية ··· كنت وقتها أمر بمرحلة من تلك المراحل التى يعرفها جيدا الأدباء عموما ، وأدباء الرواية بوجه خاص ، حين يستمرىء الواحد منهم لحظات الاسترخاء والاستجمام الذهنى ··· وبينما يتخيل المحيطون بالأديب ، أنه توقف ··· أو انصرف نهائيا عن عملية الابداع والخلق الفنى يكون الفنان المبدع فى حقيقة الأمر ، يمر بلحظات يمكن

تسميتها فترة الحمل الأدبى . التى يتخلق فيها العمل الجديد بذرة ٠٠٠
ثم جنينا ٠٠٠ ينضج على مهل ، ويتخلق ببطء فى نفس الأديب ، فاذا
ما اكتملت عملية الخلق غير المرئية ، حلت لحظة الميلاد الطبيعى للقصة أو
الرواية الجديدة ٠٠٠ كان هذا بالضبط هو ما أعانيه فى تلك المرحلة .
التى طال فيها انصرافى عن الكتابة القصصية مضافا اليه ربما عوامل
المعاناة من بعض ما كانت تلاحقنى به مراكز القوى من ضغوط منظورة
أو خفية ٠٠٠ وفجأة ٠٠٠ وأنا فى هذه العزلة النفسية اتصل بى المرحوم
جمال عبد الناصر ٠٠٠ وكان اتصاله غير مباشر فقد أبلغنى أنور السادات
أن جمال عبد الناصر يسأل عن السبب فى عدم كتابتى للقصة فى تلك
الفترة ٠٠٠ ثم طلب منى عن طريق السادات أن أكتب قصة جديدة ٠٠٠

ولا أنكر أننى كأديب روائى يهمه أن يكون له قراؤه الذين يتتبعون
كتاباته ويحتفلون بما يقدم له من انتاج قصصى ، للدرجة التى يحسون
فيها بعدم تواجده فى دنيا الأدب عندما يتوارى ولو للحظات عابرة ٠٠٠
أقول ٠٠٠ أسعدنى نفسيا أن أسمع أن عبد الناصر وسط كل ما كان
يحيط به فى تلك السنة الأخيرة من حياته قد أحس بانقطاعى عن كتابة
الأدب القصصى ، ولكننى دهشت حقا لهذا الطلب ، لأن القصة تكتب
عندما يحس القصاص بأنه يجب أن يكتبها ٠٠٠ ولا تكتب القصة
عندما يطلب أحد من الأديب أن يكتبها ٠٠٠ وقلت للرئيس الراحل
أنور السادات ومن يضمن لى أن عبد الناصر ، سيقرأ بنفسه القصة
الجديدة التى سأكتبها ان قدر لى أن أكتب قصة جديدة » ٠٠

٠٠٠ وهكذا كان الزعيم الراحل جمال عبد الناصر من هواة قراءة
أدبه القصصى على الرغم من مشاغله العديدة وعلى الرغم أيضا من
محاولات مراكز القوى حينئذ الوقيعة بينه وبين عبد الناصر ٠٠٠ ومع
ذلك لم يسلم الأستاذ احسان من النقد اللاذع ممن يسمون أنفسهم ظلما
بالنقاد ارضاء لتلك المراكز ووصفهم اياه باللا أخلاقية ٠٠٠ بل ان أحدا
منهم لم يتورع ذات يوم عن أن يكتب مهاجما له بقوله :

« لا شىء يهم مَن يا ابن ال ٠٠٠٠ !! » فى الوقت الذى لم تكن
الرواية قد ظهرت فى عالم الكتب بعد ، وكل ما كان قد عرف عنها هو
عنوانها فقط (لا شىء يهم) !! ٠٠

قال لى الأستاذ احسان :

« آنا لا أحب تجريح الآخرين ، حتى لو جرحونى ٠٠٠ ولا أقبل لنفسى مقعدا لم أسع اليه طيلة عمرى ٠٠٠ هو مقعد القاضى الذى يحكم على الغير حتى فى مجال الأدب والنقد ٠٠ ! ولهذا أكتفى بأن أقول ٠٠٠ ان ما ظنه خصومى ، انحلالا وهبوطا وأدبا مكشوفا أو عاريا ٠٠٠ قصدت به أولا وأخيرا أن أدافع عن المرأة ٠٠٠ وقد أسأل كيف أدافع عن المرأة ثم أصورها فى موقف جنسى صريح مثلا ٠٠ ! ٠٠ والرد ببساطة :

أننى أحترم المرأة ٠٠٠ واحترامى هذا ، يجعلنى أرتفع بالمرأة الى مستوى من الاحترام يقترب من القداسة ٠٠٠ فهى أم الحياة وهى الأرض الخصبة التى بدونها لا تتحول بذرة الى الأحياء الى أشجار مثمرة٠٠وهذه النظرة نجعلنى أمقت مقتا شديدا أن أرى المرأة فى وصف مخالف لما يجب أن تكون عليه بالفعل ، ومن هنا فان غضبى لأى امتهان لكرامة المـرأة سواء فى الحب أو فى الحياة بوجه عام ، يتحول الى ثورة داخلية ٠٠٠ يعبر عنها قلمى بقسوة حينما يصور بصراحة الموقف السيىء الذى لم يرض عنه احساسى الراقى بالمرأة ، وما يجب أن تكون عليه ٠٠٠ وأضرب لك مثلا ٠٠٠ البطلة فى قصة « النظارة السوداء » وهى من بواكير أعمالى ٠٠٠ فتاة تبدأ صورتها فى القصة ومع بدايتها فتاة منحلة تماما ٠٠٠ تغير أصدقاءها كل ليلة كما تغير الثوب الذى تسهر به ٠٠٠ ! وهى تنتقل بين الرجال كما ينتقل الرجل السكير المدمن بين حانات الشراب ٠٠٠ بحثا عن كأس من شراب لم يجـربه بعد لكى يخمـد أنفاسه ، فيريحه من عذاب الشراب الذى تحول الى ادمان ٠٠٠ صورة صريحة قد يستغلها قلم ناقد متسرع وخاصـة اذا كان حاقدا أو مأجورا !! ٠٠ ليكتب عن احسـان عبد القدوس الكاتب المنحل صاحب مدرسة الأدب المكشوف !!

ولو أن نفس القصة تناولها قلم أمين وموضـوعى بالنقد النزيه لتذكر على الفور ٠٠٠ أن هذا الانحلال الظاهرى للفتاة ، يخفى وراءه نقاء نفسيا تبلور فى النهاية ليكشف عن طهارة شبه صوفية استطاعت بها الفتاة أن تقف فى وجه صديقها الفنان ، الذى حولته السياسة المنحرفة من انسان مثالى الى متاجر بأصوات الجماهير ٠٠ ثم ٠٠ ثم ٠٠ لو أن هذا الناقد النزيه ٠٠٠ رجع الى الوراء مع بداية القصة ذاتها ٠٠٠ لوجد أن صاحبة « النظارة السوداء » كانت ضحية عقـدة نفسية ، رباها عندها أهلها ، وكادوا يقتلون فيها احساسها الفطرى بالأنوثة وكدفاع غريزى عن أنوثتها تحولت بتعبير مريض عن كيانها كامرأة ٠٠٠ الى البحث عن

الدليل الذى تقنع به نفسها أولا .. وتقنع الآخرين من حولها . بانها رغم ما قيل عنها فى طفولتها ... أننى قادرة على الحصــول على اعجاب الرجال ... وهنا تتحول القصــة ببساطة من قصــة منحلة كما قيل عنها ... الى قصة دفاع فنى شريف عن المرأة وعن حقها فى أن يحترم أهلها ... وخاصة فى طفولتها احساسها بانوثتها ... هى درس اذن للآباء الذين يخلقون فى حياة بناتهم عقدا مدمرة قد تنحرف بهن الى مهاوى الرذيلة ... !

والفرق هائل بين قصة تدنس شرف المرأة وقصة تصفع جهل بعض الأسر بواجبها نحو عملية البناء النفسى السليم لبناتهن .. ! .. أنا اذن مدافع عن كرامة المرأة ... ولست هادما أو فاضحا لهذه الكرامة ...

والمسألة أولا وأخيرا هى زاوية الرؤية لما أكتبه من أدب ... عن المرأة التى كانت أخطر عامل مؤثر فى حياتى » ..

واذا طبقنا هــذه القاعدة على قصص « احســان عبد القدوس » لوجدناها حقا كلها تدعو للفضيلة وتمقت الرذيلة برغم ما فيها من الفاظ جنسية صريحة ومواقف واضحة الا انها دائما فى النهاية تحث المرأة على الحفاظ بكرامتها كمــا فى أين عمرى . الوسادة الخاليــة . أيام فى الحلال . لا تطفىء الشمس ... الخ ..

٤ ـ احسان ٠٠ والمرأة

٠٠٠ من المؤكد أن المرأة كان لها دور بارز في حياة كاتبنا الكبير احسان عبد القدوس ٠٠٠ وقد وضح تأثيره في كل ما كتبه وطبيعة الأشياء ، وسنة الحياة تنفى أن تأثره بالمرأة لم يتوقف عند أمه وحدها ، رغم ما كان لها من شخصية شمولية أثرت عليه وعلى كل من عمل معه ٠٠!

وقد كان لزوجته أثر آخر لا يقل أهمية ٠٠٠ فلولا ثقتها وهو في مطلع حياته كما سبق وأن ذكرت لما وجد الشجاعة الكافية على الاستقلال بنفسه استقلالا دفع أمه ذاتها الى الاطمئنان لقدرته على المضى فى الحياة ٠٠

تأثير آخر للمرأة فى حياته الى جانب مشاركة زوجته في مطلع حياته وحتى الآن من الناحية الانسانية وهو قدرة المرأة كما لمسها فى زوجته على الوقوف بجانب الرجل الذى اختارته شريكا لحياتها ٠٠٠ ومشاركته في أقسى المحن التي يتعرض لها ٠٠٠ وأقساها كما أعتقد ما تعرض له من سجن واعتقال فى سنوات ما قبل الثورة وما بعدها ٠٠٠ كان يشع فيه دائما قبس من ضوء استمده من صلابة زوجته ومشاركتها له فى كل ما عانى ، بقوة جعلته يؤمن بقوة المرأة في مثل هذه المحن ، وبقدرتها على البذل والعطاء ٠٠٠ حنانا وعطفا وتشجيعا ، يخلقان في قلب الرجل شجاعة لا حد لها ، وقدرة على الصمود في وجه الطغاة والجبابرة ٠٠

ويعلق الأستاذ احسان قائلا :

« ... أنني تربيت في مختلف المجتمعات النسائية وكلهن ذات فضل عليّ ... عمتي « نعمات هانم » التي تولت تربيتي منذ الأسبوع الأول من ميلادي وكانت الصدر الحنون الذي عوضني عن غياب أمي ولم تحاول قط أن تستحوذ على كل حبي ... بل كانت تساعدني كثيرا في لقاء أمي خفية من جدي الذي حرم عليها دخول منزله ..

وهناك أيضا « نيرمين » سكرتيرتي الخاصة أو كما أطلق عليها « نصف عقلي » فهي التي تنظم لي جميع مواعيدي وتعرف كل شيء عن أوراقي وأماكنها وتعيد تنظيمها من جديد حيث أنني فوضوي بطبعي... ووجود نيرمين مهم جدا في عملي وبدونها أشعر بارتباك شديد ولا أستطيع أن أعمل لذلك فأنا أعارض اجازاتها ولا أوافق اطلاقا على منحها أية اجازة طالما أنا موجود هنا في العمل ... وأتذكر أنها طلبت مني اجازة كي تسافر الى دمشق ولكنني كعادتي لم أوافق...فصممت على السفر، فأخذت أحايلها ربما تعدل عن قرارها هذا ولكنها أبدا لم تهتم ، فساومتها أن تلغي اجازتها وتبقى معي وأزوجها عبد الحليم حافظ ... ولكنها أيضا رفضت تلك المساومة وسافرت الى دمشق » ..

ملحوظة : قد لا يعرف الكثيرون أن نيرمين سكرتيرة الأستاذ احسان هي ابنة أخت زوجته ..

ثم استطرد في استعراض الشخصيات النسائية اللاتي أثرن في حياته قائلا :

« أن هناك العديد من النساء ، وقفت كثيرا أمام شخصية كل منهن ... يملأني الاعجاب والتقدير ، ويهزني من الأعماق ، ما أجده في هؤلاء النساء من مواهب طبيعية ، وقدرة غريبة على البذل ، والتضحية في سبيل ما تؤمن به كل منهن ... أذكر مثلا ـ السيدة خديجة بنت خويلد ... زوجة الرسول عليه الصلاة والسلام وكنت ولا أزال ، أحني رأسي خشوعا أمام عظمة هذه السيدة التي وقفت بجانب الرسول في سنوات الامتحان الأولى فضربت بهذا مثلا ... كيف تكون المرأة لزوجها ... زوجة وأختا وصديقة ، وسندا في الشدائد ، وعونا على المحن ..

ويقفز ذهنى الآن الى عصرنا الحديث وأقف باجلال لا حدود له أمام السيدة هدى شعراوى وأذكر مواقفها التى لا يمكن أن تنسى بسهولة وخاصة من شعب عرف بالوفاء كنيله الوفى ··· ويهزنى كفاحها من أجل المرأة المصرية وتأصيل مشاركتها فى الحياة العامة » ·

··· وهكذا يحكى لنا الأستاد احسان رايه فى المرأة وحبه العميق واحترامه العظيم لها والذى يصل لحد القدسية والمرأة كانت ولا تزال من اخطــر العوامل المؤثرة فى أدب احســان عبد القدوس ··· أليس من التناقض حقا أن يوصف بعد ذلك بأنه قصاص الجنس فى الشرق ··· وصاحب مدرسة الفراش فى الرواية المصرية !!

سألته هل هناك ثمة تناقض بين كتاباتك الصريحة عن الحب وبين كتاباتك السياسية ؟

قال لى بكل ثقة : « لقد كان جبرييل دانزيو بطل حركة التحرير الايطالية يكتب أشعارا عن الحب الملتهب فى أشد أيام الضيق التى مرت بوطنه وغاندى بطل الهند لم تمنعه رسالة الوطنية من أن يكتب فصولا مطولة فى كتابه « تجاربى مع الحقيقة » عن النساء اللاتى عشن فى حياته وتركن فيها قصص غرام عنيف ·· وشوقى الشاعر الذى قال « وما نيل المطالب بالتمنى » قال أيضا « مضناك جفاه مرقده » ·

« كل هؤلاء كانوا صادقى العاطفة ، سواء عنــدما هتفوا بالحرية لوطنهم أو عندما ترنموا بأناشيد الحب والغرام ··· أنهم فنانون صادقون ولن يصدق أحد منهم فى وطنيته الا اذا صدق فى التعبير عن كل احساس يثور فى نفس الرجل » ·



احسان عبد القدوس السياسي احسان عبد القدوس السياسي احسان عبد القدوس السياسي احسان عبد القدوس السياسي

إحسان عبد القدوس
السياسي

وقفة

قد يتساءل البعض هل يعتبر الأستاذ احسان عبد القدوس كاتبا سياسيا أو كاتبا روائيا بمعنى هل هو سياسى أم أديب ؟

هذا هو السؤال الذى لا يتوقف عن مواجهته منذ بدأ يكتب حتى اليوم ومن الغريب أن الناس هم الذين يطرحون هذا السؤال بينما هو لا يسأله لنفسه أبدا ٠

يقول أستاذنا احسان :

« أننى لا أسأل نفسى هذا السؤال لاننى لم أتعمد يوما الكتابة السياسية أو الروائية أى أنى لم أضع نفسى أبدا فى موضع الكاتب المحترف المتخصص فى الموضوعات السياسية أو الموضوعات الأدبية حتى فى دراساتى منذ كنت طالبا لم تنحصر هواياتى فى الأدب وحده أو السياسة وحدها وكنت خلال الحركات الوطنية أقضى يومى كله فى مظاهرات الطلبة السياسية ثم أعود الى البيت لأقرأ قصصا لا علاقة لها بالسياسة ولا بالحركات الوطنية واستغرقتنى القراءة خلال سنوات الجامعة وكنت أقرأ كثيرا خارج مقررات كلية الحقوق ولكنى أيضا لم أتخصص فى اختيار ما أقرأه وقد قرأت أيامها عن كل المذاهب والدراسات السياسية على مر التاريخ وفى الوقت نفسه قرأت عشرات من الانتاج القصصى العالمى ٠٠ كنت أقرأ كهاو لا كدارس وكنت أحس دائما عندما

اقرأ كأني سائح يطوف بالآثار الفكرية لكل الشعوب وهو ما لا أزال أحس به كلما قرأت كتابا جديدا .

« وربما كان عدم قدرتي على استكمال شخصية المحترف سواء كسياسي او أديب هو الذى وضعني دائما موضع المتفرج من بعيد فلم انضم يوما الى حزب أو هيئة أو تجمع سياسي بل وضعت نفسي خارج كل الأحزاب وكل الهيئات وهو ما دفعني الى اطلاق تعبير « الشارع السياسي » حيث أقف بعيدا عن مسئولية الاحتراف السياسي أقف فى الشارع .. وهو التعبير الذى أصبح بعد ذلك شائعا وأصبح له اثره في تقدير آراء وتصرفات محترفي السياسة .. كل منهم يريد أن يكسب الشارع السياسي.. وفى الوقت نفسه فان عدم استكمالى لشخصية الاحتراف الأدبى أى شخصيتي كأديب محترف هو ما جعلنى بعيدا عن كل التنظيمات والتجمعات الأدبية بل أننى كنت صاحب فكرة انشاء نادى القصة ثم صاحب فكرة اقامة المجلس الأعلى للفنون والآداب ورغم ذلك فقد وجدت نفسى منعزلا عن نادى القصة وعن المجلس الأعلى لمجرد أنى لا أستطيع بحث ومناقشة ما يخص الاحتراف الأدبى لأنى لا أستطيع أن أعيش شخصية المحترف ولذلك عشت واقفا فى الشارع الأدبى كما أنا واقف فى الشارع السياسى » ..

وهذا الجمع بين السياسة والأدب هو الذى حير الناس في تحديد شخصيته ككاتب والواقع انه عندما بدأ يكتب وينشر كتب قصصا وخواطر وانطلاقات أدبية وفنية ولكنه حينما عرف عند الناس عرف ككاتب سياسي وليس قصصيا على الرغم من أنه كان يكتب آراءه السياسية وانطلاقاته القصصية في آن واحد وكانت تنشر معا في مجلة روز اليوسف .. وفى أعداد روز اليوسف التي نشرت فيها قضية الأسلحة الفاسدة ـ مثلا ـ كان ينشر فيها أيضا قصة النظارة السوداء ولكن الذى قدمه الى القراء أيامها هو أن الأقلام كانت تعيش فى جو واسع من الحرية السياسية وهذه الحرية هى التى قدمته ككاتب سياسى أولا .. ثم بدأت حرية الأقلام بعد ذلك تتقلص سياسيا حتى لم يعد هناك مجال للتعبير عن كل آرائه .. فبدأ يهرب الى كتابة القصة لعله يستطيع أن يحملها من أفكاره وآرائه التى حرم من توصيلها للناس من خلال مقاله السياسى المعتاد ، وقد نجح فى ذلك كما رأينا ونحن نستعرض حياته الأدبية .. واحسان عبد القدوس يكتب فى السياسة برقة وخيال الأديب ويكتب الرواية بواقعية السياسي ..

قال لى الأستاذ احسان :

« أنا أرفض تقسيم نفسى الى كاتب سـياسى وكاتب قصصى لأنى لا أعتبر الفكر السـياسى يتطلب التخصص أو هـو فكر مقصـور على المتخصصين ·· ان الفكر السـياسى هـو مزيج من كل انطلاقات الفكر الآدمى ·· أى أن كل بنى آدم يعيش وهو يفكر سياسيا مهما اختلفت الطبقات ومهما اختلفت المستويات ·· والفلاح الأمى عندما يناقش تصرفات شيخ الخفر مثـلا فهو فى الواقع ودون تعمـد ودون وعى يدير مناقشة سياسية تقوم على نفس المنطق الحوارى الذى يناقش به رئيس وزراء مصر مع رئيس الولايات المتحدة ·· وست البيت عندما تناقش الأسعار أو علاقاتها بالبقال أو الخياطة هى فى الواقع تناقش الوضع السياسى المتحكم فى تنظيم الادارة وهى مناقشة تنتهى دائما بلعن الحكومة والوزير ورئيس الوزراء وربما انتهت الى ثورة ··

وهذا هو الذى يجعل كاتب القصة لا يستطيع أن يتحرر من فكره السـياسى ··

هذه وقفة سريعة أردت أن أقف عندها قبل أن أبدأ مع أستاذنا مشواره السياسى ككاتب صحفى يعيش السياسة بوجدانه وفكره قبل أن يكتب عنها بقلمه ··

١ ـ احسان لرئيس الوزراء :

أمى بتسلم على سعادتك ·· وبتقولك عاوزة شوية أخبار !!

عاش أستاذنا عالم الصحافة من صغره ، فقد كانت أمه أبرز صحفية فى عصرها ··· كانت صاحبة القضايا السياسية الساخنة ومنذ أن كان احسان فى فترة الصبا شرب المهنة من أمه ويبدو أنها كانت تعده لذلك ··

ففى صيف (عام ١٩٣٨) ، سافر احسان الى الاسكندرية لقضاء الاجازة ، بعد ظهور نتيجة البكالوريا ، مكافأة من والدته على نجاحه فى امتحان الشهادة واستيقظت ذات صبح مبكر ، بالفندق الذى يقيم به ، على مكالمة تليفونية عاجلة من القاهرة ··· حيث فوجىء بوالدته تخبره بأن مندوب روز اليوسف بالاسكندرية « على بليغ » مريض وأن عليه التوجه فورا الى رئيس الوزراء الموجود بالمصيف ليحصل منه للمجلة على آخر « تطورات الموقف السياسى » ، وأنهت والدته حديثها معه بعبارة قصيرة ومخيفة قالت فيها ·· (بسرعة يا احسان المطبعة واقفة ولازم التصريح يوصلنى قبل الظهر) ··· فوضع سماعة التليفون وقد طار النوم من عينه رعبا ، انتابته حالة من القلق لاحتمال الفشل ··· وذهب الى مقابلة محمد محمود باشا « وفى تراس » فندق سيسل المطل على البحر الأبيض وقف حائرا مترددا بين الاقدام وبين خجله وخوفه من هذه المجموعة من المشاهير التى تحيط « بدولة الباشا » تجىء النجدة له على

يدى « الشاعر المرحوم كامل الشناوى » فيدعوه للدخول مرحبا به بين دهشة «الكبار» الذين تصادف عدم معرفة أحد منهم له ، لأنه كان حتى هذه اللحظة بالنسبة لمجتمع أمه مجرد زائر عابر ... وما يكاد « صـاحب الدولة رئيس الوزراء يعرف شخصيته حتى يقبل عليه مرحبا في عطف يحس بالغبن مما زاد ارتباكه ... فيتعثر الكلام على لسانه فلا يكاد يبينه .. وبعد مقاومة عنيفة لخجله وارتباكه اللذين سيطرا عليه ، فوجىء الحاضرون بعبارة كادت تصيب معظمهم بالاغماء من كثرة الضحك ، حين قال : « ... أمى بتسـلم على سعادتك ... وبتقولك عاوزة شـوية أخبار ... !! » ..

يقول الأستاذ احسان : كان المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل ، أسرع الحاضرين تمالكا لنفسه بعد موجة الضحك التى انتابتهم ، فأسرع بطيب خاطرى ويمليني ما جئت لأجله من أخبار وتصريحات خطيرة ... ورغم كثرة ما حصلت عليه من أخبـار ، فلم أكن سـعيدا أبدا ... لا أدرى لماذا ؟ ولكنى أديت واجبى الصحفى ... وأمليت الأخبـار لأمى تليفونيا وكانت سعادتها لا توصف بنجاح ابنها فى أول مهمة صحفية يكلف بها رسميا من المجلة » ..

ولم تكد تمضى بضعة أسابيع على بدء الدراسة بكلية الحقوق حتى أحس بأن أمامه واجبا كبيرا يجب أن يقوم به ، لكى يحقق ما يريده ، واذا كانت دراسة القانون ستعطيه أسلوبا منظما فى التفكير فان عليه واجبا أكثر خطورة ، هو أن يحصل بنفسه وبجهده الذاتى على مادة هذا التفكير ... وكان عليه أن يحـدد بسرعة نوع المـادة التى سيتجه لتحصيلها ..

... وكانت مشكلة حقيقية بلا شك واجهت الفتى وهو فى مقتبل العمر اذ كان الاختيار صعبا وغير ميسر ... فأبوه « محمد عبد القدوس » الممثـل والكاتب المسرحى يحـاول أن يميل به الى عالم الأدب ليخلق منه الأديب المبـدع الذى كان يود أن يكونه هو شخصيا ! ... والأم الصحفية العنيدة والسياسية القوية الشخصية تريد أن ترى وحيدها صحفيا لامعا يرث من بعدها مجلتها ..

وينظر الفتى من حـوله فيجد فى مجال الأدب أعلاما كبارا ... كطه حسين وشوقى والعقاد والدكتور محمد حسين هيكل ... الخ . وفى مجال السياسة يرى الأحزاب من حوله تتصارع فى سبيل الوصول

الى الحكم مؤيدة القصر حينا والاستعمار الانجليزى حينا آخر ··· ويقع الفتى احسان فى حيرة بالغة ثم يقرر بثقة كاملة جريا على أسلوبه المعتاد فى التوفيق بين التناقضات فى حيـــاته أن يجمع بين دراســـة الادب والسياسة معا ··· ويتلقفه فى مجال الفــكر الســياسى شاب من أبناء الطبقة الأرستقراطية المصرية فى ذلك الحين هو المرحوم « أبو بكر حمدى سيف النصر » ·

يقول الأستاذ احسان :

« كان أبو بكر قد التحق بجامعة كمبردج فترة ، استطاع خلالها أن يدرس الفكر الشيوعى دراسة كاملة ، وعاد الى مصر ··· وكان صديقا لى منذ كنا أطفالا ··· وأحس أبو بكر بحيرتى الفكرية ، النــــابعة من رفضى للواقع المتعفن للأحزاب المصرية ورغبتى فى معرفة الطريق الذى يقودنى الى خدمة بلدى ··· وبدأ يمدنى بالكتب والنشرات التى تيسر لى دراسة الفكر السياسى دراسة علمية منهجية ··· وعن طريق ما آخذته من المرحوم « أبو بكر » من دراسات وما تلقيته فى كلية الحقوق من مواد سياسية ··· استطعت أن أضع يدى على مفتاح الطريق لخط سياسى . آمنت به طوال حياتى ·· طالبا ثم محاميا وصحفيا وأديبا ··· خط محركه الأول ··· ايمانى بالحب كقوة قادرة على كل تناقضـــات الفرد والمجتمع ··· اعتزازى بحريتى الشخصية ما دمت لا أوذى أحدا !! ··

كنت أحضر الندوات السياسية التى يدعونى اليها زميل دراستى (زكى هاشم) وزير الســياحة السابق ··· وأحضر فى نفس الوقت « الاجتماعات » التى يعقدها صديقى الشيوعى أبو بكر سيف النصر··· ووجدتنى فى النهاية غير قادر على الاستمرار معه ··· لأنى مصر على الاحتفاظ بحريتى فى التفكير ومناقشة أى رأى لا يعجبنى حتى ولو كان رأى ماركس ولينين ··· ! وقد قلتها له يومها ··· وما زلت على استعداد لتكرارها ألف مرة كل يوم ··· أنا أرفض الاقطاع ومستعد للموت فى سبيل محاربته ولكننى فى نفس الوقت أرفض سيطرة الطبقة العاملة وحدها على المجتمع لأننى ضد التسلط سواء أتى من أعلى أم من أسفل والحب هو صــــانع كل المعجــزات وهو الحل الأمثل والوحيـــد لكافة التناقضات ··

٢ ـ احسان في سجن الأجانب

ويستمر الصحفى الشاب احسان عبد القدوس فى العمل فى مجلة روز اليوسف ... سكرتيرا لتحريرها الى أن جاء يوما طالع فيه قراء المجلة بمقال خطير عنوانه « **هذا الرجل يجب أن يذهب** » وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره الا ببضعة أشهر منتهزا فرصة انتهاء الحرب العالمية الثانية وما تبعها من رفع الرقابة على الصحف فى عام ١٩٤٥ .

ويسترجع أستاذنا احسان هذا المقال الخطير فى حياته والذى خلق منه نجما لامعا فى عالم الصحافة ويقول :

« **كان المرحوم النقراشي باشا رئيسا للوزراء ، وكانت الأوساط السياسية والصحفية ، على اختلاف ألوانها الحزبية قد بدأت تتهامس بالحديث عن حادث ٤ فبراير عندما قدم لورد (كيلرن) سفير بريطانيا فى مصر انذاره الشهير عام ١٩٤٢ لفاروق بضرورة تعيين النحاس رئيسا للوزراء واذا كان الحادث قد مر يومها فى صمت صنعه الارهاب ، فان الفرصة بدت الآن مهيأ للحديث عنه ، أما بدافع النكاية فى الوفد من خصومه المزايدين ... واما بدافع الثورة للكرامة الوطنية من الشرفاء باعتبار الحادث عدوانا صارخا على السيادة المصرية ، حتى لو كانت هذه السيادة ممثلة فى ملك أجنبى من أسرة دخيلة ..**

ولكن ألم يكن الأستاذ احسان يدرك أنه سيصطدم بالضرورة بانجلترا بكل ثقلها العسكرى والسياسى فى مصر آنذاك ، وبالملك الذى شارك باستسلامه فى صنع المأساة وبالوفد بكل ثقله كحزب للأغلبيه الشعبية الساحقة وأخيرا بممثلى الاقطاع والرأسمالية المستغلة الذين هم بحكم مصالحهم أقرب بلا شك الى التعاطف مع الاستعمار الانجليزى الحامى لتلك المصالح ابان مهاجمته لورد كيلرن بمقاله الخطير فى مجله روز اليوسف عام ١٩٤٥ المنشور تحت اسم « **هذا الرجل يجب أن يذهب** » فى وقت كان صحفيا ناشئا لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره الا ببضعة شهور ·· وكان أول كاتب صحفى يهاجم لورد (كيلرن) ويشير الى أحداث ٤ فبراير ··

يقول الأستاذ احسان : « كنت أعلم كل هذا ··· ولكننى صممت على مهاجمة الحادث ومدبريه وعلى رأسهم اللورد (كيلرن) ، وكتبت مقالى الذى فجر الزوابع من حولى ، ولكنه فتح الباب على مصراعيه فى نفس الوقت لكل الكتاب لكى يهاجموا حادث ٤ فبراير بعد أن طلعت مجلة روز اليوسف على القراء وهى تحمل عنوان المقال الذى اهتزت له شوارب الأسد البريطانى العجوز ··· « **هذا الرجل يجب أن يذهب** » ··

ثم يستطرد قائلا :

« كان العدد قد نزل للسوق فى الصباح ، وكنت أجلس مع مجموعه من الزملاء « نخمن » رد الفعل الذى سيحدثه المقال سواء عند القراء أو عند السفارة البريطانية ، ولم يدر بعقولنا النظيفة أى شك فى موقف الحكومة . فالمقال ليس ضدها ان لم تكن فيه مساندة ضمنية لها باعتباره كشفا لموقف مخجل للوفد خصم الحكومة العنيد···ودق جرس التليفون· وكان المتحدث هو رئيسة تحرير المجلة ··· السيدة فاطمة اليوسف ولم تزد فى حديثها عن عبارة مقتضبة : « مش بطال يا احسان ··· أخبار التوزيع كويسة » ··· ووضعت السماعة ··· وكدت أرقص من الفرحة ··· أمى الصامتة ، الجادة معى منذ عملت تحت رئاستها تقول لى « مش بطال » ··· **لا شك أننى حققت نصرا هائلا** ··· صدقينى لست مبالغا فى وصف احساسى وقتها ··· وساعتها كنت مستعدا لتقبل أى شىء ومواجهة أى خصم مهما كان جبروته ··· كنا فى منتهى السعادة وقد جلسنا فى مرح نتبادل « القفشات » حول السفير البريطانى ، وغضبته المتوقعة ، وحزب الوفد والهجوم الصحفى الذى نتوقعه منه كرد على المقال ··· وفتح الباب فجأة ودخل آخر من كنت أتوقع دخولهما ···

« غول » البوليس السياسى « أميرالاى محمد ابراهيم امام » الذى كان يمثل عن جدارة ذراع الأخطبوط الارهابى للسلطة المعاديه للشعب والرجل الذى أوقع بكل الثوريين الشرفاء قبل ثورة ٢٣ يوليو وكان يسير خلفه . تابعه الأمين ، ومساعده الأول « البكباشى محمد الجزار » الذى منحه القدر ، لقبا معبرا باستحقاق عن الدور الذى لعبه فى حياة الشعب المصرى طوال الأربعينات وحتى ٢٣ يولية عام ١٩٥٢ ... كانت على وجهيهما الوسيمين مع الأسف ابتسامة رقيقة ، لا تقل رقة أو نعومة . عن نعومة الثعبان ورقة ملمسه .. ! ولكننى لم أنزعج أو يداخلنى أى خوف ... وتلقيت دعوتهما الخبيثة « للذهاب معهما للدردشة فى بعض الأمور » بمرح حقيقى ، وكأنى أتلقى دعوة من سفير لحضور حفل كوكتيل ... ولكننى رجوتهما الانتظار حتى أتناول العشاء الذى دعوت زملائى اليه ووافقا بكل بساطة وحب .. !

... وهكذا أحدث المقال رد الفعل المنتظر منه لدى السلطة الحاكمة ... وينساق الصحفى الجرىء الى سجن الأجانب فى منطقة « باب الحديد » لاجراء الدردشة فى بعض الأمور تلبية لدعوة رجال البوليس السياسى ! .. ويواجه أستاذنا لأول مرة فى حياته تجربة المبيت فى السجن .. وقد حاولت والدته السيدة فاطمة اليوسف أن تتحمل المسئولية نيابة عنه وأن تدخل السجن بدلا عنه ولكن الصحفى الثورى ثار وشهد مكتب وكيل النيابة مناقشة حادة بين أم وابنها كل منهما يريد ان يتحمل المسئولية وكل منهما يريد أن يدخل السجن وانتصر وكيل النيابة للصحفى الشاب احسان وأودعه السجن . وفى داخل السجن ترسل له خطابا مفتوحا تقول فيه : « .. الى ولدى السجين .. أحييك فى سجنك ، تحية أم وتحية مواطنة حملت قبلك شرف الجهاد فى قضية مصر .. وقد اختلط فى نفسى شعور الأم بشعور المواطنة ، فما أدرى بأيهما أعبر عن نفسى وأن فى قلبى ليستعر جحيمان .. جحيم الأمومة وجحيم المبدأ..وكلاهما قطع من العذاب..أحمد الله عليك أذن وأنت فى أول طريقك فى قضية مصر وقد نزلت منزلا كريما فى سبيل مبدأ كريم.. والسجن يا ولدى منازل الأحرار اذا دخلوه مدافعين عن حرية الرأى مناضلين فى سبيل الحرية فلا يرضون باحناء الرأس وتلجيم الفم من أجل متاع دنيا لا تدوم .. ثم أحمد الله على نفسى اذ أكرمنى وأنا ما زلت على قيد الحياة بأن أراك تحقق أملى فيك وتستقيم على المنهج الذى ربيتك عليه أن تكون لبلادك ولحرية الرأى وأنت لا تزال فى السن التى يكون فيها غيرك لمغامرات الشباب وأحلام والشباب ومناهج العيش الهنىء » ..

وعن تجربته في سجن الأجانب يقول أستاذنا احسان :

« انني كنت سعيدا بهذه التجربة ؟ ··· لقد أحسست بالدهشة في البداية عندما علمت أن قرار القبض علىّ صدر من النقراشي نفسه ، رغم أن المقال لا يمس حكومته من قريب ولا من بعيد ··· ولكن الدهشة تلاشت بسرعة بعد أن وصلت الى اليقين الذى كنت أسعى وراءه ! ··· ها هو النقراشي كغيره من زعماء الأحزاب ··· قد يكون وطنيا ، ولكن ضد التقدم ولا أمل فيه بالنسبة لجيل الشباب المتطلع الى فجر جديد ··· وعندما وصلت الى هـذه النتيجة أحسست بالراحة ··· بل وبالفرحة بالتجربة التى أتاحها لى قرار النقراشي بسجنى ··· لقد نسيت تماما أننى سجين ، وتحولت الى « دراسة » السجن والتعرف على السجناء معى المختلفين فى الجنسيات ·· والقضايا ·· فيهم الافريقى الأسود والآسيوى الأصفر···والأوروبى الأبيض···وفيهم المزور والنصاب . والجاسوس·· ولص البواخر ··· والمهرب ··· وأغرقتنى أقاصيص الحياة هناك فى داخله ، وشخصيات المساجين الأجانب الذين كانوا خليطا غريبا من كل دراما رائعة أنستنى عذاب السجن ذاته··

وكان احساسى بالسعادة لا يقاس وأنا أرى زوجتى الشابة تحضر الى كل صباح ، تحمل لى الطعام من البيت ، وتحمل مع الطعام ··· ابننا الرضيع «محمد» ·· » ··

ويخرج الصحفى الشاب احسان من سجنه سعيدا بتلك التجربة المفيدة والتى أتاح له من خلالها التعرف على الحياة فى داخله وشخصيات المساجين متعددى الجنسيات ··· وتقيم له السيدة روز اليوسف حفلة كبيرة تسمح له فيها أن يدخن أمامها ·· للمرة الأولى ·

يقول الأستاذ احسان :

« قالت لى أمي وهى تشير الى مكتبها باعتبارها رئيسـة تحرير المجلة ··· أقعد يا احسان على مكتبك ··· ولم أفهم ماذا تقصـد ··· أن مكتبي كسكرتير تحـرير روز اليوسف يقع فى تواضـع فى حجرة أخرى ··· والمكتب الذى تشير لى والدتى بالجلوس اليه هو مكتب رئيس التحرير أى مكتبها هى ·· !! ولأول مرة منذ تخطيت مرحلة الطفولة ، ترى عيناى حنـان الأمومة ورقتها يسيلان فى عذوبة من عينى فاطمة اليوسف المرأة القوية على نفسها وعلى من حولها ··· واقتربت منى ببطء وكأنها تؤدى طقوسا دينيـة ذات رهبـة وجـلال وسحبتنى من يدى

المرتجفة ، وأجلستني على مكتبها ثم قبلتني قبله حب استقبلها قلبي قبل أن يحس بها جبيني ، وقالت لى وشفتاها ترتجفان بانفعال غلبها ... ربما لأول مرة في حياتها ... « دى مجلتك ولازم تتحمل مسـئوليتها يا احسـان ... أنا من حقى ارتاح بقى » ... وأفقت من ذهـولى على صوتها وقد بدأ يسترد نبرته القويه العاتية وهى تستطرد « وما تنساش انك اتخرجت خـلاص من المعهـد اللى تخـرج فيه كل رؤسـاء تحرير روز اليوسف قبلك !! ووقتها فقط . صدقت أن أمي جادة فيما قالت . وأنني أصبحت فعلا أصغر رؤساء التحرير سنا فى مصر ... لأنى عينت بقرار السـيدة فاطمـة اليوسف ... خلفـا لها فى رئاسـة تحرير « روز اليوسف » التى شاء القدر الواعى وربما المصادفة البحتة أن يمر كل رؤساء تحريرها بتجربة السجن من أول الدكتور محمود عزمى ثم التابعى ... الى أمي فاطمة اليوسف نفسها . وقد كانت أول صحفيه مصرية تدخل السجن » ..

٣ ـ احسان ٠٠ والوصايا العشر

مع تنازل السيدة روز اليوسف عن مقعدها لابنها احسان ليتولى مهام مجلة روز اليوسف وضعت أمامه على المكتب هذه الرسالة التي نشرت في نفس الأسبوع :

ولدى رئيس التحرير ٠٠

عندما اشتغلت بالصحافة وأسست هذه المجلة ٠٠٠ روز اليوسف كان عمرك خمس سنوات ، وقد لا تذكر أني حملت العدد الأول ووضعته بين يديك الصغيرتين وقلت : هذا لك ٠٠

ومرت عشرون عاما ٠٠٠ قضيتها ، وأنا أرقب في صبر وجلد ، نمو أصابعك حتى تستطيع أن تحمل القلم ، ونمو تفكيرك حتى تستطيع أن تقدر هذه الهدية التي كونتها بدمي ٠٠ وأعصابي خلال سنين طويلة ، لتكون لك اليوم والآن ٠٠٠ وقبل أن أضعك أمامي لأواجه بك الناس٠٠٠ دعني أهمس في أذنيك وصية أم الى ابنها ، وبوصية جيل الى جيل ٠٠٠

— مهما كبرت ، ونالك من شهرة ، لا تدع الغرور يدخل نفسك ، فالغرور قاتل ٠٠٠ وكلما ازددت علما وشهرة ، فتأكد أنك لا زلت في حاجة الى علم وشهرة ٠٠

— وحافظ على صحتك ٠٠٠ فبغير الصحة لن تكون شيئا ٠٠

— ومهما تقدمت بك السن ، فلا تدع الشيخوخة تطغى على تفكيرك .. بل .. كن دائما شاب الذهن والقلب ، وتعلق حتى آخر أيامك بحماسة الشباب ..

— حارب الظلم أينما كان وكن مع الضعيف على القوى ولا تسأل عن الثمن ..

— حاسب ضميرك قبل أن تحاسب جيبك ... ولعلك فهمت .. كن قنوعا .. ففى القناعة راحة من الحسد والغيرة ..

— ثق أنى دائما معك بقلبى وتفكيرى وأعصابى ... فالجأ الى دائما وأخيرا ... دع أمك تسترح ... قليلا ..

وذهلت وأنا أقرأ تلك الرسالة العظيمة التى كتبتها السيدة الفاضلة « فاطمة اليوسف » ووجهتها الى ابنها الوحيد « احسان » لحظة توليه رئاسة تحرير مجلة روز اليوسف عقب خروجه من سجن الأجانب ... والتى لم يعتز فى حياته برسالة مثلها ــ كما قال لى ــ انها لم تكن وصية أم الى ابنها قط بل أنها كانت فى الواقع وصية من بطلة تمثل جيلا بأكمله عانت الكثير من المتاعب والمصاعب بل وزج بها الى السجن لكى تحتفظ بصحيفتها وباستقلالها الفكرى وعدم التبعية لأى من الأحزاب التى كانت تسيطر على الحياة السياسية فى مصر الأربعينات بل كانت منبرا يلتف حوله كافة القيادات الثورية فى مصر فى ذلك الحين ..

... ويتكلم الأستاذ احسان عن أمه بكل اجلال وتقدير فهى البطلة التى عانت من المحن والمتاعب ... وهى الرائد والمعلم الأول سواء فى الحياة أو فى المهنة ... فيقول :

« لم تعترف أمى بكل ما كتبته فى مجلتها من قبل ، ولم تعترف بشهادة الليسانس التى حصلت عليها عقب تخرجى من كلية الحقوق ! لم يكن هذا كافيا ... لكى تثق فى أن ابنها أصبح قادرا على قيادة مجلتها ... فقد كانت تؤمن بأن المناخ السياسى الذى يعيش فيه الشعب آنذاك لا يسمح بأى نوع من المهادنة أو أنصاف المواقف .. وعلى حامل القلم أن يقول صراحة عن طريق قلمه ... هل هو مع الشعب أم ضده ... وكان على أن أنتظر حتى تأتى المعركة الحقيقية التى أحدد فيها موقفى بشجاعة ، ولم يكن ممكنا أن « أفتعل » معركة كاذبة لن تنطلى على ذكاء فاطمة اليوسف . وعندما لاحت الفرصة لم أتردد ، وضربت

ضربتي ، وكان الثمن أول قرار بالقبض على في جريمة رأى ... ثم خرجت من السجن لأجد في انتظارى رئاسة التحرير ... ومن هنا ... وجدت نفسى مندفعا فى الطريق حتى النهاية . وكانت النهاية هى قيام ثورة ٢٣ يولية وكانت أمي وأستاذتى قد تركت لى حرية التصرف تماما ولكننى كنت أشعر بأنها ترقبنى فى صمت ... وأحس بأن عقلها يحلل فى هدوء كل حركة أتحركها ، وكل كلمة أكتبها ... وكل سكوتها يعنى أننى على طريق الصواب وأننى ما زلت كما بدأت منحازا لصف الشعب » ..

هذه الرسالة التى لخصت فيها فاطمة اليوسف ... كما قالت بنفسها وصية جيل لجيل .. أجد خلاصة دقيقة للمنهج الذى يلخص حياة احسان عبد القدوس كلها بجميع منطلقاتها الشخصية ... والأدبية والسياسية ... ولو أننا استرجعنا كلمات الرسالة ، لوجدنا فاطمة اليوسف ، دون وعى ... أو بوعى كامل منها ... تلخص فى كل عبارة من عبارات الرسالة ، مكونا أساسيا ، من مكونات شخصيته على المستويين الفردى الخاص ، والاجتماعى العام ..

نذكر منها العبارة التى تقول : وكلما ازددت علما وشهرة ... فتأكد أنك ما زلت فى حاجة الى علم وشهرة ... واذا طبقنا هذه العبارة على حياته نجد أنه منذ أن وعى على الدنيا وحتى اليوم ، لم ينقطع عن القراءة بكل نواحيها الأدبية ... أو السياسية ، لأنه يؤمن تماما بأن العقل فى حاجة الى غذاء مستمر ، لتتجدد خلاياه وتستمر قدرته على الابداع والخلق ، بل على مجرد التفكير السليم المعايش لعصره ... وقد أثمرت هذه القراءات المستمرة بأن جعلته على اتصال بعصره فى كل نواحيه ... هذا من جهة ... ومن جهة أخرى فان القراءة المستمرة لما تنتجه عقول الآخرين ... تبعد عن الانسان آفة الغرور ... لان ما يقرأه باستمرار يؤكد له ، أن فى العالم من يسبقه دائما ... فيجب أن يكافح باستمرار ليحافظ على ما هو عليه الى جانب الأمل فى تحقيق كل ما هو جديد ..

شىء آخر يعرفه الجميع عنه وهو فى تصورى من وحى هذه العبارة التى كتبتها رائدته ومعلمته الأولى ... الزهد فى الشهرة ، زهدا وصل به الى مرحلة الخجل من لقاء الناس ... ولعل هذا هو سر عزوفه عن الأضواء بوجه عام من ناحية ... وعن أى مجال يضطر فيه للكلام من

جهة أخرى ··· فهو أميل الى التعبير عن نفسه بالقلم ، ولهذا نجـده يرفض الاحاديث الاذاعية ويكره الظهور على شاشة التليفزيون زاهدا فى الوقوع تحت دائرة الأضواء ··

··· وهكذا فهم الأستاذ « احسـان عبد القدوس » ما تعنيه امه تماما من رسالتها هذه ··· وجاءت الأحداث مؤكدة هذا الفهم لمبادىء الأم الى أقصى مدى ··· ففى الواقع أنه منذ تولى أستاذنا رئاسة تحرير مجلة « روز اليـوسف » لم يكف عن مقـالاته الثورية الرافضة لخطايا الحكم ··· فلم يرهبه السجن بل اعتاد عليه تكرارا فى سبيل كلمته الحرة الجريئة ··

ففى مقال نشر تحت عنوان « اقرأ مـرة أخرى » فى عـــام ١٩٤٨ كتب يقول :

« ··· أن أحدا لا يريد أن يضحى من أجل مصر ، ولا عمل يمكن أن يتم ولا خطوة يمكن أن نخطوها ، الا اذا كانت هناك تضحية ، وتضحيه أكبر ضخامة من الظلم الذى تعانيه مصر فالفقير لا يملك ما يضحى به ، والغنى لا يريد أن يصبح فقيرا والسجين لا يستطيع حراكا ، والحر لا يريد أن يكون سجينا والميت لا يستطيع أن يقوم من رقدته ، والحى لا يريد أن يكون ميتا ولا شهيدا ··· واذا أردتم لمصر شيئا ، فضعوا الرءوس فى حبال المشانق ··· ثم اهتفوا بسقوط الظلم ··

ويعلق أستاذنا على هذا المقال فيقول :

« كان مقالى هذا ··· تعبيرا صريحا عن انحيازى النهـائى لرجل الشارع ، وهو الانحياز الوحيد الذى سمحت به لنفسى طيلة عمرى ·· ولا زلت مؤمنا به ، لايمانى الكامل بأن رجل الشارع فى صدقه وبساطته قادر على أن يعطى لأعظم الساسة المفاتيح الحقيقة النظيفة لكل مشكلة ·· لهذا آمنت منـذ البـــداية بالشارع السياسى ، واعتبرت نفسى ابنـا أمينا له ··· ما يصيبه يصيبنى ، وما يحدث فيه يتردد صداه فى حياتى وعقلى فكرا وعملا » ··

يقول الأستاذ احسان : « ··· كان المقال بالنسبة للسلطة وثيقة لاعلان الحرب بينى وبينها ··· لقد ناديت علنا بسقوط الظلم ··· ولكى يسقط الظلم يجب أن يسقط الظلمة ··· أى القصر والانجليز والحكومات

العميلة كليهما ووجدتني في مواجهة الأمر الواقع ٠٠٠ خصما للسلطة وصديقا لكل الثوار ٠٠٠ ولكن أين هم ، وأين أجدهم ؟

لقد كنت رافضا للنظام الملكي من أساسه باعتباره نظاما ضد التطور ، فاذا ما ارتبط هذا النظام بالاستعمار الاجنبي وأصبح ذيلا له ، وجب الاسراع بالقضاء عليه بالأسلوب الثورى الحاسم ٠٠٠ ومن هنا أحسست بالحاجة الى اللقاء السريع مع كل الثوار الحقيقيين ٠٠٠ وبدأت رحلة البحث عنهم حيث يختفون تحت سطح الحياة المصرية ٠٠٠ وكانت مرحلة محفوفة بمخاطر البحث عن المجهول وكانني مغامر استهوته سيرة كنز مخبوء في وادى الموت فسعى وراءه راكبا الأهوال ٠٠٠ كما تحكى الأساطير » ٠٠

٠٠٠ وهنا يتجلى بوضوح الشجاعة والجرأة التى يتمتع بها قلم احسان عبد القدوس فى وقت سيطر فيه الاستعمار الانجليزى بجبروته على مقاليد الحكم وارتمى فى أحضانه كل من الملك والأحزاب السياسية ٠٠ ولكن أين بحث عن هؤلاء الثوار المختفين تحت السطح ؟

يقول أستاذنا :

« كان على كشخص حدد موقفه فى الواجهة المعادية للسلطة الخائنة، أن أساعد على فضح مخازيها وخطاياها أمام الشعب ، وكنت واثقا من أن كل خبر يكشف عن فضيحة جديدة من فضائح الطبقة المستغلة ، سيزيد من عدد الثائرين ، ويقرب الشعب من يوم الانفجار الذى يطيح بأعداء الشعب ٠٠٠ ولهذا حولت باب أسرار المجتمع فى المجلة الى شبه تقرير سياسى ، وتحليل اجتماعى دقيق للفساد الأخلاقى والسياسى الذى تعيش فيه الطبقة المستغلة طوال الأسبوع ٠٠٠ ولكى أضمن دقة « الأسرار » التى أنشرها ، استعنت بأصدقائى من أعضاء نادى الفروسية وغيره من النوادى الكبرى التى كانت مغلقة آنذاك على العائلة المالكة والطبقة العليا فى المجتمع ، وقد أعاننى فى هذا الواجب الوطنى ، اثنان من خيرة الأصدقاء هما « أحمد ياسين » و « اسماعيل سرى » وكانا من ضباط الجيش الساخطين على الملك ووزرائه ، وكانا يقدمان تقريرهما الأسبوعى لمحرر باب أسرار المجتمع « صلاح حافظ » الذى يحول كل خبر الى قنبلة تدوى فى آذان القراء » ٠٠

٤ ـ احسان والاخوان المسلمون

كان الشاب الثورى احسان مؤمنا فى قرارة نفسه ، بأن مصر الخالدة تحمل فى أحشائها جنين الثورة لأن ما يحدث على أرض الواقع المصرى ، كان يصرخ بحتمية الثورة ، لتعيد الى مصر وجهها الصحيح . وللحياة المصرية صورتها النظيفة ، وكان موقنا بأن بذرة الثورة تكمن فى مكان بعيد عن السلطة وأن الثوار الحقيقيين يختبئون بعيدا عن الأضواء وعن المغانم الحرام التى كانت الأحزاب الرسمية قد تردت فى قاعها الدنس وقرر الاتجاه الى التجمعات الثورية ... وكان لقاؤه الأول مع حسن البنا ..

يقول الأستاذ احسان :

« كان مبعث اهتمامى بالاخوان المسلمين ، تأكيدهم على مبدأ الشورى المعروف فى الاسلام والذى يمثل رفضا ضمنيا للنظام الملكى الوراثى،واتجاها عاما للنظام الجمهورى ورغم أنهم لم يعلنوا صراحة رفضهم للنظام الملكى الذى كنت أعاديه علنا ... الا أننى قررت التعرف عليهم عن قرب » ..

... كان الأستاذ احسان أول صحفى مصرى يلتقى بحسن البنا « مرشد جماعة الاخوان المسلمين » وقد أجرى معه حديثه المشهور الذى نشرته روز اليوسف تحت عنوان « **الرجل الذى يقود نصف مليون** » ..

سألته عن الهدف الذى كان يبتغيه من لقائه بالمرحوم حسن البنا ؟

فقال :

« كان هدفى من هذا اللقاء التعرف على حقيقة هذه الجماعة ٠٠٠ ومدى ثوريتها وفهمها لظروف المرحلة التى يجتازها الواقع المصرى ٠٠٠ كنت أريد أن أعرف طريقة تفكير حسن البنا ومنهجه العملى المتصل عن ضوء الخطوط العريضة المعلنة للجماعة ككل » ٠٠

وقد أثمر هذا اللقاء عن علاقة ود ومحبة ربطت بينه وبين حسن البنا امتدت حتى مصرعه ٠٠٠ وبعد ذلك توقفت علاقة كاتبنا بهــذه الجماعة تماما فلم يجد لديهم ما كان يبحث عنه بالاضافة الى أن الشخصية الوحيدة التى كانت تقنعه ـ حسن البنا ـ قد غابت عنهم فلذلك لم يجد معنى لاستمراره معهم ٠٠

يعلق الأستاذ احسان عن هذه الفترة من حياته قائلا :

« ٠٠٠ كنت أريد خطوطا واضحة مفصلة ولم أجد لديهم ســوى وجهه نظر عريضة وعائمة فى كثير من نواحيها ٠٠٠ كما أننى لم أجد من يقنعنى هناك سوى شخصية حسن البنا نفسه . رغم أننى أخذت عليه يوما أثناء مناقشتى له محاولة اقحام النصوص الدينية فى الحوار . بشكل يفرض على الاستسلام لوجهة نظره وهو أسلوب لا أستريح له فى أية مناقشة فكرية ، لأن ادخال ما لا يقبل الجدل والمناقشة فى الحوار الدائر بين الطرفين ، فيه نوع من الارهاب الفكرى يسلب الحوار حرية الحركة بين الطرفين المتحاربين ٠٠٠ كما أننى رفضت بشدة كل المحاولات العديدة التى حاولها المرحوم حسن البنا ، لضمى الى جمــاعة الاخوان كعضو منظم فيها » ٠٠

وينتشر بسرعة هذا التقارب الذى بدا واضحا بين الصحفى الجرىء وبين الاخوان المسلمين ٠٠٠ وبدأت التلميحات تطارده بأنه موشك أن « يلبس العمامة » ويحمل لقب « الشيخ احسان » وهو لقب يعنى انحياز صاحبه الى وجهة نظر واحدة وهو ما يرفضه الأستاذ احسان تماما حيث يؤمن بالثورية ٠٠ ولكن الثورية المطلقة من قيود التنظيم الحزبى ٠٠٠ لأن الانتماء الحزبى ، يحرم الفرد من حقه الطبيعى فى الحرية الفكرية ، ويجعله مرغما على الخضوع لوجهة نظر واحدة دائما٠٠حتى لو جانبها الصواب٠٠ وهذا ما يرفضه وسيظل يرفضه طيلة عمره » ٠٠

ويتصرف أستاذنا دفاعا عن تلك الثورة المطلقة سريعا وبدكاء حاد كعادته دائما وينشر في مجلة روز اليوسف ولأول مرة في تاريخ الصحافه العربية « برنامج الحزب الشيوعى » ويقع الناس فى حيرة بالغه من امر هذا الكاتب ··· هل كان مسلما متعصبا حين نشر حديثه المشهور مع « حسن البنا » واذا كان كذلك فهل يمكن أن ينقلب فجاة الى شيوعى متحمس الى درجة التهـور الذى يدفعه الى نشر بيـان وبرنامج الحزب الشيوعى ··

يجيب الأستاذ احسان عن ذلك قائلا : « ··· لست مسلما متعصبا ··· أنا مسلم فحسب ··· ولست شيوعيا ولن أكونه يوما ما ··· ولكننى ابن طبيعى لطبقتى المتوسطة . بكل مزايا وعيوب هذه الطبقة . وكل ما عملته آنذاك ، كان تعبيرا أمينا عن رفض طبقتى لما كان يجرى على أرض الواقع المصرى » ··

٥ ـ احسان الشيوعى رقم ١ فى مصر

فى عام ١٩٤٥ تقدم الأستاذ احسان بطلب الى السفارة الأمريكية يطلب تأشيرة لدخول الولايات المتحدة ٠٠٠مدركا أن الولايات المتحدة الأمريكية ٠٠٠ وقد قادت « الحلفاء » الى النصر الساحق على «دول المحور» ستلعب دورا شديد الخطورة على المسرح السياسى العالمى ٠٠

وكرئيس تحرير لمجلة رأى ، فقد رأى من واجبه أن تكون أول رحلة خارجيـــة له الى أمريكا نفسها ٠٠٠ ولكنــه فوجىء بأن السفارة الأمريكية ترفض منحه تأشيرة الدخول المطلوبة٠٠٠باعتباره « الشيوعى رقم ١ » فى مصر !! ٠٠٠

ولكن ما هى حكاية هذا اللقب ؟

يقول أستاذنا :

« الحكاية أنى كنت قد جمعت فى روز اليوسف أغلبية من الصحفيين والكتاب الشيوعيين ٠٠ لا لأنهم شيوعيون ٠٠ ولكن لأنهم ثوار ٠٠ وذلك بجانب كثير من الكتاب والصحفيين المنتمين الى اتجاهات أخرى ولكنهم كلهم ثوار ٠٠ كالشيخ حسن الباقورى وكان من الاخـوان المسلمين ، والأستاذ عبد القادر حاتم من الضباط الأحرار ٠٠٠ و ٠٠٠ و ٠٠٠ ولكن وجـود الأغلبية من الشـيوعيين جعلت المخـابرات الأمريكية تصـنف روز اليوسف بأنها « مركز التجمع الشيوعى بالشرق الأوسط » وأنا أقود

هذا التجمع ·· وقد بقيت ممنوعا من دخول أمريكا الى ما بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو بعدة سنوات الى أن اكتشفت المخابرات الأمريكية أنى لست شيوعيا ولم أكن أبدا شيوعيا ·· وفى عام ١٩٦٠ وجهت لى دعوة من الخارجية الأمريكية لزيارة أمريكا وتعمدت تأجيل موعد هذه الدعوة عاما كاملا كأنى أقول لأمريكا أنى لست فى حاجة اليها··ثم سافرت واستقبلت هناك استقبالا فى منتهى الكرم » ··

ثم يقول الأستاذ احسان :

« وأيضا عندما سافرت فى رحلة الى فلسطين عام ١٩٤٥ وهناك احسست بالخطر القادم ··· ففى تل أبيب رأيت عرضا عسكريا مخيفا زعم منظموه أنه عرض للكشافة رغم أن الأسلحة الأوتوماتيكية التى قدمت فى العرض لا يسمح بحملها لأى كشاف فى العالم ··· وفى مقر الوكالة اليهودية حيث أجريت حوارا طويلا مع قادتها ، عرفت حقيقة ما يدبر لفلسطين ، وزادت الحقيقة المحزنة وضوحا أمام عينى عندما رأيت وأنا حزين على الجانب العربى أحد عشر حزبا متنافرا ، يحارب كل منها الآخر ويتهمه بأبشع الاتهامات ··· وعدت لأكتب مقالى المعروف « **لقد ضاعت فلسطين** » ولم تغفرها لى «الوكالة اليهودية» ومن ورائها « وكالة المخابرات المركزية الأمريكية التى كانت تخطط مع قيادة الصهيونية العالمية لاغتصاب فلسطين » ··

ويستطرد الأستاذ احسان قائلا :

« فى هذه الزيارة لفلسطين تعرفت باثنين هما الأستاذ المرحوم سليم اللوزى والأستاذ ناصر النشاشيبى أو سعيا للتعرف بى ، ولم يكونا قد عرفا بعد ككتاب وصحفيين ·· وقد جاءا ورائى الى مصر حيث بدآ فى اقامة مجدهما ككتاب ·· وأصبح سليم اللوزى سكرتيرا لتحرير روز اليوسف ·· وأنا أفخر دائما بأنى كنت أول من اكتشف هذين الصديقين » ··

··· وهكذا انطلق الأستاذ احسان بكل قوة ··· مندفعا فى حماسه الثورى الى أقصى مدى ··· متحررا من قيود التبعية الحزبية الى البحث عن الثوار المختفين تحت السطح فى كل مكان ، ولهذا نجده لا يقتصر اهتمامه على الاخوان المسلمين ولا الشيوعيين اذ ذاك ··· بل يتجه باهتمامه أيضا الى « الأجنحة الثائرة » فى الأحزاب الحاكمة نفسها·· أملا فى الحصول على واجهة للثورة المقبلة الآتية بلا ريب والتى بدأت نذرها تلوح فى الشارع السياسى المصرى ··

... وهنا تتقابل خواطرى مع خواطر الأستاذ احسان وكأنهما على موعد ... فيقول لى :

« تحولت مجلة روز اليوسف الى بؤرة للمجتمع الثورى تضم كل الرافضين لأخطاء الحكم وفساده ... ولأنى قررت أنه يجب أن نحدث الثورة فى البلد فجمعت فى روزاليوسف أكبر عدد من المحررين الشبان . ضمته صحيفة أو مجلة مصرية فى ذلك الوقت . لم تكن تهمنى عقيدة أو مذهب المحـرر ... سواء كان من أعضـاء الحزب الوطنى أو الاخـوان المسلمين ... أو الشيوعيين ... المهم أن يكون ثائرا على القصر والأحزاب والانجليز والأرستقراطية المتمصرة ... صحيح أن يأسى من « الاصلاح » اندفع بى فى اتجاه الثورة باعتبارها طريق الخلاص الوحيد ، وأن هذا الاندفاع أخذ فى حياتى كل المسالك ... كمساندة التجمعات الثورية العلنية . كالاخوان المسلمين الذين كانوا يمثلون فى تلك المرحلة نوعا من الرفض لما هو قائم ، والعناصر الجيدة الشابة فى الحزب الوطنى وفى حزب الوفد ... ومصر الفتاة ... الى التجمعات السرية كالشيوعيين . هذا الى جانب اندفاعى العنيف فى كتاباتى السياسية ، ذلك الاندفاع الذى وصل بى الى حد كتابة مقال صريح أؤيد فيه مصرع أمين عثمان ... الوزير الوفدى ... وألتمس العذر لقاتله حسين توفيق لأنه أزاح من طريق الشعب واحدا من الخونة ، الذين باعوا ضميرهم للمستعمر ... ولكننى وسط هذا الضجيج السياسى كنت أخلو كل ليلة بالمجلة مع القصة ... أقرأها أو أكتبها على السواء ، وجاء نتاج هذه المرحلة من أدبى القصصى ، تعبيرا فنيا عن نظراتى لمجتمع ذلك العهد ، بكل فساده السياسى والاجتماعى وهو نوع من القصص يقترب من « الريبورتاج السياسى » أكثر من اقترابه من القصة بشكلها الأدبى السليم ... كما يتضح من مجموعتى « بائع الحب » و « صانع الحب » ..

فى الواقع أن الأستاذ احسان كان ينتقل الى كل مكان على أرض مصر الحبيبة ... بمجرد توقعه سماع أية كلمة واحدة فيها سخط على الملك ... أو ثورة على الاستعمار أو رفض للنظام الحزبى المتجمد والمرتمى فى أحضان القصر تارة والاستعمار الانجليزى تارة أخرى ... ولذا فاننا نجده يتجه الى ندوة الأهرام المحافظة والتى كان يعقدها أنطون الجميل فى الأهرام ..

يعلق الأستاذ احسان على هذه الندوة قائلا :

« التقيت فى تلك الندوة التى صحبنى اليها المرحوم كامل الشناوى بكل « الكبار » من أدباء مصر ومفكريها ، والمتحررين من رجال السياسة، الذين استطاعوا أن يحفظوا لأنفسهم نظافة السمعة ··· وهناك تعرفت بواحد من أصدقاء عمرى هو « حفنى محمود باشا » وقد أعجبنى فيه أنه رغم انتمائه لحزب من أبعد الأحزاب المصرية عن الجماهيرية ، وأقلها تعبيرا عن القاعدة الشعبية العريضة ، وهو « حزب الأحرار الدستوريين » الا أنه كان واسع الأفق بشكل مذهل ، وكان حاضر البديهة ، قادرا على توجيه النقد ولو لحزبه بطريقة ساخرة ومرحة ترغم حتى من يسخر منهم على الضحك ·· ولعل أبسط دليل على سعة أفق حفنى محمود ، أنه لم يكن يتردد وهو من أقطاب الأحرار الدستوريين فى الذهاب معى الى ندوة المصرى ··· عندما أسهر هناك ومعظم أعضائها البارزين من حزب الوفد، الخصم التقليدى لحزب الأحرار » ··

وينجه الأستاذ احسان : أيضا الى الندوة التى كان يعقدها الأستاذ أحمد أبو الفتح فى جريدة المصرى ··· تلك الندوة التى كانت أقرب الى الشعبية فى فكرها وروادها حيث التقى هناك كما يقول ولأول مرة بالمرحوم الدكتور محمد مندور وحيث يتعرف عن قرب على واحد من ألمع شباب الوفد ـ اذ ذاك ـ هو المرحوم الدكتور عزيز فهمى ـ ـ ابن عبد السلام « باشا » فهمى ، قطب حزب الوفد ـ ويجد صاحبنا فى عزيز فهمى بذرة طيبة للجناح التقدمى فى حزب الوفد ذلك الجناح الذى انكمش ثم انكسر بعد وفاة عزيز فهمى المبكرة ، وبعد سيطرة جناح « العائلات الاقطاعية » الذى كان يقوده فؤاد سراج الدين·واستطاع به أن يحتوى الحزب الكبير ويحوله تدريجيا من حزب الأغلبية الشعبية الساحقة الى حزب هرم ، يعيش على ذكريات الأمجاد القديمة فى سنوات زعامة سعد زغلول ، والسنوات الأولى من رئاسة مصطفى النحاس !!

··· وهكذا استمر كاتبنا فى بحثه عن الثوار فى كل مكان تحت السطح ، فيجد الحزب الوطنى يأخذ موقفا وطنيا بعيدا عن معارك الحكم ومفاسده ··· لأن قادة الحزب قد أخذوا منذ البداية بالمبدأ المعروف الذى كان ينادى بأنه لا مفاوضة مع المستعمر الا بعد جلاء جنوده فيرتبط به بعلاقة ود ومحبة فقط ··· فهو لا يرفضه لأنه لا يشارك فى خطايا الحكم وأيضا لا يقبل عليه لأنه حزب جامد غير متحرك الى حد البرود السياسى الذى يختفى وراء عبارته التقليدية « لا مفاوضة الا بعد الجلاء » ··· ولا يثير فى نفسه اهتماما كبيرا الا فى اللحظة التى تسلط

فيها الأضواء على فتحي رضوان كقيادة جديدة وشابة للحزب الوطني٠٠ وأحس يومها بأن واجبه يحتم عليه أن يقف الى جوار فتحي رضوان ٠٠٠ أملا في تحريك هذا الجبل الراسخ الذى يحمل اسما عزيزا على كل مصرى هو « الحزب الوطنى » ٠٠

ولكن ماذا عن حزب « مصر الفتاة » ٠٠٠ ألم يجد فيه كاتبنا أيضا الكنز المخبوء الذى يختفى فيه جوهر الثورة الأهلية والذى يبحث عنه فى كل مكان ؟

يقول الأستاذ احسان :

« كانت « مصر الفتاة » بالنسبة لى أملا فى يوم من الأيام ٠٠٠ وقد اقتربت من زعيم الحزب ــ أحمد حسين ــ فى احدى فترات حياتى ، عندما كان حزب مصر الفتاة . يتخذ مقرا له قريبا من مقر مجلة روز اليوسف وقد أدى الحوار بيننا الى نوع من التقارب الفكرى ولكننى سرعان ما اكتشفت أن أحمد حسين ــ كزعيم لحزب مصر الفتاة يمثل نسخة جديدة من الواقع السياسى المصرى القائم اذ ذاك على استيراد الأفكار ، وأن مبادىء « مصر الفتاة » ليست سوى الطبعة المصرية من الحزب النازى فى ألمانيا الهتلرية ٠٠٠ وان كان أحمد حسين قد تخلى عن الفكر النازى قبل الثورة ، واتجه الى المذهب الاشتراكى ، ووقف موقفا عدائيا صريحا من القصر والأحزاب انتهى به الى التحول ــ فى شجاعة ــ الى ضيف شبه دائم على السجن قبيل الثورة ٠٠

ولكن هل فشل كاتبنا فى الوصول الى الثوار الحقيقين تحت السطح على الرغم من ايمانه العميق بحتمية الثورة ؟

يقول الأستاذ احسان : « كنت أقف على حافة الهاوية حيث البأس والهزيمة باديان بوضوح ٠٠٠ ودعيت لالقاء محاضرة بنادى حزب مصر الاشتراكى ٠٠٠ ووسط صيحات الاعتراض من الشباب المتحمس ، أعلنت وكلى حزن أننى لا أرى على المسرح السياسى العلنى شخصا واحدا ، يحمل ملامح الزعيم الثورى المنشود ، وأننى أرفض أن أرشح واحدا لهذه الزعامة ، لأن الزعامة لا تمنح ، ولكنها تتكون فى نفوس الجماهير من مواقف متتابعة يقفها الزعيم فى صف الشعب فاذا به دون قصد منه

ولا من الجماهير ، فى مقدمة الزحف النورى ··· والزعيم الحقيقى هو الذى يظل على ايمانه بالشارع السياسى ولا يخذله ولا ينعزل عنه » ··

ويخرج الأستاذ احسان من تلك المحاضرة سعيدا فقد كان تصفيق الشباب نداء غامضا من جماهير الشارع السياسى تستحث به الثوار المختبئين تحت السطح للظهور أعلاه ··

٦ ـ فى بيتنا رجل

تمر الأيام ... وكاتبنا مندفع بكل قوة بمقالاته الجريئة تارة وقصصه الأقرب الى الريبورتاج السياسى تارة أخرى مؤمنا بحتمية الثورة وتغيير النظام القائم ... جاعلا من مجلة روز اليوسف منبرا للمجتمع الثورى ..

يقول الأستاذ احسان :

« ذات يوم اتصل بى تليفونيا فى ساعة متأخرة من الليل « سعد كامل » وكان اذ ذاك من شباب الحزب الوطنى المتحمس ... وكان حديثه سريعا ، ولكنه واضح وحاسم ... ورغم أن عباراته تفجرت فى ذهنى كالقنبلة ، فلم أضيع وقتا وأسرعت للقائه » ..

فقد هرب حسين توفيق ، **قاتل أمين عثمان** ... واستدعى سعد كامل الأستاذ احسان للتشاور معه فى كيفية اتخاذ التدابير اللازمة لاخفاء القاتل الهارب ... ذلك القاتل الذى تعلن اذاعة القاهرة كل نصف ساعة . عن مكافأة قدرها خمسة آلاف جنيه لمن يرشد عنه مع التهديد باعتبار من يأويه شريكا له فى جريمة عقوبتها الاعدام ..

ويتذكر الأستاذ احسان هذا الحادث النادر فى حياته فيقول :

« كانت شوارع القاهرة قد بدأت تخلو ـ مع الليل ـ من المارة

وكنت أقود سيارتي بسرعة جنونية . ربما لأخفف بسرعتها من حدة الانفعال الذى كان يثور فى داخلى وأعطى نفسى فرصة ـ بعدها ـ للتفكير الهادىء فى المغامرة المجنونة التى أنا مقدم عليها » ..

لقد وجد الثائر احسان عبد القدوس نفسه فى موقف صعب وأمام اختيار أصعب فاما أن يتحمل مسئولية اخفاء قاتل هارب تسعى السلطة الحاكمة بكل غضبها وراءه لكى يثبت عمليا لكل الثوريين الشرفاء أنه واحد منهم ، وأنه قادر ـ عند اللزوم ـ على مواجهة السلطة وتحديها بشكل سافر ، واما أن يتراجع خوفا من العواقب المؤلمة التى تنتظره اذا افتضح أمره فيكسب بذلك أمنه الشخصى ، ويفقد بعد ذلك وضعه فى صفوف الثوار فيتحول لمجرد تاجر ، يضارب ـ بالكلام المنمق والشعارات المزيفة ـ فى سوق الثورة ... كان اختيارا صعبا ، وامتحانا رهيبا ..

فكيف كان الاختيار وكيف اجتاز الامتحان ؟ يقول أستاذنا :

« لم تستغرق المناقشة مع سعد كامل أكثر من دقائق قليلة تم بعدها الاتفاق على كل شىء ـ رغم أنه كان يعارضنى منذ البداية ، لأن خطتى بدت له لأول وهلة شيئا جنونيا أو انتحارا مؤكدا .. !! ولكنه اضطر الى الخضوع لرأيى ..

وتعلو صيحات الأستاذ احسان وهو يحكى خطة الثوار التى وضعها معهم .. يقول : « ... وأنا واثق أن البكباشى الجزار مساعد غول البوليس السياسى ورئيسه « امام » سيشدان شعر رأسيهما من الغيظ عندما يعلمان الآن ـ **وبعد مضى أكثر من ربع القرن** ـ أن حسين توفيق الهارب الذى كان الراديو يذيع أوصافه كل نصف ساعة ركب سيارتى وجلس الى جوارى علنا ، حتى وصلنا الى بيتى ... وكنت أسكن بشارع قصر العينى .. واستيقظت زوجتى من نومها لتجد معى « ضيفا » .. !! ولم يستغرق الأمر بينى وبين شريكة كفاحى وعمرى أكثر من نظرة سريعة وفهم كل منا ما بقلب صاحبه ... ومدت زوجتى يدها لتسلم على القاتل الهارب وتقول له ببساطة ... أهلا يا حسين ... أرجوك تعتبر نفسك فى بيتك ... !!

وتعلو ضحكة الأستاذ احسان وهو يتابع قصته قائلا : « ولم يعتبر حسين نفسه فى بيته فحسب ، بل وجد نفسه شريكا لى فى أقدس مكان

بالنسبة لكل زوج ··· لقد تحول الى شريك لى ــ برضاى الكامل ــ فى حجرة نومى ·· !! ·· كانت حجرة النوم هى المكان الوحيد الذى يمكن ابعاد الخادم والطباخ عنه ، ومنعهما من دخولها بعذر مقبول لا يثير شكوك أى منهما ، والويل لنا لو ثارت الشكوك فى نفس أحدهما ··· فقد كانت المكافأة التى رصدتها الدولة للارشاد عن حسين توفيق مغرية ··· خمسة آلاف جنيه بالكمال والتمام ·· !! ولهذا اتفقت أنا وزوجتى من البداية على أن يقيم حسين بحجرة نومنا ·· !! ·· على أن تتكفل هى ــ بكل قدرتها على التحايل ، بابعاد « العيون » عن الحجرة بالنهار فاذا عدت الى المنزل ليلا ··· اضطررت الى مشاركة القاتل الهارب فى السرير الذى ضمنى مع حبى طوال عمرنا المشترك منذ تزوجنا حتى اليوم··· باستثناء الأيام التى عاشها حسين توفيق فى بيتى » ··

··· وهكذا يندفع الأستاذ احسان بكل ثوريته الى المدى الذى لا يتصوره عقل ولا منطق ··· احسان « المحب الغيور » المعروف بالحرص الشديد الى حد التزامت والاصرار على الابتعاد ببيته عن دائرة الضوء الاجتماعى التى يعيش نفسه فيها ··· يسمح بوجود رجل غريب فى بيته مع زوجته ··· وفى أى مكان ··· فى غرفة نومه مع زوجته طواعية واختيارا ··· ولكن ما هو شعور رئيس مجلس ادارة حياة أستاذنا فى ذلك الموقف الوطنى الفريد ؟

يقول الأستاذ احسان :

« كانت زوجتى شجاعة فى تلك التجربة الغريبة ، وكان أعظم ما فى شجاعتها هو بساطتها سواء فى معاملة حسين توفيق بعطف خفف عليه وقع المأساة التى كان يعيشها ، أو فى تقبلها لكل التضحيات التى فرضت عليها طوال شهرين ، واستعدادها الأكيد لكل التضحيات التى كان من الممكن أن تفرض عليها لو افتضح أمرنا ··

« لقد تحولت الى ثائرة صغيرة تتفنن فى ابتكار الحيل لكتمان السر القابع فى حجرة النوم ·· !!

وعندما أخلو اليها كانت تحدثنى بحماس رائع عن « مغامراتها » الهائلة فى تضليل الطباخ والخادم لو حاول أحدهما الاقتراب من حجرة النوم ··· حتى كانت تتحول أمامى الى بطلة أسطورية تقاتل بشجاعة لحماية ظهر أميرها الجميل فى حربه المقدسة ضد أعداء خرافيين فى قصة خرافية » ··

... ولكن الم يشك البوليس السياسى بدور الأستاذ احسان الوطنى فى اخفاء حسين توفيق ؟

يقول الأستاذ احسان :

« لم يكن البوليس السياسى غافلا عما يجرى .. !! كانوا واقفين تماما أننى ضالع فى العمليه ، ولكن الى اى مدى ... هذا ما كانوا فى حيرة منه ... لقد كانوا يعلمون جيدا صلتى بالتجمع الثورى المختفى وراء هروب حسين توفيق ، ولهذا قرروا مطاردتى بلا رحمه . املا فى ان أقودهم الى خيط يوصلهم للهارب المختفى... وكان على امعانا فى تضليلهم أن أمارس حياتى المعتادة بلا أدنى تغيير يثير شكوكهم ... وكنت أحس فى كل مكان أذهب اليه بعيون البوليس السياسى ترقبنى ، فاذا تعبوا من المطاردة أقبل على كبيرهم الأميرالاى امام فى استعطاف حقيقى يدعو للسخرية ... أرجوك كفاية اذلال لنا ... وأضحك بسذاجة أستعمل فيها كل ميراثى من موهبة التمثيل !! ثم أسأله ماذا يقصد .. ؟! فيقسم لى بكل آبائه وأجداده وكل شياطين العالم ، أنه واثق تماما أننى أعرف مكان حسين توفيق ، وأنه على استعداد لأن يفعل أى شىء لو أرحته وأرحت نفسى من عذاب هذه اللعبة الجهنمية التى ألعبها معه ... وساعتها كنت أحس بسعادة غامرة تجتاح كيانى كله ، وتتحول من مجرد احساس نفسى بالرضا الى ما يشبه المتعة الحسية بالشماتة من هذا الغول الذى طالما أرعب الثوار ، وأنا أراه أمامى عاجزا ... حائرا ... ذليلا ... وقد تجرع كأس الفشل الذى طالما سقاه لمئات الثوار الذين أوقع بهم..!! » .

وينطلق البوليس السياسى فى كل مكان وراء أعوان حسين توفيق ومحرضيه ... ويمتلىء سجن الأجانب بالكثير من شباب مصر الثائر ارضاء للسفارة البريطانية التى أثارها غضب مقتل واحد من أخلص عملائها فى مصر فى ٥ يناير ١٩٤٦ ..

ويستمر حسين توفيق مختفيا فى حجرة نوم احسان عبد القدوس أربعة أيام الى أن تجىء اللحظة التى كان يخشاها هو وزوجته حين تقع عين الخادم » على رجل غريب فى حجرة نومه ! فيسرع الأستاذ احسان ويبلغ الخبر الى شركائه الثوار فيقررون بعد مناقشات بينهم اعفاء « احسان » من تلك المهمة الوطنية التى كان يقوم بها هو وزوجته على أكمل وجه ونقل حسين توفيق فورا الى منزل آخر بالجيزة ... فيخرج بالفعل مرتديا ثياب ضابط من شرطة منزل أستاذنا بالقصر العينى الى منزل آخر بالجيزة ... ومنها يتم ترحيله الى سوريا ...

مما لا شك فيه أن القارىء يعجب بتلك الشخصية الثورية الهائلة التى يتمتع بها كاتبنا .. ولكنه يتساءل من أين أتى بها ؟ وكيف ثبتت وتكونت فيه ؟ ومن هو صاحب الدور الأكبر والفضل الأعظم فى تكوينها ؟

أشياء كثيرة تعاونت على تكوين الثـــائر فى نفسه ولكن أستاذنا الكبير احســان يخص ثلاثة عــوامل .. أولها .. قصـــــة صـحيفة « روز اليوسف » اليـومية ــ فى الثلاثينات ــ والصراع الرهيب الذى خاضته الأستاذة فاطمة اليوسف ضد الدكتاتورية الفردية الزاحفة أيامها على قيادة حزب الوفد،ذلك الصراع الذى انتهى بخروج ــ فاطمة اليوسف ــ على الوفد ، وما تبعه من محنة توقف جريدتها اليومية ... والعـامل الثانى ... بداية اللقاء بينه وبين خلايا اليساريين الشبان وما تبعه من محاولة « أحمـد حسنين » رئيس الديوان ــ من تحويله الى جاسوس للقصر عنـــدما كان طالبا بكليـة الحقوق حيث كانت الجامعة كلها تغلى بالسخط على الانجليز ... وفوجئت فاطمة اليوسف ذات يوم بأحمـد حسنين « باشا » يتصل بها ليرجوها الموافقة على ذهاب ابنها لمقابلته..!!

يعلق الأستاذ احسان عن هذه الفترة قائلا :

« قررت أن أواجه التجربة بنفسى فذهبت اليه واستقبلنى بفيلته بالدقى . وأدار الحديث معى ببراعة لا تقل عن براعته فى لعبة السيف التى كان أحد أبطالها ... وخرجت من الحديث الطويل الممتع .. !! بشىء واحد ... أن أحمد حسنين يريد ــ كرئيس للديوان ــ أن يجعل منى عينا ملكية على الجامعة !! ــ وهذا اذا افترضت نزاهته ــ اذا كانت محاولة افساد شاب تدخل فى باب النزاهة ــ واحتمال آخـر داخلنى وقتها ... وهو أن رئيس الديوان الطموح مقبل على لغة كبيرة ، يسعى من ورائها الى تكوين حزب جديد ينافس به الأحزاب القائمة ، وينوى الانطلاق بنواة حزبه من الجامعة ، حيث الشباب المثقف ..

ولكن صاحبنا هذا يكره الأحزاب ويرفض الانتماء لأحد منها لأنه يعرف مقدما ما يبتغونه من وراء تكوينها ... فقد رأى بعينه ما يصنعونه بأمه ومجلتهـا عقـابا لها على حفاظها العنيـد على مبادئها ... وتحولت الكراهية الى رفض واع للنظـام الذى تمثل الأحزاب الى جانب القصر والانجليز وطبقة المتمصرين ــ دعاماته الأساسية ، وذلك بعد دراسته « العلمية » لأحدث النظم السياسية ــ سواء عن طريق دراسته الجامعية أو قراءاته الحرة ... وعندما رفعت الأحزاب النقاب عن نواياها وبدا

واضحا وسـائل الاغـراء المختلفة التى تطوقهـا حـوله لاكتسابه بين صفوفها تحول الرفض عنده ، الى تصميم على هدم النظام بأكمله » ..

يعلق الأستاذ احسان عن ذلك قائلا :

« ... كنت أرفضهم كسياسيين ، ولكننى لم أقطع صلتى بهم كبشر ربما بدافع أصول المهنـة ـ كى لا أفقدهم كمصادر أخبار جيـدة وربما بدافع الامل فى تحولهم ذات يوم عن طريق العفن الذى أوغلت فيه كل الأحزاب بلا استثناء ... وتكررت محاولات احتوائى ، وكنت أرفضها بأدب لا يجرح صاحب المحاولة ولا يؤلمنى شخصيا لأننى أتوقع منه هذا وأكثر ... !!

« ... محاولة واحدة أفزعتنى ، وآلمتنى أشد الألم ، لأن صاحبها ـ أحمد ماهر « باشا » ـ كان من ذوى الفكر السياسى الواضح ، الذى يعى جيدا فساد ما حوله ، ولكنه يتحرك مع التيار ـ ربما بدافع القصور الذاتى ـ أو بدافع الأمل فى الوصول الى الاصلاح ذات يوم .. !! .. وكنت لهذا أحبه وأحترم فيه نصوع فكره السياسى ... ولكن فجأة صدمت فيه وندمت على احترامى له ... فقد تحول الى تاجر يحـاول شرائى أو ربطى بعجلته ـ حين عرض على أن أكون سكرتيره « البرلمانى » أثناء توليه رئاسة مجلس النواب » ..

« أما العـامل الثالث الذى ساعد على تكوين شخصية احسـان الثورية فيتمثل فى الخطاب الشخصى « الخطـير » الذى أرسلته السيدة فاطمة اليوسف فى الخفاء للأستاذ فكرى أباظة فى ٣ يونية عام ١٩٤٤ ترسم فيه صورة دقيقة الملامح لواقع الحياة السياسية المصرية ، وتحذر من الكارثة التى توشك أن تهب رياحها ، فتدمر كل شىء ..

ثم الرد الذى بعث به فكرى أباظة اليها قائلا لها :

فى الخطـاب الذى نشرته « روز اليوسف » بعددها الصـادر فى ٢٧ أكتوبر عام ١٩٥٨ ... (ولقد فكرت طويلا فيما أثرت وأبرزت من تكوين حزب جديد ، وأخـذت أستعرض الأسـماء فوقعت فى حيرة مهلكة .. !! .. وأنا لست من دعاة اليأس يا سيدتى ، ولكننى ألمح مثلك الكارثة تفد علينا عن قرب وبقدر اقترابها وسرعتها بقدر ما يجب أن نعد عدة الكفاح والمقاومة) ..

« وهما الخطابان اللذان بقيا سرا مكتوما بينهما . حتى قامت الثورة . ولو عرف أحد بأمرهما لثارث ضد روز اليوسف وفكرى أباظة عاصفة رهيبة لا يعرف أحد مداها المدمر » ..

وعن روز اليوسف المعلم والرائد الأول يقول ابنها وتلميذها احسان عبد القدوس :

« كنت متفقا مع أمي على رفض الواقع السياسي والاجتماعي لمصر ، ولكننا اختلفنا في الوسيلة ، وأدى الخلاف في المنهج بيننا الى خروجي من مجلة روز اليوسف .. واشتغالي مع التابعي سكرتيرا لآخر ساعة .. ومضى كل منا يعمل بالطريقة التي تصورها معبرة عن رفضه .. لقد اختارت أمي ربما بحكم السن والجيل الذي تنتمي اليه ـ المنهج الاصلاحي، في تعبيرها عن رفض الواقع السياسي القائم ... وبدأت خطتها بسلسلة من الخطابات الشخصية التي بعثت بها سرا ، الى كل من رأت فيهم بارقة أمل ، أو بقية من قدرة على اصلاح ما أفسدته الحزبية والقصر والانجليز ..

وكان أول خطابات أمي الى علي ماهر وكان رئيسا للوزراء وبعثت به بتاريخ ٥ أكتوبر عام ١٩٣٩ ، لتقول رأيها بصراحة في الأحزاب القائمة (الحزبية قائمة ومرضها وبيل ، وشهوة الأحزاب للحكم لم تضعف ، والحزبية في مصر جمهور مرح صاخب يجرى اثر فرقة موسيقية تعزف ... والعازفون لا يتوقفون عن العزف لأنه سبيلهم الى أكل العيش ... والجمهور في موقفه بين الأحزاب الثلاثة ـ الوفد والسعديين والدستوريين ـ حائر ، ملول ، متشكك يتوق الى الراحة والاستقرار والى أنغام جديدة) ..

ويجيء الرد من علي ماهر ردا غير مباشر يتولاه د. محمود عزمي مدير رقابة النشر الذي كان ذات يوم رئيسا لتحرير روز اليوسف اليومية ، والرد عبارة عن انذار لروز اليوسف بالامتناع عن الاساءة الى علاقة الود بين مصر وبريطانيا » ..

وتصدم روز اليوسف ولكنها لا تيأس بل تعاود الكرة من جديد فتبعث بخطاب آخر لفكرى أباظة في ٣ يونية ١٩٤٤ كما سبق أن ذكرت ..

٠٠٠ وهكذا فشلت خطة الأم في محاولة الخروج بالواقع المصرى اد ذاك من ظلام الفساد المسيطر عليه الى طريق النور المشرق ٠٠ واذا كان المرحوم فكرى أباظة وهو آخـر أمل للأم ٠٠ يرى الصـورة بهذا السواد . فلا مفر اذن من الرجوع عن العناد بعد أن اتضح أن خطاها قد انتهت الى طريق مسدود فتعطى ابنها الفرصة الكاملة للسير فى طريقه ٠٠٠ ويعـود احسان سكرتيرا ثم رئيسا لتحرير روز اليوسف وهو مشبع بطاقات ثورية هائلة من رفض قاطع لخطايا الحكم باحثا عن الثوار فى كل مكان تحت السطح !

وأصبحت مجـلة روز اليوسف منبرا لكل الكتاب الاحرار ٠٠٠ الثوريين ٠٠٠ وبؤرة للمجتمع الثورى فى مصر ٠٠٠ مفجرا على الرأى العام بأخطر المقالات السياسية الكفيلة باشعال البارود في وجه النظام القائم الفاسد بمحاوره الثلاثة : الانجليز ٠٠ القصر ٠٠ الأحزاب المتعفنة ٠٠ المتجمدة المرتمية في أحضانهما ٠٠

٧ ـ احسان ٠٠ والأسلحة الفاسدة !

قضية الأسلحة الفاسدة واحدة من أهم الضربات القاضية للصحفى الثائر الجرىء احسان عبد القدوس فى وجه النظام القائم بأكمله وكان لها أكبر الأثر فى استكمال شخصيته كصحفى وكاتب ومفكر سياسى كما كان لها انعكاسات على تاريخ الأمة كلها فقد كانت من أقوى العوامل التى وجهت الرأى العام وخصوصا داخل قوات الجيش وحرضته على الثورة ٠٠

قال لى الأستاذ احسان :

« أن الذى دفعنى الى تحمل مسئولية نشر تفاصيل هذه القضية لم يكن هوايتى الصحفية بل كان السبب الرئيسى انى كنت قد وصلت بشبابى وفكرى السياسى الى مرحلة الثورية الكاملة على كل الأوضاع السياسية والاجتماعية القائمة فى مصر ووجدت فى تفاصيل القضية ما يبرر التحريض على الثورة وفرضها على نظام الحكم حتى أنى فى الجلسة الأخيرة التى نظرت فيها القضية أمام المحاكم وكانت قد عقدت بعد الثورة قلت أمام المحكمة : أنى أثرت هذه القضية حتى أصل الى الثورة وقد قامت الثورة وأعتبر أن القضية قد انتهت بقيام الثورة لذلك فانى أعتذر للقضاء عن اعادة سرد التفاصيل التى سبق أن أدليت بها أمام النيابة ٠٠ وفعلا أعفتنى المحكمة ولم أهتم بعد ذلك بتتبع الأحكام التى صدرت بل انى لم أهتم حتى بالتحقيق فى حوادث الاغتيال التى تعرضت لها خلال اثارة القضية » ٠٠

وقصة الأسلحة الفاسدة بدأت تطفو على السطح فى يوليو عام ١٩٤٦ حينما كان الأستاذ احسان فى ايطاليا سمع أقاويل عن صفقات الأسلحة التى عقدها مندوبو الجيش المصرى ووكلاؤه ·· وتكاثرت هذه الأقاويل حتى أصبحت تدور على كل لسان وفى كل مكان بين المصريين وغير المصريين على السواء مما سبب لكاتبنا ازعاجا شديدا ··· فكلما جلس بمقهى أو طاف بميدان وعرف أنه مصرى سمع قصة صفقة من صفقات الأسلحة والذخائر » ··

ويصدر العدد رقم (١١٠١) من مجلة روز اليوسف فى يوم ٢٠ يوليو ١٩٤٩ حيث يصدم القارىء المصرى بالبرقية التالية التى نشرت داخل اطار أسود تحت عنوان « **محاكمة مجرمى حرب فلسطين** » ··

روما ـ من احسان عبد القدوس :

فى خلال حرب فلسطين تمت عدة صفقات ضخمة فى ايطاليا وفرنسا ، كان الطرف الثانى فيها بعض رجال العرب الذين ادعوا أنهم يمثلون الحكومات العربية ··· وعندما تصل الى ميناء فى ايطاليا ··· تستطيع أن تشم رائحة هذه الصفقات التى أثرى منها عدة أشخاص ·· وقتل بسببها آلاف من المصريين والعرب···ثم···راحت فلسطين ··!

ولا أستطيع أن أتكلم اليوم بصراحة ·· ولكن ·· من العجز أن تمر هذه الصفقات الخائنة دون تحقيق دقيق ودون محاكمة ، ودون اعدام عشرة أو عشرين ·· ! ودون مصادرة الملايين التى أثروا بها ··

أننى أطالب بتأليف محكمة لمجرمى حرب فلسطين ··· محكمة تتألف فى مصر ··· ويتولاها قضاة مصريون ··· على أن تمنح مصر نفسها حق محاكمة الخونة من أبناء الدول العربية الأخرى الذين أضروا بمصالحها ·· ! » ··

بعد قراءة هذا المقال ··· توقعت أن تقوم القيامة وأن تسعى الحكومة والأحزاب القائمة لو توافر لديها أى قدر من الوطنية الى التحقيق فيما نشر وادانة المسئولين الخونة عن تلك القضية التى راح بسببها الآلاف من الشهداء المصريين وضياع فلسطين العزيزة علينا جميعا ··

ولكن الأستاذ احسان يقول :

« لم يهتم بى أحد ·· !! ·· ولم يصدر بلاغ بتكذيب ما لمحت اليه فى مقالى الى أن انتهى الأستاذ محمود محمد محمود ـ رئيس ديوان

المحاسبة في ذلك الوقت من تقريره السنوى عن الحساب الختامي للحكومه وأشار فيه الى بعض صفقات الاسلحه والذخيرة اشارة صريحه مدعمة بالوثائق ··· واعتقدت أن دور الصحافه قد انتهى بصدور هذا التقرير الرسمي الذى يشير الى وجود فضائح في هذه الصفقات ··· وتصورت أن الحق قد بدأ ينتصر ·· !! ·· ولكنني اكتشفت أنني قد أخطأت التقدير ، فقد فشل تقرير رئيس ديوان المحاسبة كما فشلت كتابتي قبل ذلك في تحريك القضية ··· بل أن الحكومة أصرت حين تقدم رئيس الديوان للمطبعة الأميرية لطبع التقرير على ضرورة حذف العبارات التى تشير الى وجود تلاعب في صفقات الأسلحة وأصر عندئذ محمود محمد محمود على نشر التقرير كاملا ولكن لم تستجب الحكومة لطلبه فانتهى الأمر باستقالته من منصبه ·· ولم أؤيد يومها استقالته وكتبت أقول أنه لو اكتفى كل موظف نزيه كريم بالاستقالة ، كلما هدد في نزاهته وكرامته ، لما بقى لمصر من موظفيها الا كل من ليس نزيها ولا كريما وناشدته أن يقاوم وأن يحتمى في ضمانات منصبه حتى يظهر الحق . ناشدته أن يصدر بيانا صريحا بأسباب استقالته ولكنه لم يصدر هذا البيان واكتفى فيما بعد بأن ينشر أنه لم يستقل لأسباب شخصية كما قال فؤاد سراج الدين في مجلس الشيوخ » ··

··· وهكذا فشل احسان عبد القدوس في جولته الأولى في تحريك قضية الأسلحة الفاسدة بعد أن شم رائحتها الكريهة عن قرب ابان وجوده في ايطاليا ··

ولكن هل انسحب من المباراة ··· ويطلق الحكم صفارته معلنا فوز الخونة على الشرفاء ؟!!

أم أنه دخل الجولة الثانية بشجاعته المعتادة دائما وبعد أن استراح قليلا بتكتيك وتخطيط آخر لكي يعوض هزيمته الأولى ؟!

يقول أستاذنا : « كان السكوت مستحيلا ··· انها فرصة العمر لتعرية النظام كله وفضحه لتزول البقية الباقية من هيبته الزائفة·· وتقدم مصطفى مرعى ليحمل العبء···وقد حمله في قوة وفي جرأة··· لم يكن يقدم عليها الا انسان « كمصطفى مرعى » ··· وعندما تأكدت من أن مصطفى مرعى قرر أن يتقدم باستجوابه التاريخي في مجلس الشيوخ عن صفقات الأسلحة الفاسدة ··· أردت ابراء لذمتي أن أكشف له جوانب الخطر الذى يهدد وضعه السياسي كعضو بمجلس الشيوخ··· بل يهدد حياته كانسان ··· ولكنه أسكتني يومها بقوله ··· ليس

عنى يا احسان ما أخشى عليه ... ولكنك يا صـديقى لا تستطيع أن تتصور مدى ما يستطيع هـؤلاء الناس أن يرتكبوه من فظائع فى حق خصومهم ومدى ما يلزمنا من قوة النفس كى نتحمل ونقاوم ونتقدم ... ورغـم هـذا لن أستسلم لهم ، ولن أتراجع ... وسـأتقدم لأداء واجبى .. وأثبت المستجوب أن هؤلاء الضباط والجنود لم تهزمهم جرأة العدو وحنكته انما هزمتهم جرأة موردى السلاح والذخيرة .. وأخرج من تقرير رئيس ديوان المحاسبة السابق مستندات دامغة تثبت التلاعب الخطر الذى حدث فى شراء هذه الصفقات وثبت أنها كانت تتم على علم من رجال وزارة الدفاع بما فيها من تلاعب » ..

وكما انتهى تقرير رئيس ديوان المحاسبة ـ بخروجه من منصبه مستقيلا ـ انتهى استجواب مصطفى مرعى فى مجلس الشيوخ بطرده من عضوية المجلس هو وكل من أيده من الأعضاء ... بل ان الأمر انتهى بعزل رئيس مجلس الشيوخ نفسه الذى سمح بمناقشة الاستجواب!!».

ويخسر احسان عبد القدوس الجولة الثانية بعد أن لاح له فى الأفق عجز السلطة التشريعية عن تحريك القضية !!

ولكن الأستاذ احسان كعادته دائما لم يصبه اليأس بل اتجه بكل قوة وعزيمة الى الجولة الثالثة مصمما على الانتصار على الخونة مهما كان الثمن ..

يقول الأستاذ احسان : « لم يكن باقيا سوى سلطة واحدة هى كل ما بقى لمصر من أمل ... السلطة القضائية ... ولكن كيف يثار الموضوع أمام القضاء ؟!

لم يكن هناك الا طريق واحد ، هو أن أقدم نفسى للقضاء متهما فى قضية نشر خاصة بهذا الموضوع » ..

... وهنا يقع الصحفى الثـائر احسان عبد القدوس فى حـيرة بالغة ... ماذا يكتب ؟ ... ولم يكن يملك حينئـذ مستندا واحـدا يستطيع أن يتقدم به الى القضاء كدليل على حسن نواياه حين يكتب ؟ فقد بدأ الحملة كمجرد رأى يبديه وموقف يعلنه ، ولابد أن يكتب عن صفقات غير التى أوردها ديوان المحاسبة فى تقريره وأثارها مصطفى مرعى فى مجلس الشيوخ حتى لا يرد عليه بأن ما يكتبه سبق وأن أثير واتخذ قرار بشأنه وبذلك يحرم من تقديمه للقضـاء .. ويفكر بذكائه الحاد كعادته دائما ... كيف يستطيع الخروج من هذا المأزق الحرج ؟!

وبتفكيره الهادىء يصل الى الطريق الأصوب ··· فالقضيه تمثل خيانة ارتكبها الخونة فى حق الجيش المصرى ··· فانه مما لا شك فيه أن أول الغاضبين وأشدهم سخطا انما هم ضباط الجيش الشرفاء الساخطين على خطايا النظام القـائم ··· فيتجه اليهم احسـان على الفور أملا فى الحصول على الأدلة الحاسمة التى تقنع النيابة والقضاء ··· تلك الأدلة التى تتمثل غالبا فى عقود صفقات ومستندات أخفاها الخونة فى خزائن وزارة الحربية وقيادات الأسلحة المختلفة ويعقد معهم اجتماعا عاجلا فى بيت أحدهم « حافظ صدقى » ··

··· قال لى الأستاذ احسـان : « لا أستطيع أن أنسى قوة الروح الوطنية التى كانت مسيطرة على أغلبية الضباط الشبان فى الجيش أيامها والتى كانت تدفعهم الى أن يقوموا بسرقة مستندات ووثائق من مكاتب القيادة العليا نفسها ليسلموها لى ولا أستطيع أن أنسي يوم قدمت للنيابة للتحقيق معى فتطوع الكثيرون للشهادة فى صالحى واذا بهم أمام النائب العام يوجهون الاتهام صراحة « للملك فاروق » ولكن النائب العام عندما كان لا يزال متحمسا للقضـية كان يرفض تسجيل أقوالهم فى أوراق التحقيق حتى يرحمهم من القبض عليهم والزج بهم فى مستشفى المجاذيب كما كان متبعا مع كل من يعيب فى الذات الملكية ·· ولم تكن انطلاقة الروح الثورية بين صفوف الجيش سوى انعكاس للروح الثورية التى تعيشها مصر كلهـا وفى حماية هـذه الروح كنت أعيش لأن السلطات المسئولة تخشى القبض على أو اغتيالى حتى لا تثير الثورة وهـذه الروح أيضا كان يعيشها وكلاء النيابة المحققين ·· كانوا يرفضون أن يسيروا فى تحقيقاتهم فى اتجاه خدمة السلطة بل رفض أحدهم القبض على عندما صدر له أمر بذلك والنائب العام نفسه محمود عزمى بدأ التحقيق معى وهو منطلق بكل الروح الوطنية الى أن تعرض للضغط واستقال بعد أن رفض أن يسـير بالتحقيق فى صالح أصـدقاء الملك وهـذه أعجوبة لم يشهدها القضاء المصرى من قبل ! فالجميع قد أحسوا أنهم يجب أن يرتفعوا فوق الأشخاص ، وفوق الأغراض لأن القضية التى سأتعرض لها قضية الجيش الذى تتعلق بأطراف أسلحته وسواعد رجاله كرامة مصر ··· وكنت أعمل مع شبان فاضت بهم حماستهم ، وامتلأت صدورهم غيرة على جيشهم ، وتحرروا من كل مطمع الا تأمين مستقبل مصر ، والى هـؤلاء الشبان يرجع الفضـل فى كل شىء ··· ان كان هناك فضـل لأبناء على أمهم الكبرى ·· !! وكنا نجتمع بطريقة خاصة ، ويتصل أحدنا بالآخر

بطـريقة خاصـــة . أشبه بما كنـا نقرأه ونحن صـغار فى القصص البوليسية » ..

« وبدأت الخيوط تتجمع لدى ... بعضها بطريق البحث والتحرى الشخصى ، وبعضها بمعاونة الأصدقاء المتحمسين ... وبعضها بطريق الصدفة البحتة ... حين زارنى صديق ـ عقب مكالمة تليفونية مثيرة ليقدم لى ورقة كتبت عليها نصوص عقد كنت أبحث عنه بخصوص صفقة أسلحة مع شركة «أوليكون» التى يمثلها فى مصر النبيل عباس حليم ابن عم الملك .. وكانت الورقة بالقلم الرصاص ، وبخط انسان لا أعرفه ... وعندما عرفته أقسمت ألا أبوح باسمه ... وكان الخبر مثيرا حتى لى شخصيا ... فقد وجدت نفسى ممسكا بأول الخيط الموصل الى مليونير أعرج ... يسير على ساق دق بهـــا مسمار من البلاتين طوله ســتة سنتيمترات .. !! ويعرفه رجال الأعمال فى العاصمة الايطالية باســـم السنيور رودى ... رغم انه مليونير مصرى .. !! .. وعلى نفس الطرف الآخر من الخيط الذى أمسكت ببدايته كانت تختفى آخر من كنت أتوقع لقاءها فى القضية...زوجة ضابط حسناء...تتاجر فى السلاح... !! وبنحرر العقد بينهما فى ١٤ يناير سنة ١٩٤٨ ـ أى فى أشد أيام حاجة الجيش الى السلاح ... وكان الخبر مثيرا فان العادة لم تجر بأن تتاجر زوجات الضابط بالسلاح بل لو تاجرت أى امرأة بالسلاح لكان الخبر مثيرا حتى لو لم تكن زوجة أحد الضباط » ..

ولكن صادف الأستاذ احسان مفاجأة أكثر غرابة فى جمع المعلومات الصحفية فقد اتصل به شخص يعتبر قارئا أكثر منه صديق وقدم له وثائق جديدة لصفقات أخرى من صفقات السلاح .. كانت وثائق دامغة نشرها احسان .. وعندما بدأ التحقيق معه استدعى هذا الصديق وحقق معه وانتهى التحقيق معه بأن أصدرت النيابة أمرا بالقبض عليه فقد تبين أنه هو نفسه تاجر سلاح ولكن اختلف مع تجار سلاح آخرين واستطاعوا أن يأخذوا منه الصفقة وينفردوا بها وهو ما دفعه الى تقـديم هذه الوثائق لاحسان .. أى أن الدافع كان مجرد المنافسة التجارية .. ويخبط احسان كفا بكف قائلا : « هذه هى الحياة ... غريبة » ..

٨ ـ احسان أمام النائب العام

فى العدد رقم ١١٤٧ من مجلة روز اليوسف الصادر فى ٦ يونية ١٩٥٠ كتب الأستاذ احسان مقالا بعنوان « **من هو الضابط الذى يملك قصرا فى كابرى** » تعمد فيه اثارة فؤاد سراج الدين سكرتير حزب الوفد فى ذلك الوقت والذى كان يمثل محور السلطة التنفيذية لكى يدفعه دفعا الى ابلاغ النيابة ضده ..

قال فى هذا المقال :

« ... ما هذا الحب الذى تحرك فجأة فى قلب سراج الدين باشا ودفعه لأن يدافع عن فضائح وقعت فى عهد حكومات غير وفدية ؟! .. ولماذا لم يؤيد هذه الاتهامات حتى يدفع حكم الأقليات بفضيحة لا تمحى على مدى الدهر وهو ما يدعوه اليه واجبه وتعصبه الحزبى .. !! أن هناك سرا .. !! وهو سر ليس فى حاجة لأن يفصح عنه فؤاد باشا لأنه سر مفضوح .. !! .. وقد كان مجرد دفاع فؤاد باشا سراج الدين عن هذه الاتهامات مع اعترافه بأن حكومته غير مسئولة عنها ـ كافية لاثباتها ولاثبات أن الجرائم التى يدل عليها الاتهام هى جرائم مستمرة أكبر من أن تتحملها حكومة واحدة » ..

وماذا حدث من فؤاد سراج الدين والذى كان يمثل أخطر وزير فى الوزارة الوفدية كلها من موقعه ..

ثار فؤاد سراج الدين على ما كتبه احسان عبد القدوس عن قضيه الأسلحة الفاسدة بصورة أحرجت حكومة الوفد٠٠٠واضطرتها اضطرارا لابلاغ النائب العـــام ضده للتحقيق معه في مجموعة المقـالات التي بدأ نشرها في ٦ يونية عام ١٩٥٠ ٠٠٠ وكان أمل الحكومة كبيرا في الايقاع به في قضية نشر تقضي عليه تماما كصحفي ارضاء للمجرم الحقيقي الذي يقبع ـ وراء القضية كلها ـ في السراى الملكية ٠٠ !! فلما فشلت الخطه بدأ مطـاردته في كل ما يكتب حتى أصبحت النيـابة تحقق معه عقب صدور كل عدد ٠٠

٠٠٠ كل هذا لم يخف الأستاذ احسان ولم يمنعه عن الكتابه في قضية الأسلحة الفاسدة تسترا على الخونة ٠٠ ان ثوريته تحميه من كل خوف وتعطيه الحماس والقوة ، واستمر في سعيه للحصول على الادله اللازمة لاقناع النيابة والقضاء وبالتالي ادانة الخونة ٠٠ فاستطاع بمعاونه أصدقائه أن يحصل على صورة بالقلم الرصاص ٠٠ ثم صورة فوتوغرافية للعقد المبرم بين « على عبد الصمد » تاجر الأسلحة وبين الزوجة الحسناء (مدام ج٠ أ) زوجة الضابط الكبير في ذلك الوقت وهو عقد ينص على قيام الشركة بينهما لتوريد الأسلحة الخاصة بحرب فلسطين ، سواء تم توريد هـذه الأســلحة للجيش المصري ، أو جيش أية دولة عربيـــة أخرى ٠٠

يقول الأستاذ احسان :

« ٠٠٠ واعتبرت العقد واقعة خطيرة ، ثم اهتممت بمظاهر الثراء التي تحيط بالضابط وخاصــة لعبــة البكراه التي كان يلعبها في نادي السيارات ـ وكان أحد أعضائه ـ فطلبت من حفني محمود « باشا » أن يستوثق من صحة هذه البيانات باعتباره عضوا في النادي فأكد لي صحة البيانات كلها ٠٠ كما علمت أن الضابط زوج الحسناء تاجرة السلاح ـ صديق للواء (المسيري) رئيس لجنة احتياجات الجيش المفوضة بشراء الأسلحة والذخيرة ٠٠ وأكثر من هذا علمت أن زوج التاجرة الحسناء ، كان يشتغل ـ سرا ـ في مكتب عمر سيف أحد موردي السلاح للجيش. وأنه « شريك » للأميرالاي حلمي حسين مدير الركائب الملكية في شركة « دلتا موتورز » ٠٠ !

لقد وضعت يدي اذن على مفتاح القضية وصدر العدد ١١٤٧ من روز اليوسف يحمل أول حلقة في سلسلة مقالات « **محاكمة مجرمي حرب**

فلسطين » ووجد حيدر باشا ـ كقائد عام للجيش ـ نفسه مضطرا لارسال خطاب الى وزير الحربية يطلب فيه التحقيق معى ... وهكذا وجدت نفسي في صباح ٢٥ يونية عام ١٩٥٠ واقعا في قبضة النائب العام !! ..

« كانت البداية سيئة ومرهقة لأعصابى ... وفوجئت حين علمت أن النائب العام بنفسه أصر على أن يقوم بالتحقيق معى شخصيا ..!!.. وزادت مفاجآتي عندما أبلغت بأن التحقيق سيجرى بعيدا عن العاصمة .. !! ربما كانت سذاجة .. !! .. وربما كان تعنتا .. ! ولكنني وجدت نفسي مضطرا للسفر الى الاسكندرية لكي أقدم نفسي لسعادة « محمد بك عزمي » النائب العام . في تمام الساعة العاشرة من صباح ٢٥ يونية عام ١٩٥٠ .. والحذر من التأخير .. ! ..

ووصلت في الميعاد المحدد بصحبة صديقي عبد الغني أبو سمرة المحامي وعضو مجلس النواب فوجدت في استقبالى النائب العام الذى أخذ في التحقيق معى فورا من الصباح حتى الرابعة بعد الظهر ... دون أن يسمح لى بشرب القهوة ولا التدخين ، وشعرت بالدوار ، فطلبت من النائب العام أن يؤجل التحقيق لليوم التالى ، ولكنه رفض وقال بحدة :

ـ لن أتركك تغادر هذا المكان حتى تتم أقوالك . ولو اقتضى الأمر أن تبيت هنا .. وما أدراني .. ؟!

وسكت النائب العام لحظة ... ثم استطرد فى لهجة غامضة :

ـ ربما قتلت بعد أن تخرج من هنا ... فكيف أتم التحقيق ؟!

فقلت وعلى فمى ابتسامة مغتصبة :

ـ التحقيق فى مقتلى أو فى صفقات الجيش .. !!

فأجابني بملل :

ـ التحقيق فى مقتلك يقوم به أى وكيل نيابة ، أما أنا فيهمنى تحقيق هذه الادعاءات .. !!

وأثارني كلام النائب العام عما سماه بالادعاءات ، لأنني حرصت ألا أوجه اتهاما لأحد الا وتحت يدى مستند قاطع بصحته بل حرصت وأنا أسلم هذه المستندات الى النائب العام أن أوقع عليها بامضائى وأن أطلب من سعادته أن يوقع عليها بامضائه زيادة فى الحرص ولى عذرى فى ذلك لأن النيابة العامة التى أقف أمامها هى جزء من السلطة التنفيذية وهى

نخضع للتيارات السياسية والحكومية وجميع هذه التيارات تقف ضدى وتهددنى فى حريتى ومستقبلى ومن الممكن أن ينقلب وضعى من شاهد الى متهم وتوجه لى تهمة خطيرة « وهى التشهير بالجيش » وكنت أخاف هذه التهمة رغم أنى كنت حريصا فى كل مقال كتبته على تمجيد ضباط الجيش وجنوده فقد قلت فى احدى هذه المقالات : —

« ... لن أسكت قبل أن أطالب بحق الذين استشهدوا وجرحوا وشوهوا فى فلسطين واسرائيل براء من دمائهم .. حقهم فى الانتقام من المجرم وحقهم فى أن تكون تضحياتهم ثمنا لجيش أفضل ولوطن أفضل ولسلاح أفضل .. سلاح يقتل العدو ولا يقتل صاحبه » ..

وكتبت فى مقال آخر أقول : « هؤلاء الذين ماتوا كانوا فى حياتهم أقوى من قنابل اليهود ولكنهم كانوا أضعف من القنابل التى تنطلق الى الوراء فتحطم المدفع وتقتل جميع أفراده فيخروا صرعى فوق حطام المدفع وابتسامة الاستشهاد تضىء وجوههم » ..

وقلت : —

« اذا كانت الرشوة دعاية سيئة فان التستر عليها دعاية أسوأ واذا كانت الجريمة لها خطر محدود فان التستر عليها لأخطر واذا كان الرأى العام ينقم على المتهم فى مثل هـذه الجرائم ، فان السكوت عليها يجعل الرأى العام ينقم على المتهم والبرىء معا » ..

ورغم أن النيابة أثبتت صحة جميع الوقائع التى تقدمت بها .. فانى أعترف وأقر أننى عندما وقفت أمام النائب العام لأول مرة لم أكن أعتقد أن سعادته سيستمر فى التحقيق حتى نهايته ولذلك كنت حريصا كل الحرص على اختيار كل لفظ أنطق به مما أثار غضب « عزمى بك » ..
وقال غاضبا :

— انت عامل جرىء يا أفندى وكان يخاطبنى بلقب أفندى من باب الاهانة فى مجتمع رءوسه باشوات وبكوات ... !!

ثم استطرد :

— عامل نفسك وطنى متطرف ... وبتتحدى ناس كبار .. !! ما تورينا جرأتك دى .. !!

وأجبت فى هدوء :

— انا جرىء فى حدود القانون ·· !! ·· ثم من يضمن لى ألا تجعل منى متهما ·· وتقبض على ·· ؟!

فأجابنى بسرعة :

— لا احد ·· وسأقبض عليك بمجرد أن ارى ذلك ·· !! ··

ثم استطرد أستاذنا قوله لى وقد بدا عليه الحماس الشديد :
« لم يهزنى كلام النائب العام عن احتمال اغتيالى قبل آن يتم التحقيق ·· لا لم يكن الأمر مفاجأة لى ·· !! ·· فقد هددت تليفونيا بالقتل — اذا لم أتوقف عن نشر مقالاتى عن « محاكمة مجرمى الحرب » ولم أهتم بالتهديد، لأن أمنى الشخصى كان آخر ما أفكر فيه بالقياس الى الهدف الذى وضعته أمام عينى ·· وهو هز النظام الحاكم هزة تزلزل أركانه ·· كما أنها لم تكن المرة الأولى التى أهدد فيها بالاغتيال ·· فقد هددت قبل هذا أكثر من مرة ، ونمى الى علم وزير الداخلية — مرتضى المراغى — خبر هذا التهديد ·· فعين حارسا يتبعنى فى كل تحركاتى ·· !! ·· وضايقنى وجود هذا الحارس الذى اعتبرته حيلة ذكية من السلطة لمراقبتى بحجة الخوف على حيـاتى ·· !! ·· فطلبت من المراغى رفع هذه الحراسة الاجبارية ·· فوافق بشرط أن أحمل سلاحا مرخصا للدفاع عن نفسى وتسلمت بالفعل مسدسا ·· لم أحمله بيدى اطلاقا ·· لأننى لا أطيق بحكم تكوينى النفسى حمل السلاح ولا استعماله ·· وكانت زوجتى تتولى هذه المهمة بشجاعة كانت محل تندرنا وفكاهاتنا ، وخصوصا عندما كنا نذهب الى السينما مثلا ، فنحمل فى حقيبتها المسدس ، وتتقمص شخصية الحارس الخصوصى ·· فتدير عينيها حولى فاحصة مدققة ·· تتبع كل حركة ·· وتلتقط كل نظرة مصوبة نحوى ، ثم تقوم بتفسيرها بعقلية الشرطى الواعى ·· !!

٩ ـ القدر ينقذ احسان من الاغتيال مرارا

قال لى الأستاذ احسان : « كانت أول صفقة وفقت للحصول على مستنداتها هى صفقة « على عبد الصمد » وشريكته التاجرة الحسناء ـ زوجة الضابط الكبير ـ وقد استطعت الوصول الى على عبد الصمد نفسه بعد بحث طويل ·· وانتهى الأمر باستدعائه أمام النائب العام ـ الذى أرغمنى على ذكر اسمه رغم أننى كنت قد وعدت بعدم اعلان اسمه ·· وانتهى التحقيق بالقبض على « على عبد الصمد » وشريكته الحسناء زوجة الضابط الكبير ·· ثم أفرج عنهما بكفالة كبيرة ·· وجاء الدور على الزوج ·· الضابط الكبير ـ وعضو لجنة احتياجات الجيش ـ فقبض عليه أيضا ·· وعندما دخل السجن اعتقد أن رؤساءه ـ الكبار ـ قد تخلوا عنه ، فانفتح فمه الذى ظل مغلقا لفترة طويلة ·· وعندما تكلم الضابط السجين ـ زوج التاجرة الحسناء ـ بدأت القضية تأخذ اتجاها جديدا وبدأت الحقائق تتكشف أمام النائب العام ·· فتغيرت معاملته لى من النقيض الى النقيض ·· واختفى من كلامه لفظ ـ أفندى الذى كان يقذف به فى وجهى كلما أراد اهانتى ·· !! ·· » ··

··· وهكذا تغير موقف النائب العام من الأستاذ احسان عبد القدوس بعد أن ثبت له على وجه اليقين بالأدلة بأنه لم يكتب ما كتب من مقالات عديدة تحت عنوان « محاكمة مجرمى حرب فلسطين » فى المدة من ٢٠ يولية ١٩٤٩ الى ٦ يونية ١٩٥٠ من باب التشهير بالجيش بل

بدافع التشهير بالخونة الذين تاجروا بقضية الجيش جريا وراء وطنيته الخالصة لمصر ولأجل مصر ··· ويقدم الاستاذ احسان الى النائب العام تعزيزا لموقفه تقريرين خطيرين عن مدى الفساد الذى كان يلعب دوره المدمر فى أمور الجيش أولهما : كتبه اللواء محمد على المواوى قائد الجيش المصرى فى حرب فلسطين ـ وهو الرجل الذى حاول الخونة أن يحملوه مسئولية الهزيمة التى تسبب فيها فساد الأسلحة التى قدموها للجيش فى حربه المقدسة ·· ولكن الرجل ابراء لذمته أمام التاريخ كتب تقريره الشهير ليدفع به الخونة والخيانة ··

··· ويعلق الأستاذ احسان على ذلك قائلا : « ارتج النائب العام من أعماقه وهو يقرأ الحقائق البشعة والفضائح المخزية التى سجلها التقرير الذى كتبه اللواء المواوى ·· وقبل أن يفيق النائب العام من وقع الصدمة عاجلة بالتقرير الخطير الذى كتبه اللواء فؤاد صادق ـ الذى تولى قيادة الجيش المصرى فى فلسطين بعد اقصاء اللواء المواوى ـ وكانت الحقائق التى تضمنها تقرير اللواء فؤاد صادق لا تقل بشاعة عما أثبته سلفه فى تقريره ·· وكان أبشع ما فى تقرير اللواء صادق ·· أن الأخطاء التى أدت الى الكارثة بدأت منذ عام ١٩٤٣ ـ وكان أيامها برتبة أميرالاى ـ وحاول أن ينبه لخطورتها على الجيش ، فكوفىء على أمانته بالطرد من الجيش ·· فلما وقعت الكارثة تذكره الخونة وأعادوه للخدمة على أمل أن يحاول انقاذ ما يمكن انقاذه ·· ولكن بعد فوات الأوان ·· !! » ··

ثم يصمت برهة يشرد فيها ببصره بعيدا محاولا استرجاع أحداث هامة وخطيرة لم تستطع الثلاثون عاما التى مرت عليها أن تطويها معها ·· ثم يقطع صمته هذا قائلا : « كان أطول وأخطر نقاش ـ دار بينى وبين النائب العام ـ هو النقاش الذى دار حول النبيل عباس حليم ـ ابن عم فاروق ـ باعتباره وكيلا لشركة أركلين فى مصر وهى الشركة التى تولت توريد ستة عشر مدفعا للجيش من عيار ١٠٥ م · م من أسبانيا ·· مقابل مبلغ قدره خمسة ملايين من الدولارات تقريبا ·· » ··

ولكن ألم يخف كاتبنا من الملك رأس النظام المصرى وأعوانه الخونة حينما اندفع بكل قوة الى اتهام أحد أفراد أسرته رسميا أمام النائب العام ؟

يقول أستاذنا احسان :

« كنت واعيا تماما بكل هذه المخاطر . وكنت على علم تام بكل الاساليب القذرة التى كان يلجأ اليهـا القصر للتخلص من خصـومه ، وخصوصا اذا تعلق الأمـر بكرامة الأسرة المالكة ٠٠ ومع ذلك لم أكن أتصور أن الثالوث المسيطر على الحكم اذ ذاك يمكن أن ينحط الى درجة اغتيال خصومه فى الرأى ٠٠ ولكن ما حدث لى بعد ذلك أكد لى أننى كنت ساذجا أو حسن النية أو مثاليا الى حد بعيد ٠٠ وأتذكر أننى كنت مدعوا للعشاء ذات ليلة مع الأصدقاء فى مطعم الاريتاج الذى كان مكانه عند مدخل عمارة ايموبيليا بشارع سليمان ، وامتدت بنا السهرة فى حديث ساخن حول الضراوة التى تتحرك بها السلطة لقمع الحـركة الشعبية المتزايدة ، والتى بلـغ بها السخط بعد فضـائح الأسلحـة الفاسدة والبورصة وغيرها ، مبلغا لم يكن أحد يتوقعه ٠٠ وانتهى لقاؤنا بعبارة مرحة داعبنى بها أحد الأصدقاء بقوله :

– أرجو ألا تدفع ثمن قضية الأسلحة الفاسدة ٠٠ رصاصة غير فاسدة يا احسان ٠٠ !! ٠٠ وخرجت تشيعنى ضحكات الأصدقاء ٠٠ ولم أكد أغادر المصـعد فى طريقى الى الشارع حتى فوجئت بشخص مختبىء فى الظلام فى مدخل العمارة ينهال على رأسى بضربة سكين عنيفة (واستدرت فتلقيت ضربة سكين اخـرى فوق حاجبى الأيسر ٠٠٠٠٠ سقطت على أثرها والدماء تغطى وجهى ٠ ٠ وخرج أصدقائى من المطعـم وحملونى الى مبنى الاسعاف وجاء الدكتور اسماعيل محرز وأجرى عملية خياطة الجروح الذى لا يزال أحدها ظاهرا حتى اليوم فوق حاجبى الايسر وكان رأيه اننى نجوت من الموت بأعجوبة ٠ ٠ وفى التحقيق الذى أجرته النيابة قلت أنى لا أتهـم أحدا ولكن أعتبرها جريمـة سياسية ردا على ما كتبته فى روز اليوسف وأنا أكتب فى أكثر من موضوع وأوجه الاتهامات السياسية لأكثر من جهة ولذلك لا أستطيع أن أحدد شخصية الجانى وقد أنطلقت الاشاعات تتهم أكثر من شخصية من الشخصيـات السياسية وقامت جهة أخرى تتبع السراى الملكية باطلاق اشاعة بأن دوافع الجريمة دوافع نسائية !! ٠٠ كانت محاولة صريحة ومتعمدة لاغتيالى ٠٠ ولم يكشف التحقيق الذى أجرى يومها عن الفاعل أو المحرضين الذين أوعزوا اليه بقتلى ٠٠ وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو وأعيد التحقيق فى هـذه القضية استطاع المحققون الشرفاء أن يصلوا الى حقيقة مذهلة ٠٠ لقد اعترف الجانى بأنه ارتكب جريمته بتحريض من ابن عم الملك ٠٠ وعرفت يومها أن المحرض على قتلى هو النبيل عباس حليم – أحد المتهمين فى

قضية الأسلحة الفاسدة ـ وتذكرت يومها زيارة غريبة قام بها عباس حليم لى فى منزلى وأنا طريح الفراش عقب محاولة اغتيالى ـ كما تذكرت ضحكته الساخرة وهو يقدم لى صينية فضية فاخرة محملة بحلوى « مارون جلاسيه » .. وعبارته الملتوية وهو يجلس : المجرم الخطير جاى يطمئن على البطل الخطير .. !!

ولم أكن أدرى يومها أنه يقرر الحقيقة التى ظهرت فيما بعد .. وظننت أن ابن عم فاروق كان يقصد بعبارة « المجرم الخطير » التى وصف بها نفسه .. التهمة التى وجهت اليه فى قضية الأسلحة الفاسدة باعتباره أحد السماسرة الذين خانوا شعب مصر وقدموا لجيشها سلاحا وذخيرة فاسدة بل منى أقنعت نفسى بأن عباس حليم جاء ليكسب صداقتى لعلنى أعفيه من الاستمرار فى اتهامه وقد اتضح لى بعد ذلك أننى كنت ساذجا فقد جاء لزيارتى ليبعد الشبهة عن نفسه والأعجب من ذلك أنى عندما أعيد التحقيق فى حادث الاعتداء على بعد القبض على المعتدى واعترافه تنازلت عن حقى فى الاتهام .. وهذه طبيعتى . أن أنسى الماضى وأتفرغ للمستقبل ثم أننى كنت مكتفيا بأن الثورة قد قامت وأن عباس حليم لن يعيش مع الثورة أنتهى .. وقد أنتهى فعلا ..

وهناك محاولتان أخريان تعرض فيهما أيضـا الأستاذ احسان للاغتيال . أولهما حينما كان رئيسا لقسم التحقيقات الصحفية بصحيفة الزمان حيث فوجىء ذات يوم بخبر المحاولة التى وقعت وقصـد بها مدبروها نسف بيت زعيم الوفد نفسه ـ مصطفى النحاس ـ فأسرع كرئيس لقسم التحقيقات الصحفية بصحيفة الزمان التى كانت تصدر مسائية فى ذلك الوقت لعمل تحقيق صحفى عن الحادث .. وأحس شباب الوفد المتزاحم حـول بيت النحاس ـ عقب الحادث بوجوده ـ فأسرعوا يحيطونه فى محاولة حقيقية لقتله باعتباره أحد الكتاب الذين يهاجمون سياسة الوفد .. وجاءت نجاته من الموت المحقق على يد سيدة من أسرة البدراوى يقع بيتها فى مواجهة بيت النحاس .. حيث أسرعت بادخاله الى منزلها وحمايته من موت محقق ..

أما المحاولة الأخرى التى تعرض لها كاتبنا فقد دبرها لـه الملك فاروق بنفسه فى منفاه .

يقول الأستاذ احسان :ـ

« فى عام ١٩٥٣ ارسلنى مجلس قيـادة الثـورة لأمثل الصحافة المصرية فى مؤتمر رؤساء تحرير الصحف الذى انعقد فى مدينة كان على

ساحل الريفييرا بفرنسا وقد سافرت ومعى زوجتى أحرص الناس على حياتى وهناك ألتقيت بالأستاذ أمين فهيم سكرتير الملك فاروق وأيامها كان فاروق يقيم على شاطىء الريفييرا ٠٠ وكان قد بدأ أيامها ينشــر مذكراته فى الصحف الأجنبية وكلها هجوم على الثورة ورجالها على الرغم أن الثورة تسامحت معه ولم تحاكمه على خطاياه فى حق الشعب وسمحت له بالخروج هو وأسرته وضمنت له تحويل أمواله ومجوهراته للخارج ٠

وقلت لسـكرتيره أننى أرى أن يتـوقف فاروق عن نشر هـــذه المذكرات فقد تؤدى الى أن تغير الثورة موقفها منه وتنتقم منه وقال لى سكرتير فاروق أنه سينقل اليه هذا الكلام ٠

وفى اليوم التالى جاءنى الفندق قائلا :ـ

ـ لماذا لاتقابل الملك بنفسك لعلك تسطيع ان تقنعه برأيك ولم اتردد ووافقت وربما لم يكن سر تسرعى بالموافقة هـو الحرص على منع فاروق من نشر هذه المذكرات ولكنها كانت الشهوة الصحفية التى تجعلنى أتشوق الى نشر حديث صحفى مع فاروق بعد عزله ٠٠٠

وحدد الموعد فى الساعة الرابعة مساء اليوم التالى على أن يرسلوا لى سيارة الى الفندق تحملنى الى فاروق وعلمت زوجتى بأنى على موعد للقاء فاروق فثارت ٠٠٠ أنهم سيقتلوننى وقضت الليل وهى تصر على منعى من هذا اللقاء ولكى أريحها وافقت وكتبت ورقة اعتـذار لسكرتير فاروق ٠٠ ومرت شهور ٠٠ وترك أمين فهيم عمله مع فاروق وعـاد الى القاهرة وبدأ ينشر مذكراته فى مجلة اخر ساعـة وسجل فى هـــذه المذكرات أن فاروق وضع خطة لاغتيالى والحمـد لله أنقذت قبل أن تقضى على شهوتى الصحفية ٠٠ أنقذتنى زوجتى ٠٠

ومن الطريف أن الاستاذ احسان أنقذ الملك من محاولة اغتيال كانت تدبر له وجاء مخططوها يعرضون الخطة على كاتبنـــا وكانوا من الضباط الشباب ولكنه عارضهم وأستطاع أن يقنعهم بأن قتل فاروق سيقضى على كل أمل فى الثورة لأنه سيؤدى الى أن يرث الأمير محمد على العرش وبالتالى سيستغيث بالجيش البريطـــانى ليحميه وتكون النتيجـــة عودة القوات البريطانية الى القاهرة ونعيش عشرات السنين الى أن نستطيع أن نحقق الثورة ٠٠ واقتنعوا٠٠وألغى مشروع اغتيال فاروق وقامت الثورة وكان هؤلاء الضباط من أبرز رجالها ٠٠٠

١٠ ـ احسان مخبر سرى

حرص الأستاذ احسان منذ البداية وقبل أن يكتب أية كلمة عن فضيحة عباس حليم ودوره المخجل فى القضية ٠٠ على تتبع صفقة المدافع هذه من أولها الى آخرها ، أى منذ تقدمت الشركة بعطائها الى أن وصلت هذه المدافع الى مصر ، وحصل على جميع المتصلين بها ، وأسماء جميع الضباط الذين علموا شيئا عنها ، وأسماء أعضاء اللجان الذين اختبروها ٠٠ ! بل حصل أيضا فوق كل هذا على تاريخ حياة كل مدفع ، والمكان الذى وضع فيه والمرات التى طلب فيها تجربته ، ورفض المختصين اجراء هذه التجارب خوفا على حياتهم » ٠٠

٠٠٠ ولكن من أين حصل الأستاذ احسان على تلك المعلومات السرية الهامة ؟! ٠٠ والتى تدين ابن عم الملك ٠٠ تلك المعلومات التى تتمثل فى المستندات المبعثرة بين مكاتب شركة أرليكن التى كان يشرف عنيها وبين مكاتب وزارة الحربية ، وقيادات الأسلحة المختلفة ٠٠ كلها أماكن ليس من اليسير أن يدخلها بلا أدنى شك صحفى ثائر مثل احسان عبد القدوس يعرفه الخونة جيدا !!

يقول استاذنا احسان : « أعترف أننى تقمصت فى فترة البحث والتحرى والجرى وراء أدلة اتهام عباس حليم ، بشخصية مخبر سرى متمكن ٠٠ وقد ساعدنى فى هذا أمران ٠٠ أولهما ما اختزنته ذاكرتى من عشرات القصص البوليسية التى قرأتها فى صباى وطفولتى ، تلك

القصص التي كان أبطالها من رجال المباحث الذين يتصدون فى فروسية وذكاء لمحاربة المجرمين والاشرار ٠٠ !

والأمر الثانى خبرتى التى اكتسبتها كصحفى يجيد الجرى وراء الأحداث ومصادر الاخبار التى يطلع بها على قرائه » ٠٠

« وكان للثائرين على خطايا الحكم من شباب الضباط ، فضل معاونتي فى الحصول على كل ما حصلت عليه من وثائق وبيانات ٠٠ واذا كنت قد تقدمت للنائب العام بأدله الاتهام وفى مقدمتها الصورة الاصليه للعقد الذى اشتريت به هذه المدافع ، والمذكرة التى اشتريت على أساسها والمذكرة التى قدمتها شركة « بوفرز » وكان المسئولون فى وزارة الحربيه اذ ذاك ـ قد أخفوها حتى لا تقع فى أيدى المحققين ٠٠ فان الشيء الذى لا يعلمه الجميع حتى الآن وفى مقدمتهم النائب العام نفسه ٠٠ أن هذه الأوراق لم تصلنى الا فى صباح اليوم الذى سافرت فيه من القاهرة الى الاسكندرية ، لكى أدلى بأقوالى فى التحقيق وأنا واثق أن صديقى الأستاذ عبد الغنى أبو سمرة المحامى ـ وعضو مجلس النواب الذى صحبنى ليقف بجانبى فى التحقيق لم يلاحظ أن شخصا طويل القامة قد احتك بى فى محطة مصر ، ودس فى جيبى مجموعة من الأوراق بطريقة خفية تماما كما يحدث فى القصص البوليسية التى قرأتها فى صغرى ٠٠ وكان هـذا الشخص المجهول هو رسول الضباط الثوار ٠٠ وكانت الأوراق التى دسها فى جيبى بخفة هى وثائق اتهام عباس حليم ٠٠ !!

٠٠٠ وهكذا تجمع أمام النائب العام كل أدلة الاتهام الكفيلة بتقديم الخونة الى محكمة الجنايات على الرغم من محاولته العديدة لتضييق الخناق على الأستاذ احسان عندما زج اسم عباس حليم الى قائمة المتهمين فى تلك القضـية مدعما قوله بالمستندات والوثائق القاطعة التى تدينه الادانة الكاملة ٠٠

وفى العدد رقم ١١٨٠ من مجلة روز اليوسف نشر فيه جانبا من ذلك التحقيق الهام الذى أجراه معه النائب العام ٠٠ والذى يقول فيه :

« وسألنى النائب العام ٠٠ و « أنا أكتب من الذاكرة » ! :

ـ ما هى معلوماتك عن دور صاحب المجد النبيل عباس حليم فى هذه الصفقة ؟

ـ انه وكيل شركة أوليكن فى مصر ٠٠ !!

ـ اسألك عن الدور الذى قام به فى توريد هذه الصفقة من المدافع للجيش المصرى ٠٠ ما دوره بالضبط ؟

ـ لا أدرى شخصيا ٠٠ الوثائق وحدها تحدد ٠٠

ـ ما هى مسئوليته ؟

ـ ان النبيل عباس حليم نفسه يستطيع أن يحدد مسئوليته ٠٠ !

ـ لقد ذكرت فى مقالاتك اسم النبيل عباس حليم تحت عنوان « النبيل الشريف » ٠٠ فماذا تقصد بهذا العنوان ؟؟

ـ أن عباس حليم يحمل لقب نبيل لأنه أحد أفراد العائلة المالكة وقد سبق للوفد المصرى أن أطلق عليه لقب « شريف » عندما حرم من لقب نبيل فى عهد الملك فؤاد ٠٠ !

ـ ولكن العادة لم تجر بالجمع بين لقب « النبيل والشريف » فماذا تقصد بالجمع بينهما ؟

ـ أقصد المعنى الظاهر منهما ٠٠ !

ـ يفهم من هــذا العنــوان أنك تتهم النبيل عبـــاس حليم فى نزاهته ٠٠ !

ـ أنا لا أتهم أشخاصا بل سردت وقائع ومهمة النيابة هى الكشف عن المسئولين فى هذه الوقائع ٠٠ وكل ما كتبته عن النبيل هو أنى رجوته أن يصدر بيانا يشرح فيه وقائع هذه الصفقة ويحدد موقفه منها » ٠٠

٠٠٠ وهكذا انتهت حلقــة الصراع الدائر بين الأستاذ احســان والنائب العام الى انتصار الحق مهما كان الثمن ٠٠ بل يندفع النائب العام فى حماسه الشديد ـ كما يقول الأستاذ احسان ـ « الى الاتفاق معى على أن أدلى له شفهيا بما لدى من معلومات قد تنقصها المستندات ، ثم يتولى هو تحقيقها حتى اذا ثبت صحتها ، ذكرهـــا على لسانى فى التحقيق ٠ وقلت له وقائع كثيرة كان يتولى التحرى عنها فى التو واللحظة ٠٠ وبدأت أثق فيه واطمئن اليه وأؤمن به » ٠

٠٠٠ وهنا يحس الأستاذ احسان بشىء من الراحة والطمأنينة بعد فترة المعاناة الطويلة والصراع الدائر بينه وبين النائب العام من أجل

تعرية الخونه مرتكبى جريمة الأسلحة الفاسـدة أمام الشعب وكان أول ما كتبه فى الصحف بعد أن انتهى من الادلاء بشهادته هو نداء الى الجمهور يطالب المواطنين فيه بأن يتقدم كل من لديه معـلومات تتصل بالقضية للادلاء بها للنيابة مع وعد بحمايته ، وبمجرد نشر هذا النداء يندفع الشعب الثورى بالبلاغات التى تكشف عن خفايا كل ما يتعلق بهذه الجريمة البشعة وقد ثبت فيها أن المليونير « عبد اللطيف أبو رجيلة » الذى عرف فى ايطاليا باسم السنيور رودى .. ! .. قد انتشل الذخـيرة من البحر بواسطة الغواصين من سفن الحلفاء التى أغرقتها غواصات هتلر ابان الحرب العالمية الثانية على شواطىء ايطاليا .. وكانت الذخيرة التى مضت عليها سنوات وهى راقدة فى مياه البحر الأبيض ، فاسدة على سبيل التأكيد ، ولكن السنيور رودى ، لم يتردد فى بيعها لجيش بلاده ، وهو يخـوض معركته الأولى ضد الصهيونية العالمية وعندما ووجه أبو رجيلة بالاتهام — على البعد — وهو مقيم بأيطاليا ، أرسل عن طريق وكلائه الذين اشتراهم بماله ، يبرر فساد الذخيرة التى وردها للجيش بأنها كانت سليمة ، ولكن الباخرة التى حملتها الى مصر تعرضت لعاصفة وأمواج عالية أصابت برذاذها صناديق الذخيرة فأتلفتها .. !

... وهنا ينكشف أبو رجيلة ، فيحاول اللعب على المكشوف مع الأستاذ احسان فيطلب منه كرئيس لتحرير مجلة روز اليوسف والذى أسرع بنشر الواقعـة بمجرد أن شم رائحتها الكريهة وقبـل أن تحققها النيابة أن يسمح له بنشر بيان للقراء استعمالا لحقه القانونى فى الدفاع عن نفسه مفسرا وجهة نظره فيما نشرته المجلة مع التلميح باستعداده لدفع ثمن المسـاحة التى سينشر فيها .. وبالطبع لم تنجح لعبـة المليونير مع ذكاء أستاذنا ، اذ يسمح له بنشر بيانه وينشر الأستاذ احسان فى الصفحة المقابلة له فى نفس العدد تفنيدا لما جاء بالبيان مدعما بالأرقام والأدلة والتواريخ والوثائق الرسمية ..

وكتب الاستاذ احسان فى مقاله يوم ٦ — ٦ — ٥٠ تحت عنوان « الصحف المصرية تدافع عن المليونير المتهم » لقد أثار مصطفى مرعى غبار الاتهام حول المليونير المصرى المدعو رودى أبورجيله ومن تعامل معـه فى الصفقات التى باعها للجيش المصرى وقـد كانت اثارة هـذا الأتهام فى الوقت الذى لم تبرد فيه بعد جثث الشهداء ولم تجف دماؤهم من فوق رمال فلسطين كافية ليثور الرأى العام وتثور الهيئات مطالبة برأس المتهم ..

كان هذا يحدث فى أى بلد من بلاد العالم اما فى مصر فلم يحدث منه شى
بل لم يبق الاتهام معلقا أربعة وعشرين ساعة حتى تتولى الحكومة التحقيق
وانما ظهرت الصحف كلها فى اليوم التالى وقد نشرت دفاعا مجيدا يعدد
فيه أبور رجيله الخدمات التى أداها لوطنه بل رأت أحـــدى الصحف أن
ليس من اللياقة أن تنشر أسم أبو رجيله فى محضر جلسة مجلس الشيوخ
وهو على ماهو عليه من ملايين فحذفت أسمه من بين أقوال مصطفى مرعى
واكتفت بأن تشـــير اليه بكلمة واحـــد من النـــاس » ... وبذلك اطمأن
صاحب الملايين الى ان الرأى العام معه ما دامت الصحافة قد سكتت عنه
بل وأشادت بوطنيته ... ويستطيع أبو رجيلة بعد ذلك أن يتفرغ لبناء
قطعة الأرض التى اشتراها فى شارع سليمان باشا ودفع ثمنهـــا نصف
مليون جنيه كاش » ويستطيع بعد ذلك أن يكتفى بابتسامة يوجهها الى كل
مصرى يزور ايطاليا وبخدمة أو خدمتين يقدمها له فيطمئن الى ان كل
مصرى سيشهد بكرمه وحماسه الوطنى ...

وهذا حـــرام ...

حرام فى حق مصر وفى حق الأخلاق وفى حق المستقبل ..

١١ ـ احسان يقول :

« كان هناك فساد .. وكانت هناك أسلحة فاسدة ! »

ليست فضيحة المليونير أبو رجيلة الوحيدة التى أسرعت مجلة « روز اليوسف » الثورة بنشر وقائعها قبل أن تحققها النيابة ابان تصديها لحملات جمع المعلومات عن خفايا قضية الأسلحة الفاسدة ، فهناك صفقة أخرى وفق الأستاذ احسان فى جمع مستنداتها ضمن صفقات الأسلحة وكان المحرك لها رجلا انجليزيا التقى به فى ظروف غامضة ..

قال لى الأستاذ احسان : « كنت فى زيارة صديق يقيم باحدى الفنادق الكبرى ، عندما التقيت بسيدة مصرية معروفة ، حادثتنى مليا عن قضبة الجيش ، ثم قدمتنى الى رجل انجليزى من رجال الأعمال ، قالت لى عنه أن لديه معلومات هامة عن احدى صفقات سلاح البحرية .. وبدأ الانجليزى الغامض حديثه معى بأنه لا يريد أن يتدخل فى هذه القضية ، أو يذكر اسمه فيها ، ولكنه سمع عنى وعن مدى اهتمامى بأمر هذه الصفقات .. ثم أن مصر قد أكرمته كثيرا !! وأقل ما يستطيع أن يدلى بما لديه من معلومات خطيرة عن صفقة تمت على حساب مصالح الجيش ومصالح مصر .. !! » ..

« والتقينا فى اليوم التالى فى مكان بعيد .. !! .. وكانت معنا السيدة المصرية المعروفة .. وبدأ يحدثنى عن صفقة شراء الباخرة ناقلة

السوائل « لوتشيا » التي اشتراها السلاح البحرى ـ الملكى ـ وأطلق عليها اسم « الغردقة » ..

وكانت هذه المركب سبق أن عرضها أحد التجار (كابتن حسن عزو) على السلاح البحرى بمبلغ ٢٢ ألف جنيه ورفض عندئذ السلاح البحرى شراءها بحجة أنه ليس بحاجة اليها .. وفجأة وبدون مقدمات عاد السلاح البحرى نفسه ليشترى نفس المركب بمبلغ ٣٦ ألف جنيه . بينما الثمن الحقيقى لها لا يتجاوز ستة عشر ألف جنيه ، وعلى الرغم من أن الرجل الانجليزى قد سلم الأستاذ احسان جميع الوثائق الخاصة بالصفقة ومدى التلاعب الراضح فيها .. الا انه لم يسرع بتقديمها الى النائب العام بل أنه تأنى وتروى كعادته دائما وتحرى عن صحة تلك الواقعة عن طريق أصدقائه من الضباط وعندما تاكد صحة هذه المستندات التى بين يديه قام بتقديمها للنيابة وعندما أطلع عليها النائب العام شد على يده مهنئا فقد كان يبحث بنفسه عن أسرار هذه الصفقة .....

وبصفقة البحرية هذه يكون كاتبنا قد قدم آخر حلقة فى السلسلة الغليظة التى أحاطت عنق المتهمين فى أخطر قضية شهدتها مصر وكان محركها الاول والأخير الصحفى الجرىء ، صاحب القلم الحر ، الثائر دائما احسان عبد القدوس .. حيث يدق جرس التليفون فى مكتبه بمجلة روز اليوسف ويبلغ بأن المتهمين الكبار فى القضية التى فجرها انما ينزلون ضيوفا غير مكرمين فى سجن الأجانب !!

وعندما يضع السماعة تكون قد ارتسمت على شفتيه ابتسامة الرضا بهذا النصر العظيم الذى حققه لوطننا الحبيب ..

ويكتب احسان عبد القدوس مقالا فى روز اليوسف فى ١٥ يونية ١٩٥٣ تحت عنوان « **كان هناك فساد .. وكانت هناك أسلحة فاسدة** » حيث جاء فيه .

« لو أن القضية كانت مجرد قضية جنائية ، ولم يعتبرها المسئولون فى ذلك الوقت قضية سياسية خطيرة فيتدخلوا فيها ، ويضعوا العقبات فى طريقها ويثيروا من حولها أزمات فى الوزارة وأزمات فى القضاء ، وفى الجيش .. ولو أن القضية سارت سيرا جنائيا عاديا فانتهى تحقيقها بسرعة وبلا ضجة ، وحكم على المتهمين فيها بالادانة أو بالبراءة .. لو أن هذا حدث لما كانت هناك قضية اسمها قضية الأسلحة الفاسدة .. !! .. بل لكانت مجرد قضية صحفية معتادة..ولما أدت الغرض منها..!!» .

١٢ ـ احسان يجبر حيدر باشا على تقديم استقالته

كتب الأستاذ احسان فى روز اليوسف سلسلة من المقالات تطالب بالتحقيق مع حيدر باشا وزير الحربية عن هزيمة ١٩٤٨ وانسحاب الجيش المصرى ... فكتب بتاريخ ٢٤/١٠/١٩٥٠ مقالا تحت عنوان :

انى أطالب بالتحقيق مع الفريق محمد حيدر / باشا

الضابط الذى قال : « أن الجيش لم يهزم ولكن هزمت قيادته

المواوى كان يجهل أسرار حملة فلسطين وموعدها !

القائد العام لم يكن له حق اختيار ضباطه ومعاونيه

يقول الأستاذ احسان : « فى نوفمبر عام ١٩٤٨ كان الجيش المصرى قد بدأ ينسحب من مواقعه فى فلسطين ، وعقد القائد العام للحملة اجتماعا عاما فى مركز القيادة حضره ضباط من جميع الوحدات المحاربة ومن جميع الرتب .. وكان الاجتماع حماسيا أو على الأصح عصبيا أبدى فيه الضباط الصغار آراء صريحة فوقف الصاغ حسن الهادى وصرخ قائلا أن الجيش المصرى لم يهزم ولكن قيادته هى التى هزمت !! قال الضابط هذه الكلمة المأثورة ، فانتقلت على شفاه الضباط حتى وصلت الى القاهرة ودخلت مكتب معالى حيدر باشا وزير الحربية ورغم ذلك لم يحقق أحد مع الضابط فيما اتهم به قيادته ، ولم يحقق أحد مع القيادة فيما أتهمت به ! . مع أن

التحقيق مع القيـــادات فى حالة الهزيمة هــو تقليــد من تقـــاليــد الجيــوش العريقة التى تحرص على معالجة مواضع الضعف فيها والتى تحرص على تجنب الوقوع فى خطأ سبق أن وقعت فيه ورغم ذلك فان أحدا لم يحاول أن يقنع هؤلاء الضباط بأن جيشهم كبقية الجيوش له تقاليد تحمى أبطاله من أخطاء القيادات وعمرها ولم يحاول احد أن يصون سمعة هذه البطولة الخارقة التى وصلت الى أبواب تل أبيب بلا سلاح وبلا قيادة بل أن وزارة الحربية لم تحاول حتى اليوم أن تصـــدر كتابا عن حملة فلسطين تبين فيه ما رقع من أخطاء حتى يستريح الأبطال وتستريح أرواح الشهداء » ..

يقول الأستاذ احسان فى نفس المقال : « كل ما فعلته وزارة الحربية ووزيرها الفريق حيدر باشا عندما انسحب الجيش المصرى من مواقعه هذه الانسحاب السريع المريع أن سحبت اللواء أحمد على المواوى بك من قيادة الحملة ووضعت مكانه اللواء فؤاد صادق باشا ولم تعزله انما منحته اجازة يقضيها فى القاهرة » ..

وأسأل أستاذنا هــل كانت القيــادة العـــامة تستطيع أن تحقق مع المواوى ؟ وهل هوالمسئول عن الخطط التى وضعت للحملة ومسئول أيضا عن الانسحاب ؟ .

فيقول : كان بين يدى مذكرة ونشرتها فى روزاليوسف يقول فيها المواوى بالحرف الواحد : « مما زاد الطين بله التدخل المستمر فى سلطتى واملاء عملبات على كنت أرفضها فيقال لى : بالأمر !! ولم تعط لى الفرصة أو السلطة لانتخاب الضباط الذين كنت أرى أنهم أصلح للقيام بالأعمال الشـــاقة التى كلف بهـــا الجيش وأن معظم الضـــباط فرضـــوا على فرضا » ..

وجاء فى المذكرة أيضا « قبل بدء العمليات ابان تجمع وحدة من الوحدات بحملة تأديبية فى فلسطين .. وانه ألح مرارا فى أن يعين له الجيش بالعريش فى أوائل مايو لم يكن القائد على بينة تامة بأمر قيـــام الغرض ولكنه لم يعط له الا قبل دخول الجيش الى فلسطين بأيام قليلة ..

هذا هو بالضبط ما سجل فى المذكرة الخطيرة والتى نشرتها مجلة روز اليوسف وعلق عليها الأستاذ احســان فى نفس المقال قائلا : « ان المسئولين عن حملة فلسطين كانوا يلهون .. اما غباء منهم واما عجزا ..

وكانوا للأسف يلهون بأرواح الضباط والجنود ٠٠ فهذه المذكرة الخطيرة تبين لنا أن المواوى بك لم يكن قائدا لحملة فلسطين وانما كان « ساعى بريد » أو « عامل تليفون » يتلقى الأوامر من القاهرة وعليه أن يبلغها ـ بالأمر ـ الى قواد الوحدات حتى لو لم يقتنع بها ٠٠ ولكن هذا لا يعفى المواوى بك من المسئولية ولكنه يعفيه أن يكون المسئول الأول ٠٠٠٠ اذن من هو المسئول الأول ؟ لقد كان المشرفون الكبار على حملة فلسطين هم الوزير ـ أى حيدر باشا ـ ورئيس هيئة أركان حرب الجيش وقائد العمليات والمرحوم اللواء أحمد عبد البارى واللواء شعراوى ٠٠٠ الخ) وأحب أن أعفى كل هؤلاء من المسئولية وأحصرها فى حيدر باشا نفسه فهو أكثرهم نفوذا وسلطانا ٠٠ ونكبة فلسطين وقعت بفضل أصحاب النفوذ والسلطان !! ان حيدر باشا هو المسئول الأول ويجب أن تكون لديه الشجاعة الكافية لتحمل هذه المسئولية ٠٠

يجب أن تتحمل الوزارة قبل أن تضطر للتحرك فتؤلف مجلس تحقيق يتولى تحديد الأخطاء ثم يواجه حيدر ولو بكلمة لوم قد يستقيل بعدها سعادته ان لم يعزل » ٠٠

وأسأل الأستاذ احسان عبد القدوس : ماذا فعل حيدر باشا بعد هذا المقال الجرىء من المؤكد أنه طلب بنفسه تكوين مجلس ليحقق معه ؟ ٠

قال : لم يفعل شيئا ولم يتحرك وكان الموضوع لا يعنيه بشىء مما اضطرنى لكتابة مقالى الثانى فى الأسبوع التالى ٠٠

ففى يوم ١٩٥٠/١٠/٣١ كتب احسان عبد القدوس فى افتتاحية مجلة روز اليوسف تحت عنوان :

انى أطالب بالتحقيق مع الفريق محمد حيدر باشا

اخطاء حيدر باشا وأخطاء ابراهيم عطا الله باشا

كيف عين حيدر باشا وزيرا ، وكيف عين قائدا عاما ؟

الجبهة الثانية التى فتحها حيدر باشا وهزم فيها

« ان الذين يطالبون باستقالة الفريق محمد حيدر باشا يترفقون به ـ أكثر مما يحقدون عليه ٠٠ وأنا من المترفقين بحيدر باشا ومن المشفقين عليه ولكنى رغم ذلك لا أطالبه بالاستقالة وانما أطالب بالتحقيق معه ٠٠

فاستقالة سعادته ليست سوى اعتراف منه بالخطأ أو بالفشل وهو اعتراف بينه وبين نفسه لا يستفيد منه الجيش ولا تاريخ الجيش ولا يصون التقاليد المتبعة فى جميع جيوش العالم ·· انى أشفق على معاليه من همسات ضباطه وجنوده ·· هل يريد معاليه أن تترجم له هذه الهمسات ؟ ولكنها لم تعد همسات فقد أصبحت صرخات لابد أنها وصلت الى أذنى حيدر باشا رغم أنه حرص كل الأيام الأخيرة على أن يغلق على نفسه النوافذ والأبواب··

ويستمر احسان عبد القدوس فى مواجهة حيدر باشا بالحقائق لعله يتحرك ويطلب لجنة للتحقيق معه ولكنه أبدا لم يتحرك !!

وعن دخول فلسطين وحالة الجيش وهل كان مستعدا لدخول فلسطين ؟ كتب الأستاذ احسان يقول :

« لا شك أن معالى حيدر باشا كان يعلم مدى النقص فى أسلحة الجيش وذخيرته ومعداته وتدريب جنوده ويعلم أن هذا النقص وصل الى حد أن أوقفت التدريبات السنوية لضرب النار وحدد الضرب بأقل من « المرتب » المعتاد فى بعض الوحدات وذلك لعدم وجود طلقات » ··

ويسترسل أستاذنا احسان فى مقاله ذاكرا له الاجتماعات السرية التى عقدت قبل الحرب وما دار فيها والخطة التى اتبعت وفشلها ويدعم ذلك بالوثائق والأوراق التى تحت يديه والتى هى صورة من تلك الأوراق التى يحتفظ بها فى وزارته ··

ويكتب احسان عبد القدوس مقاله الثالث بتاريخ ١٩٥٠/١١/٧ :

انى اطالب بالتحقيق مع الفريق حيدر/ باشا
الفرق بين قيادة الجيوش ، وتفريق المظاهرات !
الخطة التى وضعها حيدر باشا وانتهت بالانسحاب
المواوى يقول : لقد كنت مامورا بالتقدم رغم اعتراضى
فؤاد صادق يقول : انها رواية هزلية مثلت على مسرح فلسطين
البرقية التى ارسلها السفير المصرى ، واهملها حيدر باشا
المواوى لم يكن له الا ستر المولى والتوكل على الله !!

يقول فيه : « انى أريد أن احتفظ لحيدر باشا بجميع الصفات الحميدة اريد أن أقول عنه انه شجاع ونزيه وشهم وكريم وطيب وقد لا يدرى

معالبه مدى الألم الذى أعانيه عندما أضطر للخصوع أمام المنطق فأدع القلم ينزع عنه احدى هذه الصفات أو بعضها !! ولكن الصفات الحميده ليست مجرد كلام يقال ولا مجرد حروف تكتب ولكنها دائما صفات لأعمال فليقل لى معاليه أى عمل يمكن أن أنسبه اليه من بين مواقفه الأخيرة يستحق عليه لقب شجاع أو لقب شهم أو لقب غيور على مصالح وطنه وجيشه ؟! » ..

ويضرب له الأستاذ احسان مثلا من أمثلة الشجاعة والغيرة حدث فى مثل موقفه اليوم .. الماريشال بيتان الذى طلب عقب هزيمة الجيش الفرنسى فى أوائل الحرب الأخيرة وفى عهد الاحتلال الألمانى أن يؤلف مجلس لتحقيق أسباب هزيمة الجيش الفرنسى وتحـديد المسئولية عن الهزيمة ... طلب اجراء هذا التحقيق وهو القائد الأول للجيش الفرنسى وكان يمكن أن ينتهى المحققون اليه ويحملونه المسئولية وحده ولكنه وضع التقاليد العسكرية ومصالح جيشه فوق سلامته ومصلحته الشخصية ... وطالبه احسان أن يقتدى به ليختم عمره الطويل بموقف يؤهله لصفحة من صفحات التاريخ !! ..

يقول أستاذنا فى هذا المقال :

« حيدر باشا وهو وزير للحربية .. أخطر على الجيش من الأسلحة المغشوشة ، فان السلاح المغشوش قد يتغلب عليه القائد الصالح ، أما القائد القاصر فقد ينهزم حتى لو لم يكن السلاح مغشوشا » ..

سألت الأستاذ احسان ألم تتقدم الوزارة الى النيابة للتحقيق معك فى هذه المقالات احقاقا للحق وازهاقا للباطل .. كما سبق وأن قدمتك للنيابة العمومية للتحقيق معك فيما كتبته عن صفقات الأسلحة الفاسدة؟!

أجاب : « أبدا لم يحدث هذا على الاطلاق مما أثار دهشتى ودهشة مصر كلها من هذا العناد الغامض ولم أجـد أمامى ازاء هذا الا الاستمرار فى الكتابة والتى لم تكن كتابة بقدر ما هى نقل لهمسات محبوسة فى صدور الضباط والجنود والأبطال ونقل لآيات السخط من فوق شفاه أرامل وأيتام الشهداء ونقل للمعلومات الخطيرة التى تتململ فى ظلام الأدراج .. وقد كتبت عن الخطة الحـربية التى وضعها سـعادته والتى اتبعت فى تأديب عصابات اليهود والتى انتهت بالانسحاب من فلسطين » ..

ولا شك أن هذا اتهام خطير لأنه ليس للوزير أن يتدخل فى وضع خطة حربية فنية يجازف فيها بأرواح الجيش وسمعته وكرامته وهو اتهام لا يجرؤ على توجيهه الصحفى الثائر احسان عبد القدوس ان لم يكن تحت يده دليل ..

يقول الاستاذ احسان : « كان تحت يدى دليل يقوم على واقعة واحدة تشهد على جميع الوقائع ٠٠ فقد حدث ان وضع حيدر باشا خطته للاستيلاء على بعض المستعمرات وحمل مدير مكتبه هذه الخطه الى رئيس هيئة اركان حرب الجيش في يوم ٢٢ يونيو ١٩٤٨ ولا تزال صورة من هذه الخطة محفوظه في ادارة العمليات الحربية وأصلها محفوظ فى مكتب الوزير ٠٠

وقد وضعت هذه الخطة تحت عنوان « مقترحات عن عمليات حربية مقبلة » وقد نشرتها في روز اليوسف ٠٠

ويكتب الصحفي الجريء احسان في روز اليوسف متسائلا : « كيف أباح معاليه لنفسه أن يضع خطة حربية فنية ٠٠ وأى تجارب اعتمد عليها ليغتصب لنفسه هذا الحق وأى ثقافة حربية يتمتع بها معاليه ليجرؤ حتى على أن يشير أو يقترح فى عمليات تحركات الجنود ٠٠ لقد تخرج معاليه فى الكلية الحربية عام ١٩٠٥ وعمل بالجيش عاما واحدا أمضاه فى سلاح الخيالة للتدريب على ركوب الخيل ثم نقل الى سوارى بوليس مصر وظل ضابط بوليس حتى نال رتبة أميرالاى ثم نقل وكيلا لمصلحة السجون ثم مديرا لها فوكيل وزارة لها ثم وزيرا للحربية ٠٠٠ فأى تجربة فى هذا العمر الطويل تتيح لحيدر باشا التدخل فى وضع خطة حربية ٠٠ هل كان معاليه يعتقد أن انتصار جيش على الأعداء لا يستلزم من الذكاء والعلم أكثر مما يستلزمه انتصار البوليس على احدى مظاهرات عام ١٩١٩ ٠٠ وهل كان معاليه يعتقد أن قيادة جيش لا تستلزم من الهمة والدراية أكثر مما تستلزمه قيادة مساجين مصلحة السجون ؟ ! » ٠

ويكتب الأستاذ احسان تحت عنوان « طرائف حيدر باشا » « فى سبتمبر عام ١٩٤٨ أرسل سعادة أحمد ثروت بك سفير مصر فى باريس برقية خطيرة بالشفرة الى وزارة الخارجية المصرية وهذا نص ما بها من معلومات :

« وصلنى من مصدر ثقة لا أشك فى سلامة أخباره أن اليهود يجمعون حوالى ٤٠ ألف عسكرى فى النقب أمام القوات المصرية للحصول على نتائج حاسمة من خلال النصف الاول من شهر اكتوبر » ٠ واحالت وزارة الخارجية هذه البرقية الى معالى وزير الحربيه الفريق حيدر باشا فأحالها بدوره الى رياسة هيئة أركان الحرب واحالتها هده الى ادارة العمليات وأحالتها ادارة العمليات الى القائد العام للحملة

وأحالها القائد العام الى قواده فكتب كل منهم على الاشارة التى تحملها كلمة « علم » !! وكان هذا هو كل شيء ٠٠

انه لشيء غريب حقا ٠٠ ففى الفرصة الوحيدة التى كان يجب أن يتدخل فيها حيدر باشا فيشرف على استعداد القيادات لمقابلة هـذا الهجـوم الذى يشير اليه السفير المصرى لم يفعل معاليه شيئا وانما اكتفى بكلمة « علم » ٠٠

يقول الأستاذ احسان : « وفى منتصف أكتوبر تحقق ما جاء فى برقية السفير وما علم به حيدر باشا قبل حدوثه بشهر فقام اليهود بهجومهم المعروف الذى أعقبه الانسحاب ٠٠

وطرفة أخرى يذكرها لنا احسان عبد القدوس : فقد حدث أثناء الارتبـاك الذى صحب الانسحاب أن أرسـل أمر انسحاب الفالوجا الى المجـدل وأرسل أمر انسحاب المجـدل الى الفالوجا فتسلم سيد طه أمرا نصه : انسحب عن طريق البحر » !! ٠٠

ولعل حيـدر باشا يعلم أن بين الفالوجا حيث قيـادة سيد طه والبحر أميالا ! ٠٠

وطرفة ثالثة :

حدث أن قررت القيادة العامة فى القاهرة استرداد بير سبع وهى من أهم المواقع العسكرية وكانت جميع الحملات التى دخلت فلسطين من عهد نابليون حتى حملة اللنبى تتخذ منها قاعدة حربية هامة وكان اليهود قد بذلوا الكثير فى سبيل اخراج الجيش المصرى منها ٠٠ أتدرون كيف صـدر الأمـر لاسترداد بير سبع ٠٠ لقد صـدرت اشارة الى الأميرالاى فؤاد ثابت تحمل الأمر التالى :

بسريتين من الكتيبـة الأولى احتيـاط استرد بنفسك بير سبع والسرية لا يزيد عددها على مائة عسكرى ! ٠ وقد اعتبر الضباط هـذا الأمر نكتة ، وتندروا فيما بينهم أن المقصود هو أن يسترد فؤاد ثابت بير سبع بنفَسه بفتح النون والفاء !!

ويستمر الأستاذ احسان فى ذكر طرائف حيدر باشا ويرجوه فى نهاية المقال أن يشفق به ان لم يشفق بنفسه فيقول له : « حرام أن تكلفنى بعد كل ما بذلته من جهد خلال الأسابيع الثلاثة الماضية ٠٠

أن أكتب مقالا رابعا حتى تتحرك .. تحرك يا رجل .. واعفنى من مقال الأسبوع القادم ...

ويكتب احسان عبد القدوس المقال الرابع بتاريخ ١٤/١١/١٩٥٠ تحت العناوين التالية :

انى اطالب بالتحقيق مع حيدر باشا
وزير الحربية يقول انه مشغول فى الأسلحة الفاسدة
حيدر القائد العام يحقق مع حيدر الوزير السابق
فؤاد صادق يامر بعدم اطاعة أوامر حيدر باشا
كيف تعاون حيدر مع جلوب باشا لانقاذ الفالوجا
الخطة التى وضعت لابادة قوات الفالوجا ونسف أسلحتها
كيف تتسرب الخطط المصرية الى اليهود

كتب يقول : « انى لا أطالب باستقالة معالى الفريق حيدر باشا من منصبه بصفته قائدا عاما للقوات المسلحه بل انى لم أتحدث عنه اطلاقا بهذه الصفة ولا أطالب حتى بالتحقيق معه تحقيقا مباشرا بل كل ما أطالب به هو التحقيق فى أسباب انسحاب الجيش المصرى من فلسطين تحقيقا اداريا وفنيا ينتهى بتحديد المسئولين عن هذا الانسحاب .. وأتساءل قائلة : هل ما طالب به احسان عبد القدوس به ما يجافى المنطق ؟ وهل كان يحتاج المنطق الى أربع مقالات يحرق فيها دمه واعصابه ليقنع معالى وزير الحربية فيهتم باجراء هذا التحقيق !!

يقول الأستاذ احسان : « لقد قيل لى على لسان معالى الأستاذ مصطفى نصرت أن معاليه قد حضر كل جهده فى مشكلة استيراد الأسلحة الجديدة وأنه بلغ من حرصه على أعمال وزارته أن يطلع على كل ورقة صغيرة أوكبيرة بنفسه قبل أن يوقعها حتى أنه أصبح يتناول طعامه فى بيته وبين يديه أعمدة من الدوسيهات يقلبها بينما يقلب اللقمة بين شدقيه وهو لذلك قد ضاق وقته عن الاهتمام بفتح تحقيق ادارى وفنى فى أسباب انسحاب الجيش » ..

ويطالب احسان عبد القدوس حيدر باشا القائد أن يحقق مع حيدر باشا وزير الحربية السابق ليعترف بالأخطاء التى وقعت فى عهده كوزير للحربية ويعدد هذه الأخطاء ولعل أبرزها تسرب الخطط الحربية

المصرية الى اليهود .. فقد ثبت ان اليهود كانوا على علم بالخطة التى وضعها جلوب لابادة قوات الفالوجا عن آخرها قبل أن يعلم بها فؤاد باشا صادق (القائد العام) ولكن فؤاد صادق وضع خطه أخرى طلب فيها معاونة جلوب لفك الحصار على الفالوجا فرفض جلوب ان يتعاون فى تنفيذ هذه الخطة .. وقد حدث أن أسرع الصاغ معروف الحضرى وهو الذى يحمل تفاصيل الخطة الى الفالوجا فكان أول سؤال وجهه اليه رجال قلم المخابرات الاسرائيلى هو « لماذا لم ينفذ الجيش المصرى خطة انسحاب الفالوجا التى وضعها جلوب » .. وهذا السؤال نفسه سمعه رجال رسميون فى مناسبة رسمية ومع ذلك لم يفقد حيدر باشا ثقته فى جلوب باشا ..

ويكتب احسان : « كان يجب أن يعلم حيدر باشا أن اليهود على علم بهذه الخطة منذ أن تركوا القافلة المكونة من خمسة وأربعين جملا التى حملت أوامره ، تمر فى هدوء الى الفالوجا دون أن يتعرضوا لها وقد أمر السيد طه بنحر أربعين جملا من هذه الجمال لتموين جنوده وأعاد خمسة جمال فقط الى بيت لحم بصحبة معروف الحضرى تحمل المرضى وبعض المدنيين فاعتدى اليهود على هذه القافلة الصغيرة وأسروا معروف وقتلوا واحدا من الرجال واستطاع الباقون أن يتشتتوا ..

ويتساءل احسان عبد القدوس ألا تكفى هذه الحادثة وحدها للتحقيق وهل لو نفذت خطة جلوب وأبيدت قوات الفالوجا كاملة واستحلت دماء رجالها باردة لليهود فهل كان أحد يفكر فى التحقيق ؟! قد لا يكفى كل هذا ..

ويختم مقاله قائلا : « حيدر باشا نفسه يعلم أنى لم أنته من كل ما يمكن نشره ويؤدى الى التحقيق معه وأنا لم أتعب .. ولكن من يدرى ؟! قد يكون ....

وفعلا قد كان وقدم حيدر باشا استقالته قبل أن يواجهه كاتبنا بمزيد من الوقائع والمحاضر والمستندات التى تدينه وتلوث تاريخه الطويل ..

وهذه المقالات الأربع تعد من أهم الانتصارات الصحفية التى حققها الأستاذ احسان عبد القدوس على مر تاريخه الحافل بالانتصارات ..

١٣ ـ احسان يؤيد ٠٠ ويهاجم ٠٠ النحاس باشا

كان المد الثورى قد بلغ مداه فى المطالبة بجلاء الانجليز عن مصر، كانت المفاوضات المتتالية تفشل واحدة تلو أخرى ، حتى وصلت الى طريق مسدود ٠٠ الانجليز يرفضون التسليم بالجلاء والوفد غير قادر على الاستسلام لشروطهم تحت ضغوط التيار الشعبى المتزايد ٠٠

« ويجتمع البرلمان فى جلسة تاريخية مساء الثامن من أكتوبر عام ١٩٥١ ليستمع الى مصطفى النحاس وهو يعيش لحظة من لحظات الزعامة الغـــابرة وهو يعلن بقوة (٠٠٠ من أجل مصر وقعت معاهدة ١٩٣٦ ومن أجل مصر أطالبكم اليوم بالغائها ٠٠ » ٠٠

وعلى الفور كتب احسان عبد القدوس مقالا فى افتتاحية العـــدد رقم ١٢١٧ من مجلة روز اليوسف والذى صدر صباح الاثنين التاسع من أكتوبر عام ١٩٥١ أى فى اليوم التالى مباشرة لهذا القرار التاريخى يؤيده قائلا : بأن المراسيم بمشروعات القوانين الخاصة بالغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى سنة ١٨٩٩ ، واعلان دستور السودان ٠٠ انما هى تعبير صادق عن الثورة التى أفرغنا العمر فى المناداة بها ٠٠ والحكومة التى تضع هذه المراسيم موضع التنفيذ العملى : هى حكومة الثورة ، ونحن جميعا معها ، نهتف فى هتافها بسقوط الاستعمار الانجليزى : ونحن جميعا معها ، يدا واحـــدة فى التضحية والجهاد ، ما دامت قد فتحت لنا أبواب الكفاح والجهاد ٠٠ انها مراسيم لا يكفى أن يتقدم بها

رئيس الوزراء ، ولا يكفي أن يقـرها البرلمـان ، بل يجب أن تصبغ بالدم ، ويزكي عنها بالمال والبنين .. انها دعوة لكل مصرى أن يستعد للتضحية الكبرى ..

ولكن هل يعتبر هذا التأييد من جانب الأستاذ احسان تراجعا عن موقفه العام من حكومة الوفد ؟ ومن السلطة بوجه عام !!

يجيب الأستاذ احسان عن ذلك قائلا :

« لم يكن هناك أى تناقض مع موقفى العام من حكومة الوفد ومن السلطة بوجه عام .. فهو موقف الخصومة المستمرة ما دامت هـذه السلطة مستمرة في عدوانها على حرية الشعب وحقوقه .. ولهذا كان طبيعيا ، بل كان واجبا على أن أقف الى أبعد مدى مع الحكومة عنـدما ألغت معاهدة ١٩٣٦ ، لأن هذا القرار في الواقع ليس ملكا للحكومة ، بل هو قرار الشعب المصرى كله ، واذا كانت الحكومة الوفدية قد واتتها الشجاعة للتعبير عن ارادة الشعب باصدار هذا القرار ، فقد كان واجبى أن أنحاز الى جانبها في تلك اللحظة التاريخية ، بصرف النظـر عن كل ما أثير حول الأسباب التى حدت بحزب الوفد الى الغـاء معاهدة ١٩٣٦ » ..

لقد كانت الصـحوة الأخيرة لزعامة النحاس الشعبية القـديمه تمثل دورا أساسيا فى قرار الغاء المعاهدة حيث كان حزب الوفد قد تقدم للحكومة البريطانية في شهر مارس عـام ١٩٥٠ ، بطلب اجراء مفاوضات عاجلة حـول جلاء قواتها عن مصر ، ووافقت بريطـانيا على الطلب ، ولكنها أخذت تراوغ فى المفاوضات التى طالت حتى بلغت مدتها ١٩ شهرا بلا فائدة ، فى الوقت الذى كان الشعب فيه يغلى ثورة وغضبا ، عندما وصلت المفاوضات الى طريق مسدود بسبب مشروعات الدفاع المشترك وغيره من المشاريع الاستعمارية ، وجدت حكومة الوفد نفسها واقعة بين مطرقة الشعب الغاضب وسندان الحكومة البريطانية بكل برود أعصابها ورغبتها فى كسب الوقت .. وكان الغاء المعاهدة هو الحل الوحيد أمام الحكومة لكى تبقى على ما بقى لحزب الوفد من ثقة فى نفوس الجماهير ..

وكان موقف انجلترا من هذا القرار واضحا اذ أسرعت السفارة البريطانية فى مصر وأذاعت بيانا فى نفس ليلة الغاء المعاهدة مساء يوم

٨ أكتوبر ١٩٥١ تقول فيه : « ان الغاء الحكومة المصريه لمعاهدة ١٩٣٦ من جانبها وحدها ، عمل غير قانوني ، ويخالف أحكام المعـاهدة .. !! .. وأن الحكومة البريطانية تعتبرها سارية المفعول ، وتعتزم التمسك بحقوقها التي تكفلها لها المعـاهدة .. ! ويسارع هربرت موريسون ـ وزير خارجية انجلترا في ذلك الوقت الى الرد على قرار الحكومة المصرية بتصريح يقول فيه (ان بريطانيا لن تتردد في استخدام القوة اذا اقتضى الأمر ، لابقاء قواتها في منطقة قنـاة السـويس ... وانها لن تذعن لمحاولة مصر تمزيق المعاهدة .. !! ».

يعلق الأستاذ احسان على ذلك قائلا : « أن « ونستون تشرشل » وكان وقتها زعيما للمعارضة في انجلترا قد اتجه للقول « بأن اقدام حكومة مصر على اجلاء الانجليز عن منطقة قناة السويس يعتبر ضربة أخطر ، وأكثر مهانة لكرامة بريطانيا عن اضطرارها الى الجلاء عن عبدان بايران » ... أما القصر الملكي فقد أرسل على الفور رسله الى السفارة البريطـانية مؤكدين لسفيرها ـ سـير رالف ستيفنسون ـ بانهم غير راضين عن ذلك القرار الأحمق من وجهة نظرهم والذى اتخذته حكومة الوفد .. ووصل الأمر بأحد سفراء مصر في الخارج ـ وكان معروفا بولائه الشديد للملك .. !! .. أن أدلى بتصريح لصحيفة « نيويورك تايمز » الأمريكية ، أعلن فيه « أن الحكومة المصرية ترحب دائما ـ بصرف النظر عن أية قرارات ـ بالتعاون مع بريطانيا .. !! » ..

ولكن ما موقف الشعب المصرى الثائر عن هذا القرار التاريخي ؟

يقول الأستاذ احسان :

« كان المفروض ـ بعد أن ألقى النحاس بيانه الوطني في البرلمان، أن تقوم المظاهرات تأييدا له ولبيانه .. وكان يجب أن تكون هـذه المظاهرات من القوة والجلال بحيث تضم الطبقات العاملة المثقفة ، وبحيث تشترك فيها كل نقابات المحامين والمهندسين والأطباء والعمال ، ويشرف على تنظيمها النـواب والشـيوخ ، كتعبير أولى عن وقوف الجميع وراء القرار ..

« ولكن للأسف الشـديد لم يكن هنـاك تنظيم لحركة الشعب الثورية المؤيدة لالغاء المعاهدة ، فقد انطلقت بالفعل بعض المظاهرات سواء في القاهرة أو في غيرها من المدن المصرية ولكنها كانت بوجه عام مظاهرات هزيلة وغير منظمة ولا تتكافأ في حجمها شكلا وموضوعا مع عظمة القرار التاريخي الذى انطلقت لتأييده .

ولكن هل ظل تحرك الشعب على هذه الصورة العفوية اثر القرار التاريخي بالغاء معاهدة ١٩٣٦ ..

يقول الأستاذ احسان :

« قد حاول بعض الشرفاء ان يتحركوا لانقاذ الموقف وحماية حركة الشعب من انتكاسة قد يحدثها التفكك الذى بدأ فى القيادات الحزبية، ونبعت فكرة قيام حكومة جبهة وطنية تقود معركة الشعب ضد الانجليز الذين أعلنوا صراحة تمسكهم ببقــاء الاحتلال ـ ولكن فكرة الجبهـة الوطنية التى تمثل فيها جميع الأحزاب لم تلق قبولا لدى الملك ـ الذى كان قد قرر نهائيا التخلص من النحاس ومن حكومة الوفد بعـد أن خرجت على طاعته بقرارها التاريخي ـ كذلك لم يرحب مصطفى النحاس نفسه بالفكرة .. ربما خوفا من دسائس تدبر لحزبه داخل الحكومة الائتلافية المقترحة ..

ونبتت فـكرة أخـرى هى قيـام جبهة شعبية غير رسمية تضم الأحزاب والتنظيمات غير المشتركة فى الحكم .. والجناح المتحرر من الحزب الحاكم .. وحادثت فى هذا الشأن أحمد يوسف الجنـدى .. وعقد الاجتماع فعلا فى مكتب المرحوم حمادة الناحل المحامى .. ولكن الاجتماع لم يصل الى نتيجة مرضية لأن الخلافات بين المجتمعين كانت ـ مع الأسف ـ أقوى من كل رغبة فى قيام التجمع الوطنى الشعبى الذى أردنا قيامه كقيادة شعبية تملك حرية الحركة التى قد لا تتوفر للحكومة كهيئة رسمية .. » ..

ولكن ما رأى احسان عبد القدوس الشخصى فى فشل الاتحاد بين الأحزاب السياسية القائمة حينئذ والوفاق بينها من أجل مواجهة معركة المصير التى كان يجتازها الشعب المصرى عقب الغاء معاهدة ١٩٣٦ .. وعزم انجلترا على مقاومة الغاء القرار ولو بالقوة وارسالها بالفعل قوات اضافية الى مصر لكى تنضـم لقواتها العسـكرية المرابطة فى منطقة القناة ..

يقول الأستاذ احسان :

« اعتقدت يوما أن كل حزب من الأحزاب المصرية ، يمثل طبقـة معينة .. كنت أعتقد مثلا أن حزب الوفد يمثل الطبقة الشعبية الفقيرة . وأن السـعديين يمثلون الطبقـة الوسطى من رجال الأعمـال الحرة

والتجار ٠٠ وأن الأحرار الدستوريين يمثلون طبقة كبار أصحاب الأملاك وأبناء البيوتات ٠٠ وكان اعتقادى السابق مجرد نظرية ٠٠ وعندما حملت هـذه النظرية المجردة لأطبقها على أرض الواقع فجعت لأننى وجدت أن الأحزاب المصرية جميعها تمثل طبقة واحدة ٠٠ متفقة المصالح والأهداف والأهواء ٠٠ هى طبقة كبار الملاك وأصحاب الأطيان ٠٠ وهى الطبقة التى كان يمثلهـا فى الوفد فؤاد سراج الدين « باشا » ويمثلهـا فى الأحرار الدستوريين « أحمد عبد الغفار باشا » ٠٠ ويمثلها فى السعديين « سامح موسى بك » ويمثلها فى الحزب الوطنى « عبد العزيز الصوفانى بك ومحمد محمود جلاك بك » ٠٠ ولهـذا كانت الأحزاب المصرية كلهـا متفقة فى برامجها ٠٠ ولهذا أيضا كانت الحـكومات المصرية ـ كلها ـ متفقة فى سياستها وأهدافها ٠٠ ولهذا ثالثا ٠٠ لم يعد غريبا فى مصر أن ينتقل شخص من حزب الى حزب ـ فيترك الوفد الى حزب الأحرار الدستوريين أو العكس ـ وأن يبدل هذا الشخص أو ذلك لونه السياسى كما يبدل جـواربه دون أن يفقد مكانته السـياسية ، ودون أن يثـير غرابة أو اشمئزازا ٠٠ لأنه عندما ينتقل من حزب الى حزب لا يحتاج الى تغيير مبدئه ٠ لأن كل الألوان السياسية قد ذابت فى لون واحد ٠٠ ولهـذا أيضا ٠٠ كانت حجة كل حزب ـ الحجة الوحيدة ـ عندما يأثم فى حق البلد ٠٠ أن الحزب الآخر قد أثم قبله فى حقها ٠٠ » ٠٠

أن كاتبنا عاشق لمصر ٠٠ التاريخ والأرض والشعب ٠٠ وحبـه العظيم لمصر هو الذى دفعه للثورة على خطايا الحكم ـ حين رأى الأحزاب والقصر والاستعمار يعقدون حلفهم غير المقدس ضدها ٠

وهنا أستعين ببعض مقالاته المثيرة والتى فجر بها الطاقات الثورية لشعب مصر عقب الغاء معاهدة ١٩٣٦ ٠

حيث يقول فى العدد رقم ١٢٢٦ فى ١٩٥١/١٢/١١ تحت عنوان **« الرجل الغائب » :**

« ويقود المعركة الآن شبان فدائيون وهبوا أنفسهم للموت وهم الذين نسفوا محطات المياه والمجارى وقاموا بهذه الهجمات على المعسكرات الانجليزية ولكنهم قلة وينقصهم السلاح والمال والحكومة لا تمدهم بالمال ولا بالسلاح ولا بالرجال وقد أغلقت فى وجوههم باب التبرعات وباب التطـوع العلنى حتى أصبحوا الآن جمعيـات سرية لم يعـلم عنهـا الا المتصلون بها لماذا اختفى الرجل المسئول هذا الاختفاء المريب فى

هذه الظروف المريبة أم أن أمرا صدر اليه بالاختفاء ؟ ثم لماذا يمنع وزير الداخلية المظاهرات وتغلق وزارة المعارف المدارس ·· هل يمكن أن تذبح السويس بينما تظل القاهرة ساكنة وكأن شيئا لم يحدث ؟ ·· أن المظاهرات ليست فقط تعبيرا عن العواطف ولكنها أيضا تعطيل للمصالح مشاركة فى الاحتجاج ·· وتعطيل المصالح هو وحده الذى يدفع الدول كلها الى التحرك لايجاد حل للأزمة القائمة ··

ورغم ذلك فالوقت لم يفت ·· فاما أن نعمل وأما أن نعتزل » ··

وفى مقال آخر تحت عنوان : « **الحكومة معنا ·· أم علينا** » فى العدد ١٢٢٥ الصادر ١٩٥١/١٢/٤ كتب الأستاذ احسان يقول :

« منذ أن ألغيت المعاهدة وأعلنت حالة العداء بين مصر وبريطانيا وأنا أصرخ مطالبا بأن يتحمل الشعب وحده المسئولية كلها ومطالبة الحكومة بأن تفسح الطريق للشعب ليتحمل المسئولية ·· فهل تحمل الشعب المسئولية ؟ وهل أفسحت الحكومة له الطريق وشجعته على المضى فيه ؟ ·· أين الثورة المسلحة التى تشمل مصر كلها ويجند فيها شبابها وأموالها ومرافقها ؟ ·· وأين زعيم الثورة ·· خطيب الجماهير ومنظم الجموع ومدبر خطط الهجوم ؟ لقد رأت الحكومة كيف استجاب الشعب لها عندما سمحت له بالسير فى مظاهرات صامتة ضد الانجليز·· فلماذا لا تسمح له بالسير فى مظاهرة مسلحة ينطلق فيها الرصاص وصرخات الانجليز ؟ أما الحكومة فقد نادينا منذ اليوم الأول بأن تكون حكومة ثورة··فأين هى الثورة ؟ وأين هو زعيم الثورة ؟ أن النحاس باشا لا يستطيع أن يحتج بالمرض وكبر السن عن قيادة الجماهير ، فمصدق فى مثل عمره وأشد منه مرضا ورغم ذلك استغل كبر سنه ومرضه فى اثارة الجماهير وتوجيهها ··

ثم اختتم مقاله قائلا : « أخشى أن أقول أن الحكومة تخشى تحرك الشعب أكثر مما يخشاه الانجليز خصوصا اذا كان شعبا مسلحا !!

وفى مقاله فى العدد ١٢٢٨ الصادر يوم ١٩٥١/١٢/٢٥ تحت عنوان : « **قطرات الدم فى فنجان الشاى ، ورائحة الجثث فى قطع الحلوى** » كتب الأستاذ احسان يقول :

« توجهوا الى القتال أيها المصريون وانتحروا أمام رصاص الانجليز. فهنـاك أمل كبير ·· أمل لا فى الجلاء ولا فى الوحدة ولكنه أمل فى أن يتقـابل الوزيران مرة ثانية وربما قوى الأمل حتى يصـل الى دعـوة النحاس باشا شخصيا الى لنـدن ليقابل تشرشل شخصيا ·· جودوا بدمائكم وأرواحكم أيها المصريون فاننا لم نجد بالدم والروح منـذ عام ١٩١٩ الا فى سبيل مثـل هـذه المقابلات ·· مقابلات سعد وملنر ، ومقابلات محمد محمود وهندرسون، ومقابلات النحاس وماكدونالد··الخ· أنى أكتب والقلم يكاد يطق غيظا وينفث السطور كحمم النار ·· كيف رضى صلاح الدين وهو الرجل الوطنى الذى تعودت أن أثق به ·· أن يقابل ايدن حول مائدة شاى ويصافحه باليد ·· بينما الانجليز يقابلون المصريين فى ميدان القتال ويصافحونهم بطلقات الرصاص ؟

« والدرس الأول الذى يجب أن تتعلمه الحكومة هو أن الشعب فى أوقات الحروب والثورات يتكون كله من طبقة واحدة ·· فلا غنى ولا فقير ولا قريب ولا بعيد ولا كبير ولا صغير ·· وانما كلنا ثوار » ··

··· وفى مقال نشر فى العدد ١٢٢٧ بتاريخ ١٩٥١/١٢/١٨ تحت عنوان « **كونوا رجالا ·· وتعلموا كيف تكون حكومات الثورة** » كتب الأستاذ احسان يقول :

« لو أن الحكومة ألغت المعاهدة ، ثم رفعت يديها أمام الشعب وقالت وأمرها لله : هذا هو كل ما استطيعه ·· لوجدنا لها بعض العذر ، وربما كل العذر ·· ولكن الحكومة ألغت المعاهدة وقالت انها أعدت للأمر عدته وانها استعدت حتى آخر زرار فى سترة جندى ــ كما يقول المثل الفرنسى ــ ثم اعتذرت عن التصريح بما اعدته بأن ليس من اللباقة ولا من شيم القواد الكبار المحنكين أن يكشفوا عن أوراقهم أمام العدو ·· وأعقب ذلك سلسلة من التصريحات الرسمية نهـدد الانجليز بالويل والثبور ·· وعظـائم الأمـور ··

ويختتم الأستاذ احسان مقاله قائلا :

« لقد حددت الحكومة مطالبها صريحة بعد ان أعلنت انه لا امل في أى مفاوضات ولهذا أعلنا الثورة فاما أن تجاب مطالبنا بلا مفاوضة واما أن نستمر ثائرين ·· وبعد ·· هل هى حرب أم ثورة أم مظاهرة ؟ انها مظاهرة ··فضيوها أو كونوا رجالا وتعلموا كيف تثور الأمم وتكون حكومات الثورة ·· » ··

··· وهكذا استمر أستاذنا بثوريته ووطنيته معبئا الرأى العـام استعدادا لمعركة المصير بعد أن يئس من حـكومة الوفد ابان عجزها عن مسايرة الجماهير غير مبال بالقصر وأعوانه ولا يعرف فى نضاله معنى اليأس ولا الهزيمة ·

١٤ ـ احسان موردا للسلاح

تعرض الأستاذ احسان ذات يوم لحملة قاسية من التجريح الشخصى ٠٠ شنتها عليه صحيفة صوت الأمة ٠٠ لسان حال حزب الوفد وركزت هجومها ضده ، على أنه ابن ممثلة ، وأنه مثل أمه لا يفهم فى السياسة ويجب عليه أن يبتعد عنها ٠٠ !! وغضب احسان غضبا شديدا لهذا التجريح المسف ، وفكر فى اعتزال الصحافة والعودة للمحاماة ٠٠ وأحست أمه ـ فاطمة اليوسف ـ بما يعانيه ، فقدمت له مجموعة أعداد من مجلة « الكشكول » التى كان يحررها سليمان فوزى باسم « الأحرار الدستوريين » وبها شتائم وسباب شخصى موجه لأمه ٠٠ وعندما رأت الدهشة تعلو وجهه وهو يقرأ هذا السيل من العفن من السباب الرخيص ٠٠ ابتسمت قائلة ٠٠ من الذى بقى ياولدى ٠٠ الكشكول أم روز اليوسف ٠٠ يا ولدى ٠٠ اذا شتمك خصمك فى الرأى ، استبشر خيرا ٠٠ فهذا دليل عجزه ٠٠ !! واذا كنت قويا فدع العجزة وامض فى طريقك ٠٠ !!

وفى وقت من الأوقات اقترح عليه البعض ألا يكتب عن فساد الأداة الحكومية ولا عن الدستور ولا عن حقوق الشعب بل يكتب عن القرع والقوطة والخيار !! ٠٠ أو أن تصدر روز اليوسف وصفحتها الأولى بيضاء وليس فيها الا توقيعه ، ٠٠

يعلق الأستاذ احسان على ذلك ويقول :

« لقد رفضت وأرفض لأننى لا أؤمن بالاحتجاجات السلبية مهما كان الثمن !! » ..

ولكن هل اقتصر دور الصحفى الثائر عقب الغاء معاهدة ١٩٣٦ على تلك المقالات الثورية في الوقت الذى تحرك فيه الشباب الثائر على شكل جماعات فدائية من القاهرة الى منطقة القناة لكى تقوم بحرب العصابات المشروعة ضد المحتل الانجليزى معلنة سخطها ورفضها التام فى وجوده على أرض مصر ..

يقول الأستاذ احسان : « لم تصفق انجلترا لقرار النحاس ، بل سارعت بارسال تعزيزات لقواتها المرابطة فى القناة .. وفى يوم ١٣ أكتوبر عام ١٩٥١ عقب صدور القرار ببضعة أيام ــ وصل الى ميناء بور سعيد ثلاثة آلاف جندى بريطانى ، مزودين بأحدث الأسلحة للانضمام الى المعسكرات البريطانية وعندما توجهوا الى محطة السكة الحديد لركوب القطارات التى ستقلهم الى معسكراتهم فوجئوا بعمال السكة الحديد يرفضون تشغيل القطارات ، وكانت هذه اشارة البدء فى التحرك العملى للجماهير الثائرة .. انطلقت بعدها قوى الشباب ، لتشكيل الجماعات الفدائية من الاخوان المسلمين ، وحزب مصر الاشتراكى .. وطلبه الجامعات .. وأثارت حماسة الشباب وفدائيتهم روح النضال فى العناصر التى احتفظت بنقائها من قيادات مصر .. وكان على رأسها المرحوم الفريق عزيز المصرى ، الذى تقدم لقيادة واحدة من أهم المنظمات الفدائية هى منظمة « خالد بن الوليد » .. واتصل بى عزيز المصرى طالبا معاونته فى المنظمة ولم أتردد فى الموافقة ..

فهناك لحظات فى حياة أى شعب تحتم على أى فرد متوافق مع مجتمعه ــ أو مع الأغلبية الساحقة فى هذا المجتمع .. أن ينسى نفسه وأن تذوب شخصيته الفردية فى الشخصية الكلية لمجتمعه فاذا به ينسى لغته الخاصة وعواطفه الخاصة ، لكى يتحرك بايمان وصدق كاملين مع حركة الجماهير كلها .. وهذا ما واجهته فى أواخر عام ١٩٥١ .. فقد كان الأمر محسوسا بشكل لا مجال فيه لأى تردد .. وكانت كل الأطراف قد حددت موقفها فى القضية بما لا يدع مجالا للشك فى نوايا كل منهما .. الملك والاستعمار والقوى المستغلة فى جانب .. وجماهير الشعب بتجمعاتها

العفوية أو المنظمة فى جانب آخر ·· وكان الجانب المعادى قد حدد لغة التفاهم الوحيدة فى القضية على لسان القائد الانجليزى فى الشرق الأوسط الذى أعلن صراحة ان انجلترا لن تتردد فى استعمال القوة للاحتفاظ بمكانها على القناة ·· وكان على جماهير الشعب الغاضبة أن ترضخ للتهديد تستسلم له ·· أو تقبل التحدى وتخاطب المستعمر بلغته التى يفهمها ·· وقد قبلت جماهير الشعب التحدى ، وأسرعت عناصر الشباب الفدائى تتقدم المسيرة داعية كل مصر - وخاصة الأسماء البارزة على سطح الحياة السياسية والاجتماعية الى تحديد موقفه ·· وقد حددت موقفى بسرعة ، وقبلت الاشتراك فى منظمة « خالد بن الوليد » التى يتزعمها عزيز المصرى ، ورغم أننى لم أحمل فى حياتى مسدسا ، فقد كان على - كأمين لصندوق المنظمة - أن أتولى تدبير موارد المنظمة وامداد شبابها المناضل بالمال والطعام والسلاح والذخيرة ·· وتحولت روزاليوسف - المجلة - وقتها الى مخزن للسلاح ·· وتحولت مكاتب الادارة الى « سلاحليك » به كل أنواع الاسلحة ، كما تحولت أدراج المكاتب الى صناديق للذخيرة الحية ·· ورغم اضطرابى - بل وفزعى - الطبيعى عند رؤية أى سلاح نارى مهما صغر ، فقد كنت أجلس أيامها فى مكتبى وحولى فى حجرتى الخاصة عشرات المدافع من مختلف الأعيرة ومئات البنادق ، وكلى اطمئنان وهدوء ، وكأننى أجلس وسط غابة من الزهور والورود الجميلة ·· !! وليس ما حولى آلات حرث تمثل أحدث ما وصل اليه العقل البشرى من أدوات الفتك والدمار ·· بل أن الموقف وحاجة المنظمة الى مزيد من السلاح والذخيرة - دفعتنى ذات يوم للقيام بأغرب رحلة يقوم بها صحفى ·· فقد سافرت الى الصعيد بصحبة صديق لكى أجمع كل ما نستطيع الحصول عليه من السلاح والذخيرة ، سواء لدى تجار السلاح المنتشرين فى عواصم محافظات الوجه القبلى ، أو فى حوزة الرجال المختفين فى كهوف الجبال على امتداد ضفتى النهر ·· وأشهد أنهم جميعا كانوا يسارعون بتقديم كل ما يملكون من سلاح وذخيرة لكى تضعه المنظمة فى أيدى الشباب الذى تقدم مسيرة النضال ضد المستعمر » ··

ويعلق الاستاذ احسان على هذه الفترة من تاريخ مصر قائلا :

« ان الأحداث المضيئة فى حياة أى شعب تصنعها شخصيات مضيئة ونماذج مشرفة ·· وقد لمست فى تلك الفترة نماذج من الشعب كادت تصل فى تجردها من كل مصلحة سوى مصلحة مصر - الى مرتبة الملائكة الأطهار ·· ولست أنسى من هذه النماذج صورة شاب اقتحم مكتبى ذات

ليلة بالمجلة ، ليقدم لى نفسه بايجاز وغموض مثير ·· أنا من الصعيد··
وأطلب سلاحا لأنضم به لمن يقاتلون عدو بلدى ·· فهل تعطينى ما أطلب؟
ولم أسأله عن اسمه ·· ولم أجد بنفسى أدنى حاجة لكشف شخصيته··
كانت نبرة صدقه أقوى من كل شك ، ودفء الاخلاص الذى أشاعته
حرارة حماسه فى نفسى ، أسمى من كل حاجة للتأكد من شخصيته
وأعطيته ما يريد ·· وخرج من مكتبى لينضم لصفوف المحاربين فى
القتال ·· وسافر الفتى ·· وحارب عدو بلاده طوال الفترة التى سمحت
فيها الحكومة للمنظمات الفدائية بالعمل ·· وعندما أقبلت حكومة
الوفد ·· وتتابعت الأحداث فى الخط الذى رسمه الملك بالتعاون مع
الاستعمار ·· فوجئت بصاحبى زائر الليل الغامض يدخل علىّ فى
منتصف احدى الليالى ·· وبيده مدفعه الذى استعاره منى ·· ورد الى
المدفع فى سكون ·· ولمحت ساقه المصابة التى يعرج بها ·· وحاولت أن
أسأله المزيد عن شخصيته ·· ولكنه أخفى بطولته وراء ابتسامة غامضة
فيها من التواضع والاعتذار أكثر مما فيها من الفخر بما صنع من أجل
مصر ·· ومثل هذه النماذج كانت تشعل نار الغضب فى نفسى ··
وتزيد من كراهيتى للمعسكر المعادى للشعب ·· وتزيد من اندفاعى
فى الكتابة عن خصوم الشعب ، وعن مباذلهم ، لأزيد فى تعريتهم أمام
الجماهير الغاضبة ، ولأزيد من اصرار الثوار على المضى بثورتهم حتى
النهاية ، التى تخلص مصر وشعبها من تلك الطبقة المستغلة ،
المستبدة » ··

ويصف الأستاذ احسان الفدائيين المصريين حينذاك قائلا :

« كانت قوة الفدائيين المصريين فى القتال ·· قد وصلت الى حد
محاولة اغتيال البريجادير جنرال اكسهام قائد القوات البريطانية فى
الاسماعيلية ·· وجن جنون القيادة البريطانية وقررت القيام بعمل
تحاول به استعادة هيبة بريطانيا فى المنطقة ··

··· وهنا ينهى أستاذنا احسان حديثه معى عن ذكرياته الطويلة
الحافلة بالنضال الثورى قبل ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ ضد الخونه اعداء
الشعب سواء الملك رأس النظام وأعوانه او الاحزاب السياسيه المتعفنه
القائمة فى ذلك الوقت والاستعمار الانجليزى الغاصب ·· ذلك الثالوث
الذى عانى منه الشعب المصرى طويلا الى أن تفجرت ثورة ٢٣ يوليو
المجيدة ويقول لى :

« أننى حينما أسترجع ما كتبته فى هذه الفترة الطويلة تأخذنى الدهشة ٠٠ كيف كنا نستطيع أن نكتب، وننشر كل هذا ٠٠ منتهى الحرية ٠٠ وكانت حرية النشر تصل الى مستوى واسع حتى أيام الحرب العالمية التى فرضت الأحكام العرفية والرقابة على الصحف ولم تكن حرية ممنوحة من الحاكم ولكنها كانت أساسا حرية مستمدة من المجتمع المصرى الذى كان قائما أيامها ٠٠ المجتمع السياسى والمجتمع الاقتصادى والمجتمع الفكرى ٠٠ كان مجتمعا تتصارع فيه الآراء والأحزاب والطبقات ومن طبيعة أى صراع انه يتطلب الحرية وفى عام ١٩٥٠ ـ أيام حكومة الوفد ـ ألغيت الأحكام العرفية والرقابة على الصحف وأطلقت الحريات حتى آخرها وكانت فترة هذه الحرية هى التى أدت الى قيام ونجاح ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ٠٠٠

وبعد الثورة تجمدت الحريات فى جميع مجالاتها ٠٠ الحرية الفكرية، والحرية السياسية ، والحرية الاقتصادية والحرية الاجتماعية جمدت كل الحريات ٠٠ ولم تعد مصر تعيش مجتمع الصراعات التى تتطلب الحرية لأن الثورة جمدت كل صراع ٠٠

وقد كانت مصر فى حاجة الى الحرية بعد الثورة أكثر مما كانت فى حاجة اليها قبل الثورة ، لا لتتغلب على الثورة ولكن لتستمر بها فى طريق البناء ٠٠ ولأن الحريات ليست كاملة فبناء الثورة لن يكتمل أبدا ٠

١٥ ـ على ماهر رئيسا لأول وزارة بعد الثورة •

كتب أستاذنا فى مجلة روز اليوسف قبل الثورة بأيام يقول :

« لن يدفع الشعب المصرى الى الأمام الا رجل يؤمن بالشعب ويثق به ويتكتل عليه ٠٠٠

« ٠٠ لنعمل ٠٠ لنحمل السلاح الى أن تتصدى لنا الحكومة وتنتزعه من أيدينا فيكون لنا موقف آخر ولنقاتل الانجليز قتال الثورة ٠٠ الى أن تقف الحكومة فى وجهنا فننقلب الى قتالها ٠٠٠ ولنكتب منادين بالثورة الى أن تصادر الحكومة صحفنا فنصادرها من الحكم ٠٠ لنعمل أما اذا كنا نخاف الحكومة فكيف اذن لا نخاف الانجليز ؟!

ترى هل كان كاتبنا يعلم بساعة الصفر لثورة ٢٣ يوليو العظيمة ؟

يقول أستاذنا احسان : على الرغم من كل ما أشيع من قبل ، عن علاقتى بتنظيم الضباط الأحرار الذى قاد الثورة فالحقيقة التى أعلنها الآن ٠٠ اننى حتى الساعة الخامسة من صباح يوم ٢٣ يولية عام ١٩٥٢ ، لم أكن على علاقة بتنظيم الضباط الأحرار ولكنى كنت على علاقة بكثير من الضباط دون أن أعرف أو أهتم بمعرفة أنهم من الضباط الأحرار أو من ضباط تنظيم من التنظيمات القائمة داخل الجيش ٠٠ ولم يكن يعنينى

هذا ‥ فأنا اولا وقبل كل شيء كاتب سياسي ، وأديب قصصي لا أكثر‥ هكذا كنت ‥ وهكذا سأظل ‥ أما التنظيم والتخطيط ثم التنفيذ فهذه أمور لها رجالها ‥ وكان يكفيني من هؤلاء الرجال حماسهم لكل كلمة تكتب بالمجلة ‥ بل أن حماس هؤلاء الضباط الثائرين وصل الى حد الاسهام — من وراء ستار — في تحرير المجلة ‥ الرئيس الراحل أنور السادات يكتب بلا توقيع عن فلسطين وغيرها من القضايا السياسيه ‥ وعبد القادر حاتم يكتب عن لغة الأرقام في مصر الأربعينات !! ‥ وضابطان آخران يتطوعان بالعمل كمخبرين — سريين — لباب « أسرار المجتمع » الذى يشرف عليه محرر كان يتلقف منهما فضائح الطبقة الحاكمة ليصوغها في أخبار مثيرة تعجل بنهاية النظام ، كالخبر الذى نشرناه — أيامها — عن ابنة عبد الفتاح يحيى « باشا » التى تنفق على كلبها مائتي جنيه شهريا ‥ ومتى ‥ ؟ في عام ١٩٤٦ ‥ وبعد أن نشر الخبر قامت مظاهرة كبيرة اتجهت الى وزارة المالية وهى تهتف « نريد المساواة بكلب ابنة عبد الفتاح يحيى » ! ‥

ولكن ألم يتصور يوما وهو في جهاده المستمر ضد خطايا نظام الحكم القائم ‥ من هو قائد الثورة المنتظر الذى سيقودها الى تحقيق المبادىء التى جاهد من أجلها ‥

يقول الأستاذ احسان : لم أشغل نفسي بهذا الخاطر أبدا لأنني كأديب قادر بهبة الخيال على صنع البطل الذى تحتاجه أية قصة أكتبها‥ ولم أفكر في هذا ككاتب صحفي ومفكر ‥ لأن هذا يحمل نوعا من ترشيح الغير ، وهو أمر أرفضه تماما لايماني بأن الزعامة تفرض نفسها بحكم تفاعلها من آمال وآلام الشارع السياسي ‥

ومن هنا لم أشغل نفسي كثيرا — لا كمفكر سياسي ولا كأديب — باكتشاف — أو حتى مجرد توقع شخصية قائد التنظيم الذى يعد للثورة — ولكنني لاحظت أيامها ظاهرة هامة ‥ هى أن الرئيس الراحل — جمال عبد الناصر ‥ والرئيس الراحل السادات ‥ كانا دائما أقل الضباط الثائرين كلاما وأطولهم صمتا‥وأكثرهم قدرة على الاستماع للآخرين‥ ثم اطلاق العبارة المناسبة التى تحسم الموقف — في الوقت المناسب ، بعد استيعاب كل وجهات النظر‥وهذه في تصوري من ألزم الصفات للثوري الناجح ، القادر على القيادة والتوجيه ‥ ومن هذه الظاهرة وحدها ،

كنت على ثقة من أنه اذا كان هنـاك تجمع منظم للضباط الثائرين فى الجيش ، فلا شك أن جمال عبد الناصر وأنور السادات ، سيكونان فى مقدمة أعضائه البـارزين ٠٠ وقد تحقق ظنى فى الساعة الخامسـة من صباح ٢٣ يولية ١٩٥٢ ـ عندما وصلت الى ثكنات الجيش بالعباسية بعد أن أبلغنى ضابط صديق بقيام الثورة ٠٠

فقد وجدت فى القاعة المزدحمة بالثوار ، وجها كنت على ثقة من وجوده هناك فى المقدمة٠٠ رصافحت عيناى وجه عبد الناصر ٠٠ » ٠٠

ولكن ما هو شعور كاتبنا عندما علم بقيام ثورة ٢٣ يوليو المجيدة لتحقيق المبادىء التي ناضل من أجلها سنوات وسنوات ؟

يقول الأستاذ احسان : « كنت على علم جيد أن النبأ الذى زفه الى صديق العمر ـ يوسف السباعى ـ عن قيام الثورة ، يعنى شيئا خطيرا بالنسبة لمصر وشعبها ، وبالنسبة للاستعمار ومركزه فى الشرق الأوسط، بل بالنسبة لمستقبل هذه الأمة العربية المتحكمة فى قلب العالم القديم كله ٠٠ وقدرة على صنع المستقبل !! ٠٠ وترجمة هذا عندى ببساطة ٠٠ أن على هؤلاء الثوار أن يتسلحوا بأكبر قدر من الحذر ٠٠ وألا يتبرعوا باكتساب الخصوم بلا مبرر مصيرى !! ٠٠

كما كان عقلى يموج بسـؤال خطير ٠٠ ترى ما هى الخطوة الأولى لثوار اليوم التى يبدءون بها رحلة الألف ميل ٠٠ ؟!!

كان المنظر الذى طالعته عيناى فى مبنى القيادة بكوبرى القبة هو نفس المنظر الذى رسمته بخيالى وأنا جالس بالسيارة التى اخترقت بى شوارع القاهرة الساكنة ـ فى تلك الساعات الأولى من الصباح ٠٠ وهو نفس المنظر الذى سجلته فى روايتى « شىء فى صدرى » بعد ذلك بست سنوات » ٠٠

ففى الوقت الذى كان الراديو يردد فيه البيان الأول للثورة ، الذى يتحدث عن الفساد داخل الجيش ٠٠ !! ٠٠ وعن قيام الجيش بحركة ليطهر نفسه بنفسه ـ دون أدنى اشارة ولو خفية توحى بأن الهدف هو رأس النظام نفسه فاروق ٠٠ !! ٠٠ وفى الوقت الذى كانت الجماهير فيه تندفع بمئات الآلاف ، لتعـانق رجال الجيش الذين نزلوا الى الشوارع بدباباتهم وأسلحتهم ٠٠ وكانت الجماهير بهذا الحماس الفطرى الصادق٠٠

نعلن رفضهم للالتفاء باصلاح حال الجيش وحده !! .... وتطالب بان تمتد يد الثورة الوليدة الى جذور الفساد لتقتلعه من أعماق الحياة المصرية .. !! فى هذا الوقت بالذات .. كان الحوار الساخن الذى دار بمقر القيادة منذ الصباح الباكر ، قد وصل الى نتيجة مؤكدة وهى ضرورة ابعاد الممثل المشتاق ربما لدور البطل ــ احمد نجيب الهلالى ــ عن مقعد رئيس الوزراء !! ..

وقد كتب أستاذنا العديد من المقالات قبل الثورة يهاجم فيها رئيس الوزراء « أحمد نجيب الهلالى » ففى مقال تحت عنوان « **رئيس الوزراء الذى لن يفهم شعبه لا يكتب له البقاء** » بتاريخ ١٩٥٢/٥/٢٦ كتب يقول:

« ان الهلالى باشا يظلم نفسه عندما يحاول أن يحكم شعبه مغمض العينين يحاول أن يحكم شعبا مغلق الذهن يرفع قدميه ولا يسير ويحرك يديه ولا يعمل ويفتح فمه ولا يتكلم .. انه رجل يبدو بلا برنامج وبلا سياسة مرسومة وبلا هدف محدود وان كل ما هنالك أنه يحكم مصر حتى لا يحكمها رجل آخر ويشغل فراغ مقعد حتى لا يشغله جسم آخر .. انه يبدو كهذه البطاقة التى توضع فوق مائدة فى منتدى عام وقد كتب عليها كلمة محجوز .. !»

وفى مقال آخر بعنوان **رئيس الوزراء من أصحاب السوابق** فى يوم ١٩٥٢/٦/٩ كتب يقول :

ان السوابق كلها لا تبعث على الثقة ولا على الاطمئنان سبق أن أعلن هلالى باشا عن اجراء انتخابات فلم تجر وسبق أن أعلن عن حملة تطهير وهدد المفسدين بالويل فلم تزد الحملة عن حدة الاعلان ولم يزد التهديد عن التصريحات التى ألقيت فى الهواء فلا وزير اعتقل ولا مفسد اختشى ، وسبق أن أصدر قرارا بالغاء الاستثناءات ورد الفوارق فلم يكد القرار يرى النور حتى عدل وسبق أن أعلن عن سياسة التقشف فلم تر مصر أى مظهر من مظاهر هذا التقشف ولا يزال الغنى يزداد غنى ولا يزال الفقير يزداد فقرا . وسبق أن أعلن عن قرب الغاء الأحكام العرفية ثم عاد وأعلن تأجيلها !! ..

وفى مقال آخر بعنوان « **الرجل الذى لا يستطيع أن يكون بطلا** » يوم ١٩٥٢/٣/٢٤ .. كتب يقول :

« لن يكون الهلالى باشا إلا اذا أضاء من حوله النور والا اذا استطاع أن يحكم بلا أحكام عرفية .. لن يكون الهلالى بطلا الا اذا أصبحت كل خطوة للقضاء على الفساد خطوة جديدة فى سبيل الاصلاح .. ولن يكون بطلا اذا صحب كل كشف عن صفقة كشف فى القضية الوطنية وكل حديث عن الماضى حديث عن المستقبل وكل اعلان عن القضية الخارجية .

وفى مقال آخر بعنوان « **امنحوا الشعب حرية المطالبة بالحرية** » يوم ١٩٥٢/٥/١٩ .. كتب يقول :

« لا زلت أعارض نجيب الهلالى فى أسلوب حكمه وفى الطريق الذى حاول أن يسير فيه لحل القضية المصرية .. فلم يحدث فى التاريخ كله أن قامت حركة وطنية فى ظل الأحكام العرفية ولن يتحرك قلم ومن فوقه قلم الرقيب .. فليلغ الهلالى باشا الأحكام العرفية ويفرج عن المعتقلين وليعد الدستور .. وليجر الانتخابات .. وليتح للشعب حرية المطالبة بالحرية .. ولينزع القيود المصرية لنزع القيود الانجليزية .

وكتب فى مقال آخر يوم ١٠ مارس ١٩٥٢ فى العدد ١٢٣٩ تحت عنوان « **الرجل القوى هو الذى يحكم بلا أحكام عرفية** » يقول :

« الرجل القوى لا يملك الشعور القومى بالأحكام العرفية بل يملكه بالاقناع وبثقته فى نفسه وبايمانه بقدرته .. ورئيس الوزراء أحوج ما يكون الى الشعور القومى وأحوج ما يكون الى الغاء الأحكام العرفية حتى يثبت قدرته أمام مصر قبل أن يثبتها أمام الانجليز فهل يستطيع ذلك نجيب الهلالى ؟ .. هل يستطيع أن يلغي الأحكام العرفية ؟ .. هل يستطيع أن يصون الأمن ؟ ..

وفى نهاية المقال يتساءل : « هل أخطأت هذه المرة أيضا ؟ هل خاننى المنطق ؟ ..

اذن فاطلبوا اعتقالى حتى أستريح مع المنطق فى أحد السجون ؟! » .

ولذلك كان طبيعيا أن يكون أول المتحمسين لاستبعاده .

لا أذيع سرا اذا قلت ان الأستاذ احسان عبد القدوس صاحب الاقتراح الأول لمجلس قيادة الثورة صباح يوم ٢٣ يولية باختيار على ماهر كأول رئيس للوزارة عقب الثورة .. فما هى ملابسات ذلك ..

يقول أستاذنا : « لقـــد كانت الثـــورة محتاجة الى فترة انتقـال تمهد بين عهدين ٠٠ عهد من المظالم والفساد والتسلط تغرب شمسه٠٠!! وعهـد من الأمل فى حياة أفضـل للشعب كله بلا تسلط ولا استغلال ولا استعلاء بدأت شمسه في الشروق ٠٠ وعهد الانتقال هذا كان ضروريا للثورة لكى تلتقط أنفاسها وتعيد حساباتها وترتب أمرها باناة وحذر . اسـتعدادا للضربة القاضية التي تقتلع الفسـاد من جـذوره ـ فى الوقت الذى تكون فيه كل ركائز الفساد تضحك فى سرها ، متصورة أنهـا نجحت فى خـداع الثـورة عن حقيقتها أو وفقت على الأقل فى احتوائها ، وتقليم أظافرها ٠٠ !!

وقيادة الحكومات في عهود الانتقال فن صعب . يحتاج الى مواصفات خاصة ٠٠ أهمها ٠٠ الذكاء الفردى الحاد ٠٠ والطموح بلا حدود ، والمرونة الشديدة التي تطوع لصاحبها القدرة على اقناع الجميع بأنه صديق شخصى لكل منهم ٠٠ ثم ـ وهو الأهم ـ عدم الانتماء لجهة ما ـ أو مذهب ما ، أو حزب ما ٠٠٠٠ وأخيرا خلو صحيفة ذلك الشخص من المواقف الحادة التى تجعله مكروها . أو متهما بالعداء الساخن ضد أحد الأطراف ٠٠ وهذه الصـفات اذا اجتمعت فى فرد واحـــد ، كان أقدر من غيره على صنع ما أسميه بالكوبرى السياسى بين عهدين متضادين ٠٠ وقد كان على ماهر ذلك الرجل القادر على اقناع الجميع بأنه رجلهم ـ أو صديقهم على الأقل ـ الانجليز لن يظنوا بالثورة شرا وهم يرونها توليه الوزارة ، لانهم يعرفون جيدا عكس ما كان يشاع أن الرجل ليس خصمهم اللدود ٠٠ !!

والملك سيفرح من أعماقه لأنه قادر على ارهاب على ماهر وتحريكه كما يشاء ٠٠ !! ٠٠ والأحزاب جميعها ليس لديهم ضده ما يدعوهم الى رفضه ٠٠ !! لهـذا كنت سعيدا غاية السعادة ، حتى انتهى الاجتماع الساخن فى الساعة الحادية عشرة من صباح ٢٣ يولية ، وبعد نقاش استمر بضع ساعات ـ الى الموافقة على اقتراحى بتكليف على ماهر ببناء الكوبرى السياسى الذى ستعبر عليه مصر تاريخها بين عهدين ٠٠ !! وكلفنى بأن أبلغ على ماهر بقرار مجلس الثورة على أن يصحبنى فى ابلاغه أنور السادات وكمال الدين حسين ٠٠ وقد ذهبنا اليه بعد أن حادثته فى التليفون وذهبنا فى سيارة جيب عسكرية حتى نحتفظ بطابع الثورة ٠٠

بعد أقل من شهر من اختيار على ماهر رئيسا للوزراء كتب أستاذنا مقالا بروز اليوسف يوم ١٨ أغسطس ١٩٥٢ تحت عنوان « **من الذى يحكم ؟ الجيش ٠٠ أم على ماهر** » يقول فيه :

« من الذى يحكم اليوم ؟؟ ٠٠ هل هو الجيش ٠٠ أم هل هو على ماهر ٠٠ هل هما الجيش وعلى ماهر معا ؟ ٠٠ اذا كان الجيش هو الذى يحكم فلماذا لا يؤلف وزارة عسكرية ؟ واذا كان على ماهر هو الحاكم فلماذا لا تلقى المسئولية كلها على كاهله فى حدود المبادىء العامة التى قامت عليها الحركة ٠٠

واذا كان الجيش وعلى ماهر يحكمان فلماذا لا تؤلف وزارة عسكرية مدنية فيضم على ماهر الى وزارته عددا من الضباط أو يضم محمد نجيب الى قيادته عددا من المدنيين بصفة مستشارين حتى تتكون هيئة تمثل الوضع الحقيقى وتتحمل المسئولية كاملة ٠

وقد كنا نعيب على العهد السابق ميوعة مسئولية الحكم وتعدد أبوابها مما كان يفسح مجالا واسعا للفساد ٠٠٠

وأستطيع أن أقول أن الذى يحدث الآن هو أن الذى يريد أن يضرب فى الجيش يضرب فى على ماهر والذى يريد أن يضرب فى على ماهر يضرب فى الجيش ٠٠ ولن يقدر لا الجيش ولا على ماهر أن يحدد كل منهما عدوه » ٠

قال لى الأستاذ احسان :

« كنا فى هذه الفترة أشد ما نكون حاجة الى الاستقرار فى شكل الحكم ونوعه ومسئوليته وتوحيد المسئولية فى هيئة واحدة يعنى ألا نترك منفذا تندس خلاله يد عدو فكتبت مطالبا بأن يبدأ ذلك سريعا لأن الأحزاب بدأت تناضل نضال البقاء كلما أحست بيد الفناء تقترب منها ٠٠ وأصحاب الأطيان لا يخافون انتزاع أراضيهم فحسب بل يخافون انتزاع نفوذهم الذى سادوا به مصر مدى أجيال وقانون تحديد الملكية سيقضى على هذا النفوذ وسيقضى على سطوتهم وسيحرر العبيد من بين أصابعهم وسينزل بهم الى طبقة سيتلاشون فيها وفى سبيل الابقاء على هذا النفوذ ٠٠ سيحاربون حتى النفس الأخير ٠٠ وأصحاب المبادىء المتطرفة بدءوا يحسون ان الثورة لم تكن لهم بل بدأت تنقلب عليهم فبدءوا ينقلبون عليها فكتبت مطالبا بأن نسبق الأيام لأن المعركة أكبر مما نظن ولن نسبقها الا اذا نظمنا أنفسنا عند خط الابتداء ولن ننتظم الا اذا استقرت الهيئة الحاكمة وتوحدت وتحملت مسئولية صريحة واضحة » ٠٠

وهكذا كانت نظرة أستاذنا بعيدة وعميقة وهى نابعة مما لا شك فيه من خوفه على الثورة حلم حياته التى ناضل من أجل قيامها وما زال يناضل من أجل حمايتها من أعدائها ٠٠ المتربصين لها والمندسين بين أفراد الشعب

يتكلمون بمنطق مدهون تلمع فيه ألوان براقة من المبادىء والغيرة على حقوق الشعب ويبذلون فى الخفاء بذلا سخيا فى سبيل تشويه المستقبل ويحرقون ضلوعهم حقدا على الحاضر ويفتتون أكبادهم حسرة على الماضى٠٠ ومن هنا كانت صرخة الصحفى الثائر الغيور على ثورته ونقائها ملء وجدان الشعب المصرى كله فقد حذرهم كاتبنا قائلا :

« يجب أن يكون لنا ألف عين ٠٠ وألف أذن وألف أنف حتى نرى ما لا يرى وحتى نسمع ما لا نراه وحتى نشم ما لا نسمعه ٠ أوصيكم أن تحصنوا آذانكم من همسات الشيطان وأوصيكم أن تحصنوا عقولكم من منطق المغرضين » !!

١٦ ـ احسان ٠٠ والملك فاروق

بدأ قادة ثورة ٢٣ يوليو في رحلة الالف ميل ٠٠ ولكن من أين يبدءون تلك الرحلة الشاقة الطويلة الوعرة فقرروا البدء فورا بطرد الملك فاروق من مصر ٠٠

ولم يكد الملك يوافق على اقالة وزارة نجيب الهلالى الثانية القصيرة العمر ، ليكلف بناء على طلب الثوار ـ على ماهر بتشكيل الوزارة ، ولم يكد يستسلم لطلب الثوار ابعاد من رأوا ابعـادهم من خاصـة حاشيته المقربين ـ أمثال بوللى ومحمد حسن ـ حتى تأكد لقادة الثورة أن الأفعى الملكية قررت اللجوء الى نوع من البيات الشتوى ، حتى تمر العاصفة ٠٠ ثم تنقض بليل الخيانة والخديعة على الثورة فتقوض بنيانها على رأس الثوار والشعب معا ٠٠ ومن هنا كان القرار المفاجىء بضرورة الاسراع بعزل فاروق الذى كان موجـودا بقصر المنتزه صبيحة ٢٣ يوليو فلما أعلنت الثورة وأحس بالخطر ، قرر الانتقال الى قصر رأس التين ٠ حيث توجـد قاعدة السلاح البحرى « الملكى » وحيث توجد ثكنات الحرس الملكى بقواته الرئيسية أملا فى حمايتها له اذا احتاج الى حماية ٠٠ !!

وفى الوقت الذى كان فيه فاروق يسوق بنفسه سيارة خاصـة ركب فيها ليلا ٠٠ وبجواره طياره الخاص « حسن عاكف » بينما جلست فى المقعد الخلفى زوجته (ناريمان) وابنه « أحمد فؤاد » برفقة مربيته ٠٠٠

بينما ركبت بناته من زوجته الأولى « فريدة » سيارة ثانية ·· فى نفس الوقت كان الثوار يتخذون قرارهم ـ بالقاهرة ـ بعزل الطاغية ، على أن يتم التنفيذ يوم الجمعة ٢٥ يوليه ···

يقول الأستاذ احسان : « لم يخدع قادة الثورة بهذه التنازلات المريبة التى قدمها الملك ، بل لعلها كانت السبب فى التعجيل بالاطاحة به قبل أن يلتقط أنفاسه ويعيد ترتيب أموره ، بعد أن يفيق من صدمة المفاجأة الأولى ومن هنا كان قرار مجلس قيادة الثورة بتنفيذ قرار العزل يوم الجمعة ٢٥ يولية ·· ولكن حماس الثوار الشبان ووجه بعائق عملى · عطل تنفيذ القرار أربعا وعشرين ساعة ، مرت بطيئة ومرهقة لأعصاب الجميع كأربعة وعشرين قرنا » ··

لقد انتبه الثوار من حماسهم لتنفيذ القرار . على صوت يحذرهم من مخاطر محتملة . اذا فكر فاروق فى مقاومة قرار العزل بالقوة وهو أمر محتمل جدا ·· والضمان الوحيد ضد هذا الاحتمال · أن يعد الثوار من أسباب القوة ما يمنع الطاغية من مجرد التفكير فى المقاومة ··· وهذا يعنى ضرورة ارسال لواء مدرع بكامل أسلحته الثقيلة ليحاصر قصر رأس التين ، قبل أن يبلغ فاروق بقرار خلعه عن العرش ··· ولكن قائد اللواء المدرع يعلن أن نقل القوات اللازمة للعملية بكامل أسلحتها وذخائرها ـ من القاهرة حيث يوجد مجلس قيادة الثورة الى الأسكندرية حيث يوجد فاروق ـ يحتاج الى أربع وعشرين ساعة ، الأمر الذى يحتم تأخير العملية الى يوم السبت ٢٦ يولية بدلا من يوم الجمعة ٢٥ يولية ـ ضمانا لسلامة التنفيذ !!

« ويخضع الثوار الشباب للأمر الواقع . ويتقرر تأجيل قرار العزل أربعا وعشرين ساعة . ويسافر مع الطابور المدرع نصف أعضاء مجلس الثورة بقيادة رئيسه ـ فى ذلك الوقت محمد نجيب ·· على أن يبقى نصف المجلس بالقاهرة بقيادة جمال عبد الناصر لمتابعة تطورات المواقف ونجدة المسافرين الى الأسكندرية اذا احتاجوا الى نجدة ، ومواجهة أى احتمال لتحرك العناصر المعادية للثورة »

وهكذا كان ذكاء الثوار واضحا فى البدء بفاروق ـ الذى كان فى نظر الثورة مجرد ضلع من أضلاع الفساد ··· وكان عزله مجرد مقدم الثمن أو العربون ـ الذى قررت الثورة تقديمه للشعب لكى يحس بأن الثورة ثورته ، وبأن العطاء الذى سيبذله بتأييدها عطاء الشرفاء فى علاقة واضحة محددة المعالم بين الشعب وثورته ··

« وللحقيقة والتاريخ ، فقد اجتاز قادة الثورة ليلة الجمعة ٢٥ يوليه امتحانا رهيبا ، حين أثار قائد الجناح ـ المرحوم ـ جمال سالم وكان أحد الذين سافروا مع محمد نجيب وأنور السادات الى الاسكندرية ··· أزمة حادة باصراره على ضرورة محاكمة فاروق ثم اعدامه جزاء جرائمه ··· وكانت حجته بسيطة ومقنعة وهى أن الشخص العادى يعاقب بالاعدام وينفذ فيه الحكم اذا قتل فردا واحدا ·· بينما ارتكب فاروق جريمة الخيانة العظمى حين تاجر بأسلحة الجيش فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ الأمر الذى أدى بسبب جرائمه الى مصرع الكثيرين من رجال الجيش ضباطا وجنودا ··· فضلا عن غير ذلك من الجرائم فى حق الشعب ··· وكانت حجة المعارضين لرأى جمال سالم ··· أن هذه الثورة امتازت بأنها لم ترق قطرة دم واحدة ··· ويجب الحفاظ للثورة على طهارة يديها من الدم حتى لو كان هذا الدم المطلوب اهداره دم فاروق وكان من أنصار هذا الرأى « محمد نجيب » و (جمال عبد الناصر) وأنور السادات ··· ولقد انتصر هذا الرأى بعد مناقشة حامية استمرت خمس ساعات فى الاسكندرية وبعد مداولات مع الموجودين بالقاهرة من أعضاء مجلس الثورة وكان هذا دليلا على وضوح الرؤية الذى هيأه القدر لقادة الثورة يومها ·· لأنه جنبها العديد من المخاطر التى لم يكن من السهل حساب نهايتها اذا ما تداعت الأحداث ·· وبدىء بتنفيذ قرار العزل عندما توجه محمد نجيب بصحبة أنور السادات وجمال سالم الى رئيس الوزراء « على ماهر » الموجود بالاسكندرية يوم السبت ٢٦ يولية ليسلمه الانذار الموجه لفاروق بضرورة التنحى عن العرش ، وهو الانذار الذى كتبه أنور السادات بخط يده .
ولم يناقش على ماهر قادة الثورة بل أسرع بالتوجه الى قصر رأس التين، لابلاغ فاروق بالانذار التاريخى ·· وتوجه على ماهر الى الملك فاروق محاولا اقناعه على التخلى عن العرش بهدوء مستعملا ذكاءه وقدرته على الاقناع ليجنب نفسه ويجنب الثورة معه مخاطر أى صدام محتمل الوقوع ، وعلى الفور عاد السياسى المحنك الى مقر مجلس الوزراء ـ ببلوكلى ـ لكى يبلغ ممثلى الثورة بنجاحه فى مهمته ، ثم لكى يكلف « سليمان حافظ » وكيل مجلس الدولة ـ والمستشار القانونى لرئيس الوزراء اذ ذاك ـ صياغة التنازل صياغة قانونية ، ورأى القانونى المحنك الا ينفرد وحده بهذه المهمة التاريخية ، فأشرك معه أبا القانون المدنى المصرى ـ ومؤسس مجلس الدولة ـ المرحوم الدكتور عبد الرزاق السنهورى ، ويحكى سليمان حافظ ـ الذى أطلق عليه فاروق فيما بعد لقب التمساح العجوز ـ ما حدث فى المقابلة التى انتهت بانزال ستار النهاية على أكبر مأساة فى تاريخ مصر الحديثة فيقول : « ·· واستقبلنى

الأميرالاى أحمد كامل قائد بوليس القصور الملكية وقادنى الى قاعة فسيحة تتوسطها منضدة ضخمة من الرخام الأسود المموه بالأبيض . وبقيت وحدى للحظات دخل بعدها فاروق يرتدى ثياب أميرالاى البحرية ·· وتصافحنا حول المائدة ·· وقدمت له وثيقة التنازل فألقى عليها نظرة عاجلة ثم قال :

– هل هى محكمة الصياغة من الناحية القانونية ؟!

– نعم ··

– وأسباب التنازل ·· ؟

– استلهمناها من مقدمة الدستور ·· !

– هل يمكن أن أضيف كلمة « وارادتنا » بعد عبارة « نزولا على ارادة الشعب » ؟

– اننا لم نتوصل لهذه الصيغة الا بعد بحث قانونى صعب ·· !

– معنى هذا أن الصيغة التى وضعها الضباط كانت فظيعة !

– أننى لم أطلع عليها !

– لعلك تجاملنى حتى لا تجرح شعورى بذكر الصيغة الأولى ·· ! ·· ولكننى أعدك الا أبوح بما ستذكره لى ·· !

ويقول سليمان حافظ : لقد أقسمت أننى لم أطلع على الصيغة الأولى ·· وانحنى فاروق ووقع الوثيقة بيد مرتعشة ، فجاء التوقيع فى أعلى الورقة ولم أمانع ·· ثم تناولت وثيقة التنازل ، وصافحت فاروق وخرجت وفى جيبى القرار الذى وقعه بنفسه باعدام وجوده المعنوى كملك صاحب سلطة ·· ! » ··

ولكن ماشعور كاتبنا عندما علم بموافقة الملك عن التخلى عن عرشه ؟!

يقول الأستاذ احسان :

« كنت بالقاهرة أرقب الأحداث ·· ولم أفاجأ بسماع الخبر وقت اذاعته ، فقد كنت على ثقة من حدوثه ·· أما عن أحاسيسى ساعتها ، فلا أكتمك انها كانت مزيجا من الاحساس بفرحة النصر··والأمل المشوب

بالاشفاق بالنسبة للمستقبل ·· ولم تكن فرحتى ساعتها بالنصر ·· احساسا فرديا ، بل كان احساسنا جميعا ، يحس به الفرد المقاتل فى الفصيلة أو السرية العسكرية التى تتصدى لأداء مهمة خطرة يتوقف على نجاحها مصير الجيش بأكمله ·· وقد كانت سنوات المخاض الثورى ·· التى شارك فى تحمل آلامها كل الشرفاء من أبناء مصر ، كتابا وصحفيين وسياسيين وطلبة وعمال وفلاحين سنوات عذاب حقيقى ، تحمل مخاطره وعناءه كل هؤلاء بأصالة ليست غريبة على التراب المصرى ·· ومن هنا كان احساسى بفرحة النصر ·· نفس احساس المقاتل فى الكتيبة المنتصرة ·· أما احساس الأمل المشوب بالاشفاق ·· فقد نبع فى نفسى عندما وجدت نفسى فجأة — ككل الساخطين على خطايا الحكم المنهار — أمام حلم الثورة الذى عشنا من أجله وقد أصبح حقيقة واقعة فى حياة مصر ·· ترى هل تظل الثورة — كحقيقة — زاهية ومضيئة ، كما كانت حلما زاهيا يضىء الطريق للثوار فى سنوات الاعداد والتحضير··؟!··كان شريط ذكرياتى يدور حول هذا المعنى ·· ولم أكن أفكر فى نفسى اطلاقا ، فقد عودنى ايمانى أن ما يتعلق بشخصى أوكله للسماء ، وهى قادرة على أن تهبنى ما أحتاج وزيادة ·· ! » ··

ويتساءل الأستاذ احسان هل يتشفى عاقل من الموت ·· ! ·· فخلع ملك عن عرشه — وخاصة اذا كان ملكا متجبرا كفاروق — لا يقل عن كارثة الموت ·· صحيح أنه آذانى كثيرا ، بل وفكر فى اغتيالى وحاول اخراج الفكرة الى حيز التنفيذ حتى بعد أن وصل الى منفاه فى أوربا ·· ولكن ايمانى بالقدر كان يغطينى بمظلة من حماية السماء فى كل مرة أتعرض فيها لمحاولة الاغتيال ·· وهذه القدرة فى حياتى هى التى جعلتنى لا أنتمى لأى تنظيم وأصر على الاستمرار فى حياتى كصاحب قلم طلبق بلا قيود حزبية أو تنظيمية ·· وهذه الوحدة ·· رغم انها كانت تغرى خصومى فى الرأى بالفتك بى ·· كانت فى نفس الوقت السبب فى فشل كل محاولات الاعتـــداء على ، لأنها فى معظمها كانت محاولات ساذجة وصبيانية ، لا تقيم وزنا لتنظيم يقف ورائى ·· ولقد ذهب فاروق ·· وذهب ملك بأسرته كلها ·· وبقيت أحمل قلمى المصرى السن والمداد ·· سائرا فى طريقى الذى اخترته لنفسى منذ البدء ·· طريق العمل المخلص بحثا عن حياة أفضل للانسان المصرى ·· كما يصور لى اجتهادى ·· ! واذا كان النضال قبل الثورة قد اقتضانى السير فى طريق معين مشيت فيه على الشوك حتى النهاية ·· فان قيام الثورة ، وضعنى بمنطق الأحداث الجديدة على بداية طريق جديد للنضال فيه معنى مخالف تمام المخالفة ! » ·

كتب أستاذنا تحت عنوان « **الدستور لن يعزل الملك ولن يطهر الأحزاب** » يوم ١٩٥٢/٨/٤ يقول :

« أعتقد أن الحديث عن المستقبل أجدى على مصر اليوم من الحديث عن الماضي .. عندما تخلصنا من الماضي لن نتخلص من شخص الملك ولن نتخلص من نظام معين بل تخلصنا من أسلوب ممقوت من أساليب الحكم وتخلصنا من عقلية مظلمة ظالمة من عقليات الحكم ولن يعزل الملك انتقاما منه ولا تشفيا فيه ولا عقابا له ، بل عزل لأنه كان يحول دون عهد جديد نريد أن نقيمه وكان يحول دون مستقبل كريم نريد أن نسير فيه ، وكان يحول دون العقليات النظيفة والأخلاق القوية من أن تعلو لتكون عنوانا لمصر » ..

وقد كتب الأستاذ احسان العديد من المقالات بعد خلع الملك السابق يحذر فيها من أعداء الشعب الطامعين وضرورة حماية الشعب منهم ومن محاولاتهم الدنيئة التي تدبر في الخفاء فأعداء الثورة كثيرون ، أقوياء حاولوا أن يستفيدوا منها فلما عجزوا حاولوا افسادها .. أعداء كان لهم عز قديم ضاع منهم تحت أقدام رجال الجيش فبدأوا يستعدون لثورة على الثورة .. أعداء ينظرون الى مشاريع الاصلاح نظرة هلع وخوف فيقبضون على أملاكهم وتراثهم بيد ويحاولون باليد الأخرى أن يقطعوا يد الحق قبل أن تصل اليها ..

قال لي الأستاذ احسان :

« كان لابد من القضاء عليهم وهذا ما ناديت به ولكن في الوقت نفسه حذرت بأن حركة القضاء عليهم لن يكون لها نفس الطابع الذي كان لحركة القضاء على فاروق فقد كان فاروق فردا محدد المعالم ، محدد الشخصية ، محدد النفوذ .. أما هؤلاء فليس لهم حصر ولا معالم محددة واحدة .. ولا شخصية موحدة ولا نفوذ واضح مرسوم وهذا ما وضحته لضباط هيئة القيادة العامة وقد حملت لنا الأيام بعد ذلك العجب الذي حذرت منه وكشفت عن المحاولات الدنيئة التي كانت تدبر في الخفاء » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٧ ـ احسان وتحديد الملكية الزراعية

لقد عاش احسان عبد القدوس حياته لا ينافق أحدا ولا يسمح لأحد أن ينافقه ، فهو لا يؤمن بالنفاق ، ولا يستطيعه حتى لو سولت له نفسه ممارسته ، فهل كان من السهل على هذه الشخصية التفاعل الكامل والاتفاق التام فى الرأى مع قادة الثورة !

يقول أستاذنا : « لقد كنت واثقا أن لحظة الصدام قادمة لا محالة ، ولم تكن المسألة عندى أقصر من مسألة وقت والسبب ان خوفي على الثورة ذاتها وهى ما تزال اذ ذاك في مهدها ، فلم يكن من المصلحة العامة أن أثير علنا ، أى خلاف فى الرأى ـ قد يحدث ـ الأمر الذى لن يستفيد منه سوى أعداء الثورة المتربصين بها .. ولكن الأمر كان قد تجاوز طاقتى على الصبر ، عندما رأيت على ماهر يسوف فى اصدار قانون الاصلاح الزراعى الأول ـ ولم أتردد فى مهاجمته بقسوة فى مقال بالغ العنف .. أطالب فيه باعفائه من الحكم لأنه غير قادر على اصدار مثل هذا القانون « بحكم عقليته التوفيقية » ..

« فلم يكن معقولا أن أسكت ، وأنا أرى على ماهر يضم لعضوية اللجنة التى تعد لاصدار قانون الاصلاح الزراعى ، أشخاصا من كبار الملاك الزراعيين ، الذين يملك بعضهم بضعة آلاف من الأفدنة .. ! .. وكان هذا موقفا مرفوضا تماما ، أيا كان موقع صاحبه من نفسى .. ! ..

وعلى الفور قررت مهاجمته بصراحة ــ بعد التعريض به تلميحا فى أعداد سابقة من روز اليوسف ٠٠ ! ٠٠ وكتبت بالفعل مقالا عنيفا أطالب فيه بذهاب هذا الرجل ــ أى على ماهر ــ لأنه أثبت بموقفه من قانون الاصلاح الزراعى ، أنه تجاوز ــ بحكم السن أو التعود ــ القدرة على الاستجابة الواضحة لمتطلبات ثورة تنتسب للشعب ٠٠ ! وكانت المفاجأة التى لم أتوقعها والتى عجلت ببذر بذور الشقاق الفكرى بينى وبين بعض الكبار من قادة الثورة ، حينما رفض الرقيب التصريح بنشر مقال لا أبغى به سوى مصلحة الملايين التى سهرنا الليالى معا نحلم بتحقيق العدل لها ٠٠ فكيف يمنع مقالى ٠٠ ؟ ٠٠ ولماذا ؟! ٠٠ وأسرعت على الفور للقاء جمال عبد الناصر ، شاكيا له هذا الرقيب حيث استقبلنى بابتسامته التى تحار فى تحديد موقفها منك : هل هى معك أم عليك ٠٠ ! وفاجأنى بقوله ، وعيناه تتجنبان مواجهة نظراتى الفزعة من وقع كلماته :

ــ الرقيب مظلوم يا احسان ٠٠ أنا الذى رفضت المقال ٠٠

ولم أجد كلمة تسعفنى فى هذا الموقف العسير ٠٠ سوى كلمة واحدة :

ــ لماذا ؟!

ــ لأن هيبة الحاكم تحتم على أن أمنع نشر هذا المقال !

ــ هيبة الحاكم ــ ! ٠٠ تقول الحاكم ٠٠ ؟! ٠٠ اننى لا أفهم !

وحقيقة لم أفهم ساعتها ماذا يقصد جمال عبد الناصر ٠٠ لقد اعتدت أن ألقاه لقاء ثائر بثائر ٠٠ ان تكن وسيلة التعبير عن الثورة قد فرقت بينهما ، فقد جمعت بينهما روح الثورة ، وجمع بينهما الايمان بالحرية ٠٠ ولهذا وجدت نفسى عاجزا عن فهم عبارته عما أسماه هيبة الحاكم ٠٠ ! ولعله أحس بمدى الحيرة التى أوقعتنى فيها عبارته فسارع يفسر لى ماذا يقصد بها ٠٠

ــ اسمع يا احسان ٠٠ أنا واثق تماما من اخلاصك فى كل حرف كتبته فى المقال ٠٠ ! ٠٠ ومتفق معك تماما فى أن على ماهر يجب أن يذهب ، لأن مرحلة التوفيق بين الأطراف ، واسترضاء خصوم الثورة ــ الذين تخشى خطرهم قد انتهت وانتهى معها دور على ماهر الكوبرى عباس كما يسميه ! ٠٠ ومتفق معك أيضا فى أن على ماهر بحكم تكوينه الفكرى

وماضيه السياسي ، غير قادر أبدا على اصدار قانون يحدد الملكية الزراعية لكبار الملاك ، الذين هم في نفس الوقت زملاؤه في ممارسة الحكم قبل الثورة .. هذا الرجل يجب أن يذهب فعلا كما كتبت أنت في مقالك ..

ـ لماذا اذن منعت نشر المقال .. ولماذا أنت بالذات .. ؟!

ـ لأن حرصي على الثورة كنظام حاكم يحتم على أن أمنعه .. !

ـ لمـــاذا ؟!

قلتها في شبه صراخ باك .. !

ان جمال عبد الناصر يوشك أن يصيبني بالجنون .. ! .. انه يعترف بصحة كل ما كتبته ، ويؤمن باخلاصي في كل حرف كما يقول .. فلماذا اذن يمنع ما يؤمن بصحته واخلاصه ؟!

ـ لأنني لا أريد أن أرسخ في أذهان الشعب أن هناك من يقترح على الثورة ، فتنفذ اقتراحه ـ حتى لو كان هو عين الصواب .. ! لا أريد أبدا أن يتصور الناس أن هناك وصاية على الثورة ، حتى لو جاءت هذه الوصاية في شكل مقال يكتبه صحفي لا شك في نظافته وطهارة قلمه وفكره وسلوكه .. ! ..

ـ تصور يا احسان ، لو ان الثورة نشرت مقالك اليوم . ثم أقالت وزارة على ماهر غدا ، وشكلت وزارة جديدة تصدر القانون المنتظر في نفس يوم تشكيلها .. ماذا يقول الناس عنا في اليوم الرابع .. !؟

واستدار فجأة ليقول لى بصوت هادىء ولكنه قاطع وحازم .. رغم الابتسامة الغامضة التى تحار في تحديد موقفها منك .. هل هى معك أم عليك :

ـ لو أننا نفذنا اقتراحك يا احسان .. وأنت صحفي صناعتك القلم .. فماذا يبقى لنا لنعمله ؟ .. وقد صرنا كمسئولين عن الثورة ، حكاما . صناعتنا الحكم .. !

ولم أجب .. فلم يكن هناك ما أقوله .. لقد أحسست ساعتها ، بأن لصوص الثورات في كل عصر ، قد بدءوا يتجمعون من حول صديقى في كل زمان ومكان ..ولم ينشر مقالى الا بعد أخذ ورد اشترك فيه المرحوم جمال سالم الأمر الذى أصابنى بمرارة داخلية ولكنه أخيرا نشر..وأقيلت وزارة على ماهر يوم ٨ سبتمبر عقب نشر المقال بثلاثة أيام وتألفت وزارة

محمد نجيب الأولى التى أصدرت قانون الاصلاح الزراعي يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٢ ، وكان فى ذلك كل العزاء لما أصابنى من ألم نفسى عقب لقائى بجمال عبد الناصر ·· ورغم احساسي بأن طبقة « لصوص الثورات » قد بدأت تتحرك لتعزل الثورة فكرا وسلوكا عن آمال الشعب ، فلم أستسلم، وقاومت عوامل السخط فى نفسى » ··

لكن ما هو الاثر النفسى الذى تركته هذه الواقعة لكاتبنا تجـــاه الثـــورة ؟

··· يقول الأستاذ احسان : « أنا ضد الكراهية ·· والحقـد على طول الخط ·· ومع الحب الى النهاية ·· لأن الحب كان طوق النجاة الذى تعلقت به حياتى فنجوت من الغرق فى بحر التناقضات من عالم أمي وعالم جدى ·· !! ولهذا لم أكره جمال عبد الناصر وبالتالى فلم أغير موقفى من كره انسان ما ·· فأنا غير قادر على التخلى عن قضية الثورة التى آمنت بها ـ كحل لحيرتى السياسية فى الأربعينات ·· ومن هذا المنطلق . لم أتردد فى الاندفاع بكل ما أملك من وقت وجهد فى اثارة قضية الغاء آخر وجود لأسرة محمد على فى مصر ـ ذلك الوجود الوهمى الذى ظل ممثلا بعد قيـام الثورة فى لجنة الوصاية الثلاثية على العرش التى تحكم باسم الملك الطفل أحمد فؤاد الثانى !!

« وعلى الرغم من أن الجميع كانوا يثقون تماما فى نظافة واخلاص اتجاهاتى السياسية ، الا أن صلابتى التى لا تعرف الحدود فى قضيـة الحرية ، جعلت طريقة التفاهم معى مهمة بالغة الصعوبة ، وخاصة بالنسبة لجمال عبد الناصر ·· الذى ربما التمست له العذر فيما بينى وبين نفسى فى بعض ما كنا نختلف حوله ·· فيأخذ هو جانب « الثائر الذى أصبح حاكما مسئولا » بينما لم يتغير موقعى من الثورة ، حيث بقيت كما كنت قبل ٢٣ يولية ، الثائر الذى يعيش الثورة بقلبه وفكره ·· دون أن تحد من حرية خياله الثورى متطلبات « الواقع العملى للحكم » ·· !!

« ومع تكرار مواقف الصدام بين حرية الخيال الثورى ـ لكاتب منطلق مثلى ـ وبين متطلبات الواقع العملى للحكم !! رئى أن يتولى مهمة التفـاهم معى أقدر أعضاء مجلس الثـورة على فهمى ، أنور السادات ، باعتباره أقربهم الى قلبى وعقلى معا ··

١٨ ـ احسان واعلان الجمهورية

تحمل الأستاذ احسان مسئولية اثارة قضية اعلان النظام الجمهورى عن اقتناع كامل بأنه النظام الطبيعى الذى لا يحتاج الى تبرير أو الى دفاع لأن من الحقوق البديهية لكل مجتمع أن يختار رئيسه وحاكمه ورمز كيانه وأن يكون له الحق فى سحب الثقة من هذا الرئيس أو هذا الرمز اذا ما أخطأ أو أفسد دون حاجة الى ثورة قد تنجح وقد تفشل وقد تكون ثورة بيضاء وقد تراق فيها الدماء ولذلك كان بديهيا أن نرى كاتبنا يقف يدعو الناس الى الجمهورية فى الوقت الذى تخاذلت وتراجعت فيه أقلام كثيرة .

يقول أستاذنا :

« عنـدما طالبت باعلان جمهـورية مصر لم يكن الأمر سهلا كانت آلاف السنين من النظام الملكى قد ضربت على عقول الناس ـ أو بعض الناس ـ ستارا مظلما فلم يعد خيالهم السياسى يتسع لأى نظام آخر من نظم الحكم وكان الحرص على الاستقرار والخوف من التطور السريع والحذر من المستقبل يدفع البعض الى محاربة الدعوة الى الجمهورية واعتبار أصحابها من الثائرين المتطرفين الذين يسعون الى قلب الأوضاع وقلب نظام الحكم بل انى اتهمت فى حديث أذيع من محطة الاذاعة بأنى مغرض دساس ومن أعداء الثورة » .

وقد فجر الأستاذ احسان مقالات عديدة عن « **كيف نريد أن تحكم مصر** » . أخذ يشرح فيها النظم السياسية المختلفة ويحلل نظرياتها العديدة

موضحا مزايا وعيوب كل منها على حدة ليترك للمواطن حرية التعبير عن رأيه دون ضغط من أحد ولم يكتف بذلك بل أعلن فى روز اليوسف عن استفتاء شعبى لاختيار نظام الحكم ، وفى الواقع أن كاتبنا وقف يدعو الناس الى الجمهورية وحيدا فلم ترض صحيفة من الصحف أن تشاركه دعوته رغم الحاحه عليها حتى استفتاءها الشعبى رفضت الصحف أن تنشر بطاقات هذا الاستفتاء رغم أنها أرسلت اليها كاعلانات ورفضت الرقابه أن توافق على النشر كأن أمرا غير مصدق أن تقوم دعوة الى الجمهورية وكأن أمرا غير متصور أن تعلن الجمهورية فعلا بل أن الصحف أخذت توالى نشر العناوين الضخمة محاولة أن تحطم بها الدعوة : « الجمهورية لن تعلن » ٠٠ « الملكية باقية » ٠٠ « لا تفكير فى تغيير الحكم » ٠٠٠ الخ ٠٠٠ ورغم ذلك استمرت دعوة كاتبنا ونجح الاستفتاء نجاحا كبيرا فقد انتهى بأن طالب ٩٠ ٪ من مختلف طبقات الشعب بالجمهورية وفعلا تعلن الجمهورية يوم ١٨ يونية ١٩٥٣ ٠

قال لى الأستاذ احسان :

« أعلنت الجمهورية لا لأنى دعوت اليها ٠٠ فلم يكن دورى يتعدى اعداد الشعب لها ٠٠ انها أعلنت لانها كانت الخطوة الطبيعية ولأن حركة الجيش كان لا يمكن أن تستكمل أهدافها الا اذا كانت الجمهورية أول هذه الخطوات » ٠

وبعد أن نجحت دعوة كاتبنا ٠٠ هل هدأ واستراح ٠٠ طبعا كعهدنا به كان لابد من خلق قضية جديدة يتبناها وقد وجدها توأما لقضيته السابقة وهى نوع الجمهورية التى يختارها الشعب ٠٠ فكتب العديد من المقالات موضحا نظم الجمهورية فى مختلف البلاد كالولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا والهند التى تقوم على النظام الديمقراطى وفرق بينها وبين الجمهوريات الديكتاتورية التى تقوم فى أسبانيا والبرتغال والأرجنتين وأخذ يعبأ الرأى العام نحو رفض هذا النظام ٠٠

يقول الأستاذ احسان فى مقاله « **كيف نريد أن تحكم مصر** » :

« ان نظام الجمهورية الديمقراطية هو النظام الأمثل بين الجمهوريات ولكنه يحتاج فى مصر الى فترة انتقال ٠٠ وهذه الفترة لا يمكن تجنبها لأننا نجتازها الآن ، المهم هو تحديدها وتحديد مدتها والذى يحدد هذه الفترة هو الشعب لاعداد نفسه للنظام الذى يريده فنحن لا نريد نظاما تمنحه لنا قيادة الحركة بل نظاما نختاره ونصر عليه ونفرضه على أنفسنا ٠٠ ودور قيادة الحركة هو أن تتيح للشعب فرصة اعداد نفسه بلا قيود

وبلا ضغوط وبلا تدخل ومن الخطأ أن ننكر على الشعب حقه فى نظام جمهورى بحجة أن أغلبيته جاهلة ويمكن استغلالها فى توجيه نتائج الانتخابات توجيها فاسدا فان الشعب المصرى ليس أكثر جهلا من الشعب الهندى أو الشعب الباكستانى » .

ونجده فى مقال آخر من مجموعة مقالاته «**كيف نريد أن تحكم مصر؟**» يحذر من أن النظام الجمهورى يحتاج الى شعب واع قوى مفتح العينين والا انقلب أول رئيس جمهورية الى ديكتاتور له سلطات الملك كما حدث فى لبنان عندما قوى النفوذ لرئيس الجمهورية الى حد أنه استطاع أن يعدل الدستور ليجعل من نفسه رئيسا مدى الحياة .. كما أن الجمهورية لم تنجح فى سوريا واضطر الشعب أن يدفع الجيش الى احداث انقلاب عسكرى ليتخلص من أول رئيس جمهورية بعد أن منح نفسه سلطات الملوك » ..

ثم انتقل بقلمه لمعركة أخرى .. المطالبة بدستور مؤقت لفترة الانتقال المؤقتة يشتمل على المبادىء العامة للدستور المتعلقة بصيانة الحريات العامة وطالب أيضا بتحديد مدة هذه الفترة المؤقتة ..

وكتب أستاذنا فى هذا الصدد العديد من المقالات .. أذكر منها « **دستور مؤقت لفترة انتقال مؤقتة** » يقول فيه « ... لا يكفى أن تعلن القيادة هذه المبادىء فى تصريح لمصدر مسئول أو فى حديث لمتحدث رسمى .. أو فى خطاب يلقيه الرئيس محمد نجيب بل يجب أن تعلن القيادة ارتباطها بهذه المبادىء فى بيان مكتوب له قوة القانون ترتبط به ويحسب عليها ويكون أشبه بدستور مؤقت لفترة انتقال مؤقتة » ..

وفى مقال آخر بعنوان **لا مستبد عادل .. ولا عادل مستبد** بتاريخ ١٩٥٣/٢/٩ .. كتب يقول :

« منذ أن طالبت بهذا الدستور وأنا فى نقاش حاد حول اصداره وكان محور النقاش أنى رغم ايمانى بعدل القادة ووطنيتهم واخلاصهم الا انى لا أؤمن بالأكذوبة التى تتغنى بالمستبد العادل .. فالمستبد لا يمكن أن يكون عادلا ما دام مستبدا والعادل لا يمكن أن يكون مستبدا ما دام عادلا .. والعدل نفسه لا يمكن أن ينبعث عن مزاج شخصى أو عن هوى انسان مهما بلغ هذا الانسان من قوة الخلق وشدة الاخلاص لوطنه والغيرة على شعبه اذ العدل لا ينبعث الا عن مبادىء مسجلة صريحة واضحة معلنة يحاسب من يخرج عليها سواء كان من أفراد الشعب أو

أفراد الهيئة الحاكمة ٠٠ والأنبياء أنفسهم كانوا يستندون على عدلهم على مبادىء الكتب السماوية ٠٠ وكانت هذه المبادىء تطبق عليهم كما تطبق على أتباعهم ٠٠٠ ولذلك يجب أن يصدر دستور لهذه الفترة المؤقتة التي نجتازها حتى يكون حجة على القادة اذا أخطأوا وحجة علينا اذا أخطأنا. وسياجا للعدل ٠٠ وحدا للحاكمين وأمانا للشعب » ٠

وتحققت دعوة أستاذنا هذه ٠٠ وحددت فترة الانتقال بثلاث سنوات وأعد الدستور المؤقت ولكن كاتبنا الذى لا يهدأ أبدا أحس بأن هناك شيئا آخر لم ينحقق بعد وهو أن يكفل الحاكمون للشعب حقه فى ممارسة الحرية الشعبية المنظمة وأوضح مظاهر هذه الحرية هى حرية المعارضة ما دامت معارضة شريفة صريحة تستهدف المصلحة العامة ولا تقوم على الدس والتآمر ٠٠ فكتب يقول :

« لن ننتصر — نحن مؤيدو هذا العهد — الا اذا كانت هناك معارضة ننتصر عليها ٠٠ ولن يكون هناك انتصار اذا لم تكن هناك حركة ٠٠ ولن تكون هناك معركة اذا لم يكن هناك من يعترك معنا ٠٠

والمبدأ المثالى هو : البقاء للأصلح

ونحن نريد الفرصة لنثبت أننا الأصلح » ٠٠

وهكذا نرى أن ايمان أستاذنا بثورة يوليو بلا حدود ، ايمان نابع من ثقته بطهارة ونقاء قادتها الذين يدينون بمجموعة من المبادىء آمنا بها معهم فى محاولة الوصول اليها وفى محاولة تحقيقها ٠٠ وقد كتب الأستاذ احسان فى هذا الصدد فى مجلة روز اليوسف يوم ١٩٥٣/١/١٢ تحت عنوان « **أننا نؤمن بالمبادىء والمخلصين لهذه المبادىء** » يقول : « اننا نؤمن بهم من أجل هذه المبادىء ومن أجل اخلاصهم لها وتضحياتهم فى سبيلها ٠٠ نؤمن من أجل هذا لا لمجرد أنهم ضباط بالجيش ٠٠ وهم جميعا قد اشتركوا فى كل الحركات الوطنية التى مرت بمصر منذ عام ١٩٢٣ ولم يشتركوا فيها كضباط بل أن مهمتهم الرسمية كضباط كانت تحرم عليهم الاشتراك فى مثل هذه الحركات الوطنية ولكنهم اشتركوا فيها لانهم مصريون ولأنهم وطنيون ولأنهم من الشعب ٠٠ فالحركة ان كانت عسكرية فى أداتها فهى ليست عسكرية فى مبادئها ولا فى أهدافها واذا كان قادتها يرتدون الزى العسكرى فانهم يضعون فى صدورهم مبادىء شعبية ٠٠ مبادىء الديمقراطية ومبادىء الحرية ومبادىء الدستور ٠٠ المبادىء التى سجلوها على أنفسهم فى منشوراتهم قبل الحركة ٠٠ ولهذا طالبت بعد الحركة بأسابيع أن يتولى هؤلاء القادة بأنفسهم مناصب الوزارة

ولم أكن أعنى أن يؤلفوا وزارة عسكرية تدين بمبادىء الديكتاتورية العسكرية فانهم هم أنفسهم لا يستطيعون أن يكونوا ديكتاتوريين ما داموا يؤمنون بالمبادىء التى ارتبطوا بها وعرفناها عنهم .. وانما كنت أعنى أن أحملهم المسئولية كاملة الى أن ينتهوا من اقرار هذه المبادىء وتحقيقها ثم بعد ذلك يتركون الوزارة ليعودوا الى الجيش أو يتركوا الجيش ليظلوا فى الوزارة بتأييد الشعب فى انتخابات عامة .. لم أطلب لهم الوزارة كمكافأة على نجاح حركتهم وانما أحملهم المسئولية تحميلا صريحا وأضعهم فى مواجهة الشعب ليحاسبهم على أخطائهم اذا ما أخطأوا وليؤيدهم فيما يستحقون من تأييد..كان هذا..فى رأيى هو النظام الطبيعى الصريح الذى يجب أن يقوم فى فترة الانتقال » .

وتحقق أيضا ما نادى به فى دعـوته واشترك ضباط القيادة فى الوزارة ولكن بعد عام من دعوته وبعد أن شكلت الوزارة كتب أستاذنا مقالا بروز اليوسف يوم ١٩٥٣/٦/٢٢ بعنوان « **هؤلاء الوزراء أقوياء .. وهذا الشعب أقوى** » يقول فيه : « يوم طالبت بأن يشترك ضباط القيادة فى الوزارة أتهمت من بعض الجهات بأنى أدعو الى الديكتاتورية العسكرية ولم أكن كذلك ولن أكون أبدا .. ولا أريد أن أهنئهم فالمستقبل الكفيل بارسال التهانى واعداد باقات الزهور .. بقى شىء .. أننا لا نزال نعد أنفسنا للديمقراطية الكاملة وأول حقوق الديمقراطية هو حق نقد الوزراء وتوجيههم ومطالبتهم .. وهو حق لا يمكن التنازل عنه أبدا حتى فى فترة الاعداد .. والوزير القوى هو الذى ينقد ويبدى رأيه فى حرية الشعب القوى » .

١٩ ــ احسان والأحكام العرفية

كان الصحفى الثائر احسان عبد القدوس يريد أن يرى بصمات ثورته ــ التى ناضل بقلمه وفكره وتحمل فى سبيل قيامها الكثير ولم يعبأ مما يقابله فهو ماض فى طريقه الى أن يتحقق حلمه ٠٠ على كل بقعه من أرض وطنه الحبيب ٠٠ مصر ٠٠ كان يريد أن تقتلع هذه الثورة كل فساد أمامها فى التو واللحظة ٠

فكتب فى مجلة روز اليوسف يوم ١٩٥٢/٨/٤ تحت عنوان « **الدستور لن يعزل الملك ولن يطهر الأحزاب** » يقول : « هذا العهد الجديد الذى سعينا اليه لم يبدأ بعد ٠٠ فلا تزال مواكب النفاق التى كانت تسير فى ركاب كل عهد وبين يدى كل صاحب سلطان ٠٠ لا تزال تطوف بيننا وتحرق البخور فى هيكل السيد الجديد حتى لو كره منهم نفاقهم وسد أنفه عن رائحة بخورهم ٠٠

« ولا تزال الأحزاب تسيطر عليهم نفس العقليات وتتحرك فى نفس الاتجاه وتستعمل نفس الأسلوب والمعركة السياسية التى بدأت تنشب وتثير الغبار فى الميدان هى المعركة نفسها التى تعودناها ولها نفس الطابع الشخصى ونفس السلاح ونفس الهدف ٠٠ الهدف الذى ينحصر فى الاستيلاء على الحكم ٠٠ والبرنامج الذى أعلنته الأحزاب ليس فيه جديد وانما هو نفس الكلام البراق الذى كفر به الشعب ما دام على شفاه تعودت أن تخدعه وتعودت أن تعمل بغير ما تقول به ٠٠ ولا تزال السياسة

الاقتصادية نسير في منهاجها القديم ولا يزال الغنى فاحش الغنى ولا يزال الفقير مدقعا في فقره ..

وقد ترتب على الغاء الألقاب ازالة مظهر من مظاهر فوارق الطبقات ولكن الفوارق نفسها لا تزال قائمة ولا تزال قائمة في الثروات العقارية ولا تزال قائمة في الخزائن المكدسة .. ولا تزال قائمة في قطع الماس وسبائك الذهب .. ولا تزال في القصور والموائد المتخمة .. ولا يزال هناك تردد في اطلاق الحريات والغاء الأحكام العرفية والرقابة على الصحف .. ان ما كان يخشى منه في الماضي لا يزال يخشى منه في الحاضر والمستقبل ..

« ... ولنذكر أن الدستور لم يعزل الملك وانما عزله الجيش الذى عبر عن ارادته والدستور أيضا لن يطهر الأحزاب بل يجب أن يصر الشعب على تطهيرها ..

يجب أن يصر الشعب على أن تتخلص هذه الأحزاب من أعضائها المجرمين المتهمين ..

ويجب أن يصر على أن تقوم هذه الأحزاب على خدمة الأغلبية الفقيرة على أمرها لا على خدمة عبود والبدراوى وأحمد عبد الغفار ويجب أن يصر على أن يبدأ أفراد هذه الأحزاب من الأغنياء لادارة ثرواتهم لصالح الفقراء والتنازل عنها أو عن معظمها لانقاذ الحالة الاقتصادية ورفع مستوى الفلاح وتحطيم فوارق الطبقات ..

ويجب أن يصر على أن يبدأ يرى بين هذه الأحزاب وجوها جديدة فيتق بها تضع برامج اجتماعية قابلة للتنفيذ لا مجرد عناوين براقة تحمل التضليل وأن تبحث القضية الوطنية بحثا جديا مدعما لا أن تتخذ سلاحا للمعارضة والتمويه » .

وقد كانت قضية تطهير الأحزاب احدى القضايا الهامة التى شغلت فكر كاتبنا وسخر لها قلمه في العديد من المقالات قبل الثورة وبعدها .. وحينما دعت الثورة الى اتحاد الأحزاب كتب في روز اليوسف في يوم ١٩٥٢/١٢/٢٢ مقالا تحت عنوان « **دعوة الأحزاب الى الاتحاد .. عبث** » يقول :

« ... هذه الأحزاب نفسها لم تستطع أن تتحد في أحلك أيام مصر وأمام أفدح مصائبها ، لن تستطيع أن تتحد أمام حادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢ ولم تستطع أن تتحد أيام حملة فلسطين ولم تستطع أن تتحد أيام معارك

القنال ، ولم تستطع أن تتحد في عريضة واحدة تقدمها للملك السابق ليرده عن غيه ؟

فماذا حدث حتى تتحد هذه الأحزاب اليوم .. ماذا حدث ؟ والوجوه لم تتغير والعقليات لم تتغير .. بل كيف تدعوها الحكومة الى الاتحاد بينما هي ـ الحكومة ـ تعترض على قيامها وتضع حولها القيود التي تحرمها من مزاولة نشاطها الطبيعي ..

انها أحزاب ليس لها هدف الا الوصول الى الحكم سواء عن طريق طبيعي أو غير طبيعي .. قد يكون الوصول الى الحكم من حقهم ولكن هذا الهدف يحول بينها وبين الاتحاد بعضها مع بعض ويحول بالأولى بينها وبين الاتحاد مع الحكومة التي تتولى الحكم فعلا فاذا ما اتحدت بعد ذلك فانما تتحد على الحكومة لا معها حتى تزيل العقبة المشتركة لتتفرغ بعد ذلك للنزاع بينها وبين بعضها البعض » .

قال لي الأستاذ احسان :

« لقد جرب محمد نجيب أثر هذا الاتحاد مع الأحزاب حينما زار مصطفى النحاس يومها فسروا هذه الزيارة بأن الوفد سيتولى الحكم والنحاس سيتولى رئاسة الجمهورية وحينما كذبت هذه الاشاعات رسميا عاد الوفديون ينكمشون استعدادا لفرصة الوثوب ولم يحاول أحد منهم أن يؤيد شعائر الاتحاد ولم يحاول مصطفى النحاس نفسه أن يقول كلمة يؤيد بها « دعوة الاتحاد » ..

وحينما رأى قوى الرجعية تزحف في عنف منتظم وطبقا لخطوط موضوعة مرسومة لتحتل الميادين في نشوة النصر .. لم يستطع أن يقف متفرجا فكتب في مقال تحت عنوان « **الملائكة الذين عزلوا الملك ثم ارتفعوا الى السماء** » يوم ١٩٥٢/٩/٨ يقول :

« لا أستطيع أن أسكت وأنا أرى أماني العمر ـ عمر مصر ـ قد وضعت في يد جماعة من الملائكة الأطهار يتأبون على الأرض ويتعلقون بالسماء ويتعففون أن يكونوا بشرا لهم حسنات ولهم أخطاء .. أنهم ملائكة هؤلاء الذين قاموا بالثورة وتحملوا مسئوليتها وتعهدوا بالوصول الى أهدافها .. ملائكة يؤمنون بالدستور ايمانا قويا مجردا من الأطماع .. ملائكة يؤمنون بالنظام الحزبي وبالحرية الحزبية ايمانا مقدسا ثم يرفعون رؤوسهم الى السماء داعين بالخير والفلاح لبلد رأوا أحزابه وقد هدمتها الشهوات ولوثتها الأغراض وسودتها الرأسمالية وطليت جدرانها بالخداع

والزور والكذب والبهتان .. ملائكة يؤمنون بالحرية الشخصية ايمان العابد بربه ثم يرون هذه الحرية وقد تقوى بها الفساد وأصبحت سلاحا للاحتيال السياسى والدجل الحزبى وسياجا يحتمى وراء الاقطاع فلا يصنعون شيئا الا أن يتكلوا على الله ..

ملائكة تعففوا وتمادوا فى الزهد وخافوا ربهم وشعبهم فلم يعملوا شيئا خشية أن يخطئوا ولم يتقدموا خشية أن يتعثروا ولم يتحركوا خشية أن يتجنبوا الصواب .. انني لا أدعوهم الى الكفر بالدستور ولا بالنظام الحزبى فليس هناك ديمقراطية بلا أحزاب .. ولا أني أدعوهم الى الكفر بالحرية الشخصية ، فقد صهرنا ايماننا دفاعا عن هذه الحرية ولن نتنازل عنها حتى لو قبض عليها الملائكة ولكنى أدعوهم الى أن ينزلوا الى الأرض وأن يكونوا بشرا وأن يعملوا وأن يصدوا الزحف الذى أعد لهم وأن يحطموا صفوف الشر قبل أن تتجمع فى جيوش ويطلقوا طلقة واحدة قبل أن يضطرها الى اطلاق ملايين الطلقات أننا لا نريد أن نقيم منهم نظاما لحكم مصر وقد قلت أننا نعارض وسنعارض دائما أن تفرض على مصر دكتاتورية عسكرية .. ولكننا نريدهم أداة نافعة لتطهير الأرض التى نقيم عليها النظام الجديد ..

قال لى الأستاذ احسان :

« كنت مؤمنا ايمانا لا حدود له بأن مهمة هؤلاء الثوار لم تنته بعزل الملك فهناك ما هو أخطر من فاروق نفسه ، أذناب حكمه وبقايا عهده الفاسد فكان لابد لهؤلاء الثوار أن يتحركوا كما تحركوا فى اليوم الأول فيحطموا بقية الصخور التي تعترض الطريق فطالبت بضرورة الحماية من الذين يتكلمون باسم الدستور وهم نكبة على الدستور وكذلك هؤلاء الذين يتكلمون باسم الاستقرار الاقتصادى وكانوا نكبة على اقتصاد مصر وأيضا الحماية من الذين يستغلون القضية الوطنية للتمويه على الناس ولصرفهم عن البناء الجديد وقد فشلت القضية الوطنية فى أيديهم منذ سبعين عاما .. وكان فى رأيى أن هؤلاء الثوار هم فقط الذين يستطيعون توفير هذه الحماية لأنهم يمثلون قوة شعبية هائلة وهى التى استطاعت أن تقضى على رأس الفساد فاروق » .

هذه هى القوة الشعبية التى يتكلم عنها كاتبنا نادى بها فى العديد من مقالاته قبل الثورة وبعدها .. أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر

هل يستطيع رئيس الوزراء أن يرى الرأى العام ؟ .. النار للكافرين .. فأين جنة الصالحين ؟ متى يقدر لمصر أن تحكم بلا أحكام عرفية ؟ .. الخ .

فأستاذنا يرى ان سر قوة عرابى عندما قام مطالبا بالدستور هو أنه كان يمثل قوة شعبية ·· نفس هذه القوة كانت مع مصطفى كامل عندما قام يطالب بالجلاء ·· وأيضا استطاع سعد زغلول بهذه الفكرة الشعبية أن ينتصر على الفساد الذى سبق زعامته وأن يقضى على عملاء الانجليز الذين كانوا يسيطرون على مصر وأن يوحد المسلمين والأقباط بعد أن دق الاحتلال بينهم سورا من نار البغض والحقد والتعصب ·· بل أنه استطاع أن يقضى على بقية الأحزاب الوطنية عندما نزع الفكرة الشعبية عنه ·· استطاع سعد زغلول أن يفعل كل ذلك بمجرد تمثيله للفكرة الشعبية ولم يحتج لقانون ولا لقوة الحاكم ولا الى الاضطهاد ··

وكان يرى أن العهد الجديد ـ عهد الثورة ـ يحمل هذه الفكرة الشعبية وهو بها يكون أقوى من أن يحتاج الى قوة الحاكم وأقوى من أن يحتاج الى الأحكام العرفية وأقوى من أن يحتاج لقوانين استثنائية وأقوى من أن يحتاج الى اعلان الرقابة على الصحف ·· وأقوى من أن يخاف الأخطاء المتعمدة أو غير المتعمدة التى قد يرتكبها بعض الأفراد باسم هذه الحرية ··

قال لى الأستاذ احسان :

« ناديت فى بداية الثورة بضرورة تمكين هذه الفكرة الشعبية فى العهد الجديد كأسلوب من أساليب الحكم ورفع شعائرها بين الناس وكنت أرى أن الفترة المؤقتة ما هى الا فترة ليختبر الشعب زعماءه الجدد ويختبر قدرتهم على تحقيق الفكرة الشعبية ·· وناديت بضرورة وضع دستور مؤقت ليضمن مبادىء الحريات العامة خلال فترة الانتقال المؤقتة كما طالبت أيضا بضرورة وضع برنامج مرسوم للعهد الجديد كى يحق للصالحين أن يؤمنوا به ويشتركوا فى تنفيذه » ·

كتب أستاذنا فى روز اليوسف مقالا تحت عنوان « **متى يقدر لمصر أن تحكم بلا أحكام عرفية ؟** » فى عدد رقم ١٣١٢ يقول :

« انى عندما ألح فى طلب الغاء الأحكام العرفية ورفع الرقابة على الصحف فلأنى أؤمن بأن هذا العهد مؤيد من الشعب تأييدا جارفا وان هذا التأييد أقوى من الأحكام العرفية ومن الرقابة على الصحف ·

ولم يكن سعد زغلول ـ مثلا ـ يملك اعلان الرقابة على الصحف

ورغم ذلك كانت الصحف كلها تقريبا تؤيده ٠٠ بل كانت الصحف تسعى الى تأييده وارضائه لتضمن انتشارها وعندما خرجت احدى الصحف عن الاجماع وحاولت أن تدس لزعامته لحساب السراى ولحساب الانجليز اكتفى سعد بأن وقف بين الشعب ثم قال لا تقرءوا هذه الجريدة ٠٠ أنا أقرأها نيابة عنكم ان كان فيها ما يستحق القراءة ٠٠ وكان فى هذا القول ما يكفى لتهوى الجريدة فلا يقرؤها أحد ويكاد الشعب لفرط كراهيته لها أن يحرق دارها ٠٠

ولم يكن عرابى ولا مصطفى كامل ولا سعد زغلول يملكون حق الأحكام العرفية ورغم ذلك استطاعوا أن يصونوا زعامتهم من الدساسين وأن يصونوا أمتهم من أعدائها وعندما أعلن سعد زغلول مقاطعة لجنة ملنر الانجليزية لم يجرؤ مصرى واحد على الاتصال بها حتى الذين سعوا اليها فى الظلام انكشف أمرهم وساء مصيرهم » ٠٠ الخ ٠٠

وطالب فى نهاية مقاله من قادة هذا العهد الذين قاسوا من الأحكام العرفية فى العهد الماضى بضرورة تدريب أنفسهم على أن يحكموا بلا أحكام عرفية تدريب شاق سيجتازون فيه تجارب عصيبة ان لم يتحملوها اليوم فلن يتحملوها أبدا !! ٠٠

وختم مقاله قائلا : « لن أتوقف عن الحاحى هذا وأرجو أن يكون لى دائما حق الالحاح وقد استجاب القادة الى كثير مما ألححت فيه لذلك فانى ألح ٠٠ وكلى أمل وكلى ثقة ٠٠ » ٠٠

قال لى الأستاذ احسان :

« كان رأيى دائما أن الأحكام العرفية والرقابة على الصحف يشوهان روعة التأييد الشعبى وروعة تأييد الأقلام مهما كان تأييدها صادرا عن صدق واخلاص بل ان مجرد اعلان الأحكام العرفية هو دائما سلاح فى يد الأعداء على الحاكم أكثر منه سلاحا فى يد الحاكم على الأعداء ٠٠ ومن هذا المنطلق كان خوفى على قادة العهد الجديد » ٠

وفى الواقع أن أستاذنا كتب مقالات عديدة قبل الثورة وبعدها مطالبا بالغاء الأحكام العرفية ٠٠ فالحرية كما نرى هى قضيته الأولى ومن الجدير بالذكر أن الأحكام العرفية لم تلغ الا عام ١٩٨٠ فى عهد الرئيس السادات ثم عادت بعد اغتياله مباشرة فى أكتوبر ١٩٨١ ٠٠

٢٠ ـ احسان ٠٠ والعدوان على السنهورى ودفاعه عن الديمقراطية النيابية

بعد اعلان النظام الجمهورى الذى سعى من أجله كاتبنا الكبير بكل شجاعة وجرأة متحديا كافة الصراعات التى ظهرت على مسرح الحياة السياسية وبالتالى اتفاقه تماما فى المبادىء مع قادة الثورة ، هل هدأ هذا القلم واستراح ؟

يقول الأستاذ احسان : « ان الطريق الى المستقبل هو رفض الواقع وعدم الاستسلام له وأنا طوال حياتى رافض للواقع السياسى والاجتماعى فى جميع مراحله ، وما أزال أرفضه حتى الآن ٠٠ !! ولن يتقدم الانسان (الى المستقبل) ما لم يرفض واقعه أولا بأول ٠٠ ولهذا ٠٠ بدأت ـ وبعد سنة من قيام ثورة ٢٣ يولية ـ أشعر بأن الطريق الذى اختارته الثورة ليس أسلم الطرق لتحقيق المبادىء التى أؤمن بها ٠٠ !! مع أن مجلس قيادة الثورة رفع ـ فى ذلك الوقت المبكر وباخلاص ـ شعار الديمقراطية ٠٠ الا أن الطريق لتحقيق هذه الديمقراطية ـ والذين فكروا فى اختياره ـ لم يكن فى رأيى أسلم الطرق ٠٠ فرحت أناقشهم فى تشكيل حزب ثورى يتزعمه جمال عبد الناصر ٠ على أن يدخل هذا الحزب المعترك السياسى مع باقى الأحزاب التى كنت واثقا من أنها ستنهزم تماما أمام الحزب الجديد الذى يملك بحكم تبنيه لفكرة الثورة ، منهجا سيربطه بالقواعد الشعبية العريضة ٠٠ وقد استدعيت لحضور اجتماع لمجلس قيادة الثورة لم يحضره

الا بعض الأعضاء عرضت فيه فكرتي بانشاء حزب يمثل الثورة وطال النقاش دون أن ننتهي الى شيء محدد ٠٠ ولكن بعد أيام فوجئت بانشاء هيئة التحرير ٠٠ ولكن هيئة التحرير ــ وهي أسلوب الحزب الواحد ــ لم تكن تعبيرا عن الطريق الذى كنت أرجو أن تسير فيه (الثورة) لتحقيق الديمقراطية ٠٠ وهنا أحسست بأن الحرية ــ قضية عمرى كله ــ معرضة للخطر ٠٠ ومهما كانت دوافع هذا الخطر بالغة الاخلاص ٠٠ !! فهو فى النهاية خطر يتهدد الحرية ٠٠ ولذا كان لزاما على أن أصنع شيئا ٠٠ وصنعت ما فى وسعى ٠٠ وشرعت قلمى لأعبر به ــ فى روز اليوسف ــ عن رأيى الذى بدا كأنه « معارضة للثورة » ٠٠ بينما هو فى حقيقة الأمر استجابة لطبيعتى التى لازمتنى دائما عندما أنفعل بالواقع بحرية ٠٠ وأعبر عنه بحرية ولا ألتزم الا بما أشعر ٠٠ وكانت الخطوة الأولى على الطريق الذى انتهى بى فيما بعد الى السجن الحربى ٠٠ معتقلا لأول مرة بعد قيام ثورة ٢٣ يولية !! » ٠٠

٠٠٠ وهكذا انتهى حال الأستاذ احسان فى تلك الفترة الحاسمة من تاريخ مصر الوطنى بعد الثورة الى السجن الحربى في الزنزانة رقم (١٩)٠٠ تصور ! ٠٠ احسان المناضل الثورى الذى اشترك فى الثورة بقلمه وجاهد الكثير فى سبيل قيامها ينتهى به المطاف نزيلا فى السجن الحربى على يد قادة الثورة الذين كانوا يوما أصدقاءه قبل قيامها ٠٠ احسان الذى طالب بالنظام الجمهورى ٠٠ والعدالة الاجتماعية متمثلة فى قانون الاصلاح الزراعى ٠٠ انه لشيء حزين على النفس حقا !! ٠٠ ولكن هل كان دخوله للسجن على يد هؤلاء الثوار نقطة تحول فى حياته الثورية بحيث غير هذه المبادىء الثورية ووقف عدوا معاديا للثورة ؟ ٠٠ أم أن الثورة نفسها قد حادت عن الطريق الصحيح ؟ ٠٠

يعلق الأستاذ احسان على هذه الفترة من حياته قائلا :

« أنا انسان أؤمن بضرورة الحركة ، وأكفر بالجمود لأنه قرين الموت ومقدمة طبيعية له ٠٠ والثورة قمة الحركة الدافعة انطلاقا لصنع مستقبل جديد على أنقاض واقع تجمد ٠٠ وأنا نصير المستقبل ، وعدو الاستسلام للواقع وخاصة اذا كان عقلنا كما كان الحال قبيل تفجر الثورة ٠٠ فمن السذاجة أن أرجع بأسباب سجنى ــ بعد الثورة ــ الى عامل واحد ٠٠ انما هى مجموعة أسباب ، توازت أو تقاطعت على فترات متلاحقة لتشكل فى النهاية صورة قاتمة ٠٠كان من الطبيعى أن يستضيفنى بعدها عبدالناصر فى السجن الحربى ! ٠٠ وكان أول خط قاتم فى الصفحة النقية ،

ذلك اليوم الكريم ·· الذى سمعت فيه بنبأ الاعتداء على واحد من أعلام القانون فى العالم العربى كله ، ومفخرة مصر فى الفقه المدنى والادارى ، الذى استحق عن جدارة لقب « أبو القانون المدنى المصرى » ··

« تصورى عبد الرازق السنهورى يعتدى عليه بالضرب ·· ؟! وأين ·· ؟! فى مكتبه بأول حصن حقيقى للحرية فى مصر ـ ما قبل الثورة ـ السنهورى الذى كافح كفاح الأبطال الحقيقيين حتى انتزع من أنياب نظام الحكم الفاسد ـ قبل ثورة يوليو ـ الموافقة على انشاء مجلس الدولة ليكون حصن أمان حقيقى يحمى المواطن من جبروت القرارات الادارية التى كان يصدرها نظام حكم عات لا يرحم ·· ولا يكتفى العالم الحر باستصدار قانون مجلس الدولة كشكل ، بل يجاهد فى معارك ضارية لكى يحول هذا الشكل الى واقع عملى يكبح جماح الحكومة ويوقف طغيانها عند حد ـ ان لم يكن قضى على هذا الطغيان·· تصورى السنهورى هذا ، الذى كان من الواجب أن تقيم له حكومة الثورة تمثالا . كحارس أمين لحرية المواطن فى وجه حكومات لم تكن تعرف المعنى الحقيقى للحرية · هذا الرجل توجه ضده مظاهرة مدبرة لتهاجمه فى مكتبه ـ كرئيس لمجلس الدولة ـ وتكافئه وهو فى سن الشيخوخة ـ بالضرب ، كأبشع مكافأة على أحسن صنيع ·· ! والسبب ·· ؟! أنه وقف بجانب الحرية !!

« ·· وبالطبع ثرت بعنف احتجاجا على ضرب د· السنهورى وذهبت الى زيارته فى بيته ، ولم يعجب هذا بعض خصومى ، فأوقعوا بينى وبين كبار رجال الثورة ·· ؟ وقد لا يعرف الكثيرون أن صلة وثيقة كانت تجمع بين المرحوم ، الرئيس جمال عبد الناصر وأحمد أبو الفتح ، وأن هذه الصلة توطدت لتتحول الى صداقة بين الاثنين ·· وكان عبد الناصر يسهر فى صحيفة «المصرى» بمكتب أحمد أبو الفتح··وكنت شخصيا سعيدا بهذه العلاقة بينهما ، فكلاهما صديقى ، وكلاهما يؤمن بهدف واحد ، وان اختلفت تفاصيل الوصول الى هذا الهدف··فقد كان أحمد أبو الفتح يؤمن بالحرية بمعناها الديمقراطى الحزبى ، ويرى ضرورة وجود الأحزاب النظيفة ، وكان يعجبنى فيه حماسه الذى دفعه الى احتضان ما كان يسمى « بالجناح اليسارى » فى حزب الوفد ·· وعندما وقع الخلاف مع أبو الفتح ـ حول موضوع بقاء الأحزاب أو الغائها ـ وانتهى الأمر باغلاق جريدة المصرى حسب خصومى ـ ضدى ـ اننى صديق لأحمد أبو الفتح ، واستطاعوا ببراعة شيطانية أن يحولوا تلك الصداقة الى تهمة تضاف الى صحيفة سوابقى التى كانت آخذة فى التضخم دون أن أدرى ·· ولك أن تتصورى

مدى المرارة ، بل مدى الرعب الذى أصابنى ، عندما أحسست بأننى أعايش مرحلة من مراحل السياسة المصرية ، تتحول فيها الصداقة – مجرد الصداقة – لانسان ما ، أيا كان هذا الانسان الى تهمة تحسب على المرء دون أن يدرى ليؤخذ بجريرتها عندما تحين ساعته ·· ! » ··

وعن العوامل المتراكمة التى أدت الى الزج به فى السجن الحربى فى ١٩٥٤/٤/٢٨ يقول :

« لقد أسعدنى التطور الطبيعى الذى سارت فيه الأمور بالاتجاه السليم نحو تحقيق الديمقراطية البرلمانية بالبيان التاريخى الذى أعلنه اللواء محمد نجيب بعد تسوية الخلاف بينه وبين جمال عبد الناصر ·· ذلك البيان الذى سجل فيه (محمد نجيب) انتصار الرأى المنادى بالديمقراطية القائمة على تنافس الأحزاب ، باعتبارها الشكل الذى يرتضيه الشعب المصرى لحكومته القادمة فى الطريق !! كما أعلن « محمد نجيب » انه تقرر تشكيل « لجنة لوضع الدستور » الذى سيعرض على « جمعية تأسيسية » تحل بمجرد قيامها محل « مجلس قيادة الثورة » الذى يحل فورا بمجرد مباشرة هذه الجمعية التأسيسية لعملها النيابى ··

« كنت مؤمنا بأن الثورة حتى ذلك التاريخ – على الأقل – لم تكن ثورة تشريعية ، بل كانت ثورة تنفيذية ·· والثورات التنفيذية التى تريد لنفسها الاحتفاظ بمبرر قيامها وبقائها ، يتحتم عليها أن تحافظ على النظريات التشريعية التى ارتضتها الأغلبية الساحقة من الشعب الذى قامت الثورة من أجله وباسمه ·· فثورة ٢٣ يولية كانت ذات طبيعة تنفيذية بحتة لحظة قيامها ·· فقد قامت كحلقة متممة لسلسلة ثورات شعبية سبقتها ، وهدفها جميعا هو القضاء على الفساد واقتلاع جذوره ·· ثم تترك الحرية للمشرعين ليسيروا فى أمان الله ·· ولتتضارب آراؤهم بعضها ببعض فى ظل نظام برلمانى مكين ·· وقد ظن بعض السذج أن الثورة تستطيع أن « نشرع » اتجاها جديدا لم تشهده مصر ، ولم يكن هدفا من أهداف الشعب !! ·· ولو أننى أردت تلخيص أهداف هذه الثورة التى هى نفسها أهداف ما سبقتها من ثورات فى كلمة واحدة لكانت تلك الكلمة هى ·· الاصلاح !!

كتب الأستاذ احسان مقالا جريئا في روز اليوسف يقول فيه :

« كل ما تم في هذا العهد كان يمكن ، لولا عجز الشعب فى ثورانه السابقة،ولولا خيانة بعض الزعماء ، أن يتماشى مع مبادىء العهد الماضى.. فالغاء الرتب طالب به صدقي باشا في البرلمان .. وتحديد الملكية الزراعية . طالب به محمد خطاب - وهو سعدى - وطالب به ابراهيم شكرى - وهو اشتراكي - في البرلمان . وقد تم هذا التحديد في الهند وايطاليا دون حاجة الى ثورة .. والتطهير كله ، شرع فيه نجيب الهلالى ووضع له قانون « الغدر » الذى طبق فى هذا العهد ، كما حاولته كل حكومة عادت الوفد .. !!

« والأحزاب الممثلة في وزارات العهد الجديد - عهد الثورة - عام ١٩٥٤ ، كانت ممثلة في وزارات العهد الماضى .. فالحزب الوطنى الذى يمثله - أيامها - فتحى رضوان - ونورالدين طراف،كان يمثله زهير جرانة في العهد الماضى .. وجمعية الفلاح التى مثلت فى هذا العهد بستة وزراء . في يوم من الأيام . كانت ممثلة برئيسها الدكتور أحمد حسين فى العهد الماضى .. ومعظم المستشارين والموجهين الذين يتعاونون مع هذا العهد ، كانوا يتعاونون مع العهد الماضى ، ولم يشعروا أنهم فى حاجة الى تغيير شيء من مبادئهم أو من منطقهم .. حتى الاجراءات العنيفة التى اتخذت فى سبيل الاصلاح ، اتخذ مثلها في العهود السابقة ! محمد محمود أعلن وقف الدستور لمدة ثلاث سنوات ، وكانت حجته الاصلاح !! ... وصدقى كتب دستورا جديدا ، وكانت حجته أيضا الاصلاح .. !! وحل الاخوان المسلمين ، حاولته كل الحكومات في سبيل الاستقرار .. !! .. والأحكام العرفية والرقابة على الصحف ، اشتركت الأحزاب كلها فى فرضها على البلاد وكانت حجتها واحدة لا تتغير .. حماية الدولة والاصلاح !! » ..

ولكن ماذا حدث حتى يستمر احسان عبد القدوس في مهاجمة الثورة رغم اعلانها - صراحة - ما كان يناضل من أجله دائما قبل الثورة ؟ ..

يقول الأستاذ احسان :

« كنت خائفا من احتمال تحول الثورة عن خطها الديموقراطى الذى ارتضاه الشعب ، وكان أخوف ما أخافه على الثورة وقادتها ، أن ينجح أعداء الحرية فى تزيين فكرة الديكتاتورية العسكرية بكل اغراءاتها . للثوار الشبان ..

ولهذا سارعت بمهاجمة الديكتاتورية العسكرية بروز اليوسف في مقال عنيف قلت فيه بالحرف : « لماذا لا تستطيع هذه الثورة اذا شاءت ، ان تفرض على الشعب نوعا من الديكتاتورية العسكرية ، وهي تملك قوة الجيش وقوة البوليس ، وتستطيع بهما أن تفرض على الشعب ما تشاء ؟! مستحيل !! ·· ألف مرة مستحيل ·· !! فهل تقوم ديكتاتورية عسكرية في اى ناحية من العالم الا مستندة على واحد من اثنين : اما رأسمالية ضخمة قوية ·· أو دولة أجنبية··!!··قام هتلر مستندا على الرأسمالية البريطانية والأمريكية ليقف في وجه الشيوعية ·· وقام فرانكو مستندا على دولة أجنبية ـ هي ألمانيا ـ ولما سقطت ألمانيا ، اضطر الى الاستناد على أمريكا ·· وقام موسوليني مستندا على الطبقة الرأسمالية الداخلية ·· ثم استند على ألمانيا ، وجميع الديكتاتوريات في أمريكا الجنوبية تستند على تأييد الولايات المتحدة ·· وتسقط عندما تتخلى عنها ·· !! » ··

« كنت أريد فعلا أن أقطع الطريق على من تسول له نفسه التفكير في الديكتاتورية العسكرية كشكل للحكم في مصر ، بعد أن أعلنت ثورة ٢٣ يوليو ، انها وفاء منها لعهدها مع الشعب ، ستفتح الباب للحرية على مصراعيه ليختار الشعب طريقه بنفسه ، دون وصاية عليه من أحـد ·· ولهذا قلت ، في نفس المقال الذى أعتبره الآن واحدا من ألغام ثلاثة انفجرت تباعا على شكل تعادلات ، قذف بي انفجارها الى قاع السجن الحربي ·· وأذكر الآن أنني قلت بالحرف الواحد : « لن أفيض في شرح الأسس التي يستند اليها نظام الديكتاتورية العسكرية ، ويكفي أن أضرب مثلا بتاجر الرقيق ، فهو لا يستطيع أن يستمر في تجارته الا اذا وجـــد مشتريا أجنبيا ، والا اذا وجد رأسمالا كافيا لاطعام الرقيق ، حتى لا يموتوا من الجـوع ، أو يضعفوا فلا يجنى من ورائهم ربحا ·· وكذلك الديكتاتور العسكرى ·· فهو في حاجة الى من يشترى منه الشعب ، وفي حاجة الى رأسمال يطعم به هذا الشعب ، ويرضى الجيش الذى يسنده ·· وقادة ثورة الجيش ليسوا من هذا النوع ·· واني أعرفهم جيدا وأعرف أن ليس بينهم واحد الا ويعادى كل القوى الأجنبية التي يمكن أن تتعامل مع تجار الرقيق ·· لهذا لا يمكن أن تتجه الثورة الى اقامة ديكتاتورية عسكرية ، لا يمكن ·· انها لا تستطيع ·· وكل من حاول أن يحاول توجيه الثورة الى هـذا الاتجـــاه ·· غبى لا يفهم ·· ولن تنتهى محـــاولته الا الى كارثة ·· !! » ··

« ولذلك اتجهت فى كتابة مقالاتى السياسية فى روز اليوسف فى تلك الفترة الى تأييد رأيى هذا ٠٠ » ٠٠

وتدعيما لموقفه هذا نجده ينشر فى روز اليوسف فى عددها رقم ١٣٤٤ تصريحا لقائد الثورة ورئيس الجمهورية فى ذلك الوقت اللواء محمد نجيب قال فيه :

« ان الحياة النيابية الصحيحة للشعب المصرى تكون بواسطة انتخابات صحيحة للجمعية التأسيسية التى ستشرف على وضع الدستور الجديد فى أقرب وقت ٠٠ وعلى أن تراقب هذه الجمعية ـ المنتخبة انتخابا صحيحا ـ أعمال الحكومة فى نفس الوقت ٠٠ حتى يتم وضع الدستور الجديد ، الذى يبنى نظام الحكم النيابى الصحيح لمصر ٠٠ » ٠٠

ويضيف اللواء محمد نجيب :

« ان أنسب الطرق لانتخاب رئيس الجمهورية ٠٠ هو أن ما تقرره لجنة الدستور ، وتوافق عليه الجمعية التأسيسية ـ المنتخبة انتخابا صحيحا ـ هو الرأى الذى يجب أن يأخذ به الجميع ٠٠ وانتخاب رئيس الجمهورية المصرية لا يختلف عن باقى مواد الدستور الأخرى التى ستضعها اللجان المتخصصة ، ويوافق عليها الشعب كله ممثلا فى الجمعية التأسيسية ٠٠ وانني أرحب كل الترحيب بأى نظام لانتخاب رئيس الجمهورية ، لأننى سبق أن قلت ان كل فرد فى الشعب المصرى يجب أن يشعر بأن من حقه أن يلى كل مناصب الدولة حتى منصب رئيس الجمهورية ما دام كفؤا لذلك ٠٠ » ٠٠

يعلق الأستاذ احسان على هذه المقالات قائلا :

« كنت وصلت الى نقطة اللاعودة فى دفاعى عن الحرية الوليدة ، التى أراها مهددة ـ وهى لا تزال مجرد قرار لم ينفذ بعد ـ وكانت المسألة بالنسبة لى حياة أو موت ٠٠ وكنت أشعر بحاستى السياسية التى تربت عندى طول المعاناة فى بحر السياسة المصرية الصاخب الموج ـ قبل الثورة وبعدها ـ أن ثورة ٢٣ يولية تقف فى مفترق الطرق ٠٠ وعلى كل مخلص للحرية الحقة أن يبادر الى تقديم النصح خالصا لوجه الله والشعب ٠٠ والحرية ٠٠ ولهذا تقدمت للدفاع عن الحرية ـ كما أومن بها ٠٠ لا أبتغى مصلحة خاصة ٠٠ بل لعلى كنت أدوس مصالحى الفردية التى كانت تنادينى باغماض عينى عن المعنى الحقيقى المستتر وراء بعض الاتجاهات !! ولم أر

فى تصرفى وقتها بطولة ، بل هو مجرد قيام بواجب حتمى من انسـان يؤمن بأن واجبه الدفاع عن الحرية ... وقطع الطريق على كل محاولة لاغتيالها ، مهما كان خصم الحرية قريبا لنفسى كفرد .. ولهذا نشرت فى نفس العدد ثلاثة أخبار بسيطة فى عبارتها ولكنها من حيث المضمون ، تكمل الدائرة التى أردت بها محاصرة الاتجاه المعادى للحرية ، الذى كان قد بدأ يترنح فى ذلك الوقت تحت الضغط الجمـاهيرى المؤيد للاتجـاه المناصر للديمقراطية داخل مجلس الثورة » ..

... وهكذا أعلن اللواء محمـد نجيب عن قيـام جمعية تأسيسية منتخبة تقر الدستور الجديد تمهيدا لعودة الديمقراطية البرلمانية بعـد سلسلة من الصراعات الطـويلة بين أنصـار الديمقراطيـة الحزبيـة وخصومها .. ذلك الصراع الذى انتهى بالصلح بين اللواء محمد نجيب وأنصاره وبين الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ومؤيديه ..

٢١ ـ احسان يكتب :
الجمعية السرية التى تحكم مصر

قال لى الأستاذ احسان :

« أصدر بالفعل اللواء محمد نجيب بيانه المشهور الذى أعلن فيه عن قيام جمعية تأسيسية منتخبة ‥ ولكن بعد أن كانت بذرة الشر قد زرعت فعلا فى حياتنا السياسية ‥ وتمثلت البداية فى « العيون » التى بثها كل من الفريقين حول الآخر ‥ ! ماذا أقصد على وجه التحديد ‥ ؟! أن محمد نجيب عاد لرئاسة الجمهورية بعد اتمام الصلح ‥ ولكن لم ينس أنه اضطر للتنحى تحت ضغوط معارضيه وقوتهم ‥ وهى قوة لا تزال قائمة ومؤثرة وقادرة على ممارسة ضغطها فى أى وقت !! وخصوم فكرة الحرية بمعناها الديمقراطى ، لم ينسوا أنهم اضطروا تحت تأثير الضغط الشعبى الى التراجع عن فكرة « الحكومة القوية غير الحزبية التى تحمى الثورة وتصونها للشعب » ‥ !! ‥ ومعنى هذا أن كلا الفريقين كان يتربص بالآخر فى الخفاء ، ويعد العدة ـ فى صمت ـ للخلاص من صاحبه ‥ وهذا الصراع السفلى ، يقتضى بالضرورة نوعا معينا من الحرب ، يسمى فى الاستراتيجية الحديثة « بالحرب السرية » أى « حرب المخابرات » « والمكاتب الخاصة » القادرة على « جمع المعلومات » عن الخصوم والمعارضين ‥ ومنذ ذلك التاريخ كانت البداية المتواضعة التى نمت وتضخمت ، حتى أدت الى ظهور قوة عاتية وصل بها تضخم الاحساس بالذات الى تشكيل أكبر مركز للقوى شهدته مصر فى تاريخها الحديث وشهدت سقوطه فى الخامس عشر من مايو عام ١٩٧١ ‥ ! » ‥

« لم يكن هناك فى الواقع مجال للاختيار ٠٠ !! ٠٠ فاما أن أكون ــ كما عشت دائما ــ مع الحرية ، أو ضدها ٠٠ !! ٠٠ ولقد وجدت نفسى يومها مسوقا الى اختيار جبرى ــ ان صح التعبير ــ فانحزت الى جانب الحرية ، بصرف النظر عمن يقفون فى صفها ٠٠ ورغم أن الألم كان يعتصرنى كفرد ، لأن هذا الاختيار « الجبرى » جعلنى أتخلى عن صداقة من صادقته لسنوات عديدة فى مرحلة الاعداد للثورة ٠٠ الا أن الموقف فى مارس ١٩٥٤ كان عندى فوق الصداقة والعلاقات الخاصة ، لأنه كان يمس الحرية التى أحسست انها مهددة بموت لا حياة لها بعده ٠٠ الا بعد سنوات يعلم الله وحده مداها ، لو قدر لخصوم الحرية أن ينتصروا ٠٠ ومن هنا ٠٠ كانت شراستى فى الدفاع عن الحرية ، الذى كان يمثل فى نظرى دفاعا عن الثورة ذاتها ٠٠ تلك الثورة التى رحبنا جميعا بها ، باعتبارها منطلق سيادة الشعب كله ، لا منطلق سيادة فرد بعينه مهما كان حبنا لهــذا الفرد أو ثقتنا فيه ، لأنه فى النهاية « فرد » ٠٠٠ والحاكم الفرد ــ مهما بلغ تجرده ــ بذرة بالغة الخطر ، وسريعة النمو ٠٠ لديكتاتور طاغية !! ٠٠ واتجهت فى تلك الفترة الى تأييد رأيى هذا بمجموعة من المقالات السياسية أنشرها فى مجلة روز اليوسف ٠٠

فى العــدد رقم ١٣٤٥ نشر فى روز اليوسف تحت عنــوان : « **أعداء الشعب** » كلمة تقول : هذا السخف ٠٠ أو هذا العبث الصبيانى الذى حدث فى الجامعة ، المحطة ، وكلوب محمد على ٠٠ عبث سخيف ومؤامرة مفضوحة ، من أعداء الشعب ٠٠ لمصلحة من يحدث هذا ٠٠ ؟! لقد أجمع الشعب ، طلبته وعماله وأساتذة الجامعة والمحامون والصحفيون ورجال الجيش ٠٠ الشعب كله أجمع فى اصرار على المطالبة بحرياته واعادة الحياة النيابية ٠٠ وانفجار القنابل فى هذا الوقت بالذات وفى القاهرة لن يكون الا من أعداء الحرية وأعداء الحياة النيابية وأعداء الشعب ٠٠ !! » ٠٠

وعلى الصفحة المقابلة لتلك الكلمة نشر حديث خطير للصاغ صلاح سالم عضو مجلس قيادة الثورة اذ ذاك ٠٠ يقول فيه :

« اننا لو كنا نهدف الى التلكؤ فى عودة الحرية والديمقراطية ، أو نهدف الى التحلل مما أعلنا عنه ــ يقصد القرار الذى أعلنه اللواء محمد نجيب بتشكيل جمعية تأسيسية منتخبة تحل محل مجلس الثورة ــ لو كنا نهدف الى هذا كان من السهل علينا جدا أن نخلق جوا من القلق أو التوتر أو الاضطراب ٠٠ نرى فيه أكثر من مبرر قوى لابقاء الأوضاع الحالية ٠٠ كان من السهل علينا فعلا أن نسمح بقيام المظاهرات ٠٠ كل

مظـاهرة تنتصر لرأى أو تخـالف فكرة ·· ثم تصطدم الآراء وتصطدم المظاهرات ، ويصطدم الناس بعضهم ببعض فى الطرقات ·· ثم يتدخل البوليس ·· ويتدخل الجيش لاعادة الأمن ·· وتسيل الدماء ·· وفى مثل هذه المواقف ـ مواقف القلق والتوتر والاضطراب ـ نجد ألف دليل مقنع وألف مبرر قوى لابقاء الأوضاع الراهنة على ما هى عليه !! » ··

··· وكان أخطر مقـال له بعد الثورة نشره فى روز اليوسف تحت عنوان « **الجمعية السرية التى تحكم مصر** » دعا فيه مجلس الثورة الى التخلى عن أسـلوب « الجمعيـات السرية » بعد أن تحولوا الى حكام مسئولين أمام الشعب ومن حق الشعب أن يحاسبهم على ما يتخذون من قرارات تمس مصـيره وتؤثر على مستقبله ، لأن أسلوب « الجمعيـات السرية » التى تعد للثورة ، لا يصلح أسلوبا لحكام يقودون الثـورة بعد نجاحها ··

يقول الأستاذ احسان :

« لم تكن لغة المقال فى ذاتها كافية لادانتى فى نظر خصومى ·· ولكن مدلول المقال كمؤشر لعدائى وموقفى الصارم ضد خصوم الحرية ، وضد ما شرعوا فى تنفيذه من مخطط قاس ، هو الذى أثارهم ضدى ·· ولهذا بادرت فى عدد (٢٩ مارس) الى كتابة مقال لم أتردد فى أن أطالب فيه صراحة بضرورة خروج جمال عبد الناصر وزملائه من قادة الثورة من الجيش ، قبـل عـودة الحيـاة النيابية المرتقبة كضمان لحيـاة سياسية مستقرة » ··

وكان من أجرأ ما قاله فى هذا المقال وسبب غضب قادة الثورة منه ، الجزء التالى :

« ··· وجمال عبد الناصر ، وقادة الثورة ·· يعلمون أكثر منى بالمنشورات التى تصدر هذه الأيام ، ويعلمون من أين تصـدر وماذا وراءها ·· وهم يعلمون أكثر منى بما يقال وما يتردد هنا وهناك وما قد يعقب كل ذلك من محاولات ·· ولن أناشد جمال فهو ليس فى حاجة الى من يناشده ، ولكن أريد أن يعترف بالأمر الواقع ويعلم أنه فعلا رئيس الحزب ·· له جريدة كبرى وله هيئة تستطيع أن تدبر المظاهرات وتوزع المنشورات وتلقى القنابل ·· وهو المسئول عن هذا الحزب وعن تصرفاته سواء اعترف بهذه المسئولية أم لم يعترف !!

« وأريده أن يضرب مثلا جديدا فى الجهاد بالخروج بجمعيته الى صفوف الشعب ليكافح كزعيم من زعماء الشعب ٠٠٠ انى واثق به وبوطنيته لأنى أخاف على مصر وعليه ان لم أثق به ٠٠ !! » ٠٠

٠٠وهكذا استمر الأستاذ احسان فى نضاله الدائب بالكلمة الحرة من أجل تحقيق الديمقراطية النيابية التى ظل يحلم بها سنوات طويلة ٠٠ الى أن اتهمه أعداؤه بأنه يدعو الى تصفية الثورة وبالتالى أوقعوا بينه وبين قادتها الذين كانوا يوما من الأيام أصدقاء له وزملاء فى الكفاح الثورى ٠٠

٠٠ويعلق الأستاذ احسان على ذلك قائلا : « فى الواقع اننى كنت أحاول فى تلك الأيام أن أقنع القادة بضرورة الوصول الى وضع طبيعى من أوضاع الحكم ، واقترحت ـ كخطوة أولى ـ انشاء حزب يمثل الثورة ويضم المدنيين فقط من أبناء الشعب ، واذا أراد أحد من القادة أو الضباط أن ينضم اليه فيجب أن يستقيل من الجيش أولا : ٠٠٠

ولست مسئولا عما صوره أعدائى من وراء ظهرى ٠٠ لأننى كنت واضحا مع القادة الذين شرحت لهم اقتراحى فى جلسات طويلة متعددة ، وكنت أعتقد أن تكوين هذا الحزب سينقل الثورة من ثورة عسكرية الى ثورة شعبية ، وسينقل مجلس الثورة الى مجلس ادارة للحزب كبقية المجالس الادارية فى بقية الأحزاب ٠٠ وأن مجرد وجوده سيؤدى الى اجراء انتخابات ووضع الحكم فى وضعه الطبيعى ٠٠

« واعتقدت انى أقنعت القادة « كلهم » ٠٠ ووصلنا الى حد تقرر بالاجماع أن يستقيل جمال عبد الناصر من الجيش ، ليتفرغ لتكوين الحزب « الثورى الجديد » ثم ٠٠ ينضم اليه القادة بعد ذلك !!

« ولم تمض الا أسابيع ، واذا بى أفاجأ بتكوين هيئة التحرير ٠٠ واذا بدارها هى ثكنات الحرس ٠٠ واذا بالجند المدجج بالسلاح يقف على أبوابها ٠٠ واذا برؤسائها كلهم ضباط وخطبائها كلهم ضباط ٠٠

٠٠٠ وهكذا تم انشاء هيئة التحرير وتلى ذلك على الفور القرار التاريخى المعروف بقرار حل الأحزاب !! ٠٠

قال لى أستاذنا :

« أحب أن أقول لك انى فى تلك الفترة لم أكن منحازا الى محمد نجيب أو الى جمال عبد الناصر بل كنت منحازا فقط الى آرائى ٠٠ والاثنان

محمد نجيب وعبد الناصر كل منهما كان لا يوافق على آرائي ، وأذكر أن مجلة روز اليوسف كانت أول صحيفة تنشر اسم عبد الناصر وتصفه بأنه الرجل الثاني بعد محمد نجيب ٠٠ وقد نشرت هذا الخبر باتفاق مع جمال عبد الناصر ولكن محمد نجيب ثار وغضب وقال فى احدى خطبه انه سيحكم على بالاعدام فقد كان لم يقرر أن يكون عبد الناصر هو الرجل الثانى ٠٠ ولم ينفذ محمد نجيب تهديده باعدامى ولكن جمال عبد الناصر أدخلنى بعدها السجن الحربى ٠٠ ولو أنه عاد واعتذر لى ٠٠

٢٢ ـ احسان فى السجن الحربى

ان قادة الثورة لم يدروا آنهم بحل الأحزاب ـ القائمة وقتهـا ـ قد حلوا أيضا هيئة التحرير ٠٠ لأنه لا يمكن أن يقوم حزب ـ بالشكل العلمى للحزب ـ الا فى اطار معركة مع غيره من الأحزاب الأخرى ٠٠ ولأنه لا يمكن أن يقوم حزب بالقوة وفرضا على الناس ٠٠

يقول الأستاذ احسان : « كنت فى دفاعى المصيرى عن الحرية صريحا الى أبعد مدى مع جمال عبد الناصر ٠٠ ولقد قلت له يومها : ان تكوين حزب يضم قادة الثورة لا يعنى بالضرورة أن يفوز رجال الثورة بالأغلبية ٠٠ ان الطبيعى أن يفوزوا بالأقلية ، ومن الأفضل لهم كحزب أن يبدءوا كأقلية برلمانية ٠٠ وقلت لجمال عبد الناصر أيضا : ان الناس لم تعرفه حتى الآن ـ عام ١٩٥٤ ـ الا كضابط وكحاكم وصاحب سلطان !! ومن حق الناس عليه ، ومن حقه على الناس أن يعرفوه كصاحب فكرة شعبية يدعو لها بين صفوف الشعب ٠٠ وهم لن يعرفوه ولن يعرفهم بنفســه الا اذا خرج من الحكم ومن الجيش ومثل المعارضة فى مقاعد البرلمان ٠٠٠ الى أن يتقدم فى الانتخابات التالية فيفوز فيها حتما بالأغلبية ، كما يحدث فى جميع الشعوب وفى جميع البرلمانات ٠٠٠ ثم ٠٠ أن قوة الوفد ليست فى رجاله ٠٠ بل قوته فى الفكرة الشعبية التى يمثلها والتى لم يستطع أحد أو حزب آخر أن ينزعها منه ٠٠ وهــذه الفكرة الشــعبية ـ لن تنتزع من الوفد بالقوة ولا بحله ـ كما فعلت الثورة ـ بل بمعركة شعبية كتلك

التي خاضها سعد زغلول وانتزع فيهـــا الفكرة الشعبية من الحـــزب الوطني ٠٠

« لقد احسست يومها أنني سرت في الشوط الى حيث لا مجال للتراجع ــ الذى لم أفكر فيه لحظة ــ ولهذا تابعت كلامي قائلا لجمـــال عبد الناصر : ان الثورة قد أخطأت في موقفها من الوفد ٠٠ اذ وقفت منه نفس الموقف الذى وقفته منه أحزاب الأقلية قبل الثورة ، مع فارق واحد هو أن أحزاب الأقلية كانت تعتمد في محاربتها للوفد على قوة الملك وأن الثورة فى محاربتها للوفد اعتمادا على قوة الجيش جعلت العواطف الشعبية تتجه ناحيـــة الوفد لتؤيده ٠٠ واستغلها الوفد كعادته ليستعيد بهـــا قوته !! » ٠٠

٠٠٠ وهكذا استمر الأستاذ احسان فى دفاعه الحر عن الديمقراطية النيابية ٠٠ وفى الوقت نفسه تصاعدت حملات الكراهية والحقد من قبل خصـــومه والاستمرار في الوقيعة بينه وبين قادة الثورة بادعائهم بأنه يهدف من آرائه الحرة هذه الى تصفية الثورة !!

ويعلق الأستاذ احسان على ذلك قائلا :

« اذا كنت قد طالبت ــ بما أسماه خصومى ــ انهاء الثورة ٠٠ فلست مبالغا و لامتطرفا ٠٠ بل لعلى أقرب الى الثـــورية العلميـــة ممن تظاهروا كذبا بالحرص على الثورة ٠٠ لأنه لا يوجد بلد يستطيع أن يعيش فى ظل نظام ثورى الى الأبد !! ٠٠ ولا حتى عام أو عامين ٠٠ انما الثورة تقوم لتقضى على نظام فاسد ، وتضع نظاما آخر بدلا منه ٠٠ وفورا ٠٠ نظاما آخر طبيعيا تستقر عليه البلاد ويحقق الأهداف التى قامت من أجلها الثورة ٠٠ فاذا حدث هذا ٠٠ تحقق الاستقرار ، وتوفرت الثقـــة بين الحاكم والمحكوم ٠٠ » ٠٠

٠٠٠ وتمر الأحـــداث ويتخذ مجلس قيادة الثورة قرارا بحـــل المجلس وعودة قادة الثورة الى مناصبهم فى الجيش ٠٠

وهنا نجد الأستاذ احسان يقف موقفا غريبا من ذلك القرار فيعلن رفضه لحل مجلس قيادة الثورة كمـــا أعلن رفضه أيضا لانسحاب قادة الثورة على الرغم من مطالبته المستمرة قبل اتخاذ ذلك القرار بعودة الحياة النيابية الحرة فى البلاد سواء فى مقالاته الحرة أو في مواقفه المتعددة مع قادة الثورة ٠٠ وربما يتبادر للذهن عن ثمة تناقض يقع فيه كاتبنا ولكنه يبعد هذا الشك قائلا :

« ليس فى الأمر تناقض أبدا ·· ولقد أعلنت رأيي وقتها صراحة فى مقال « الجمعية السرية التى تحكم مصر » ·· وقلت فيه بالحرف الواحد : مهما كانت الاعتراضات على تكوين حزب يضم أعضاء مجلس قيادة الثورة ومن حولهم من الضباط . فانها كلها اعتراضات لا تبرر عودتهم الى الجيش ·· ولن يكسب من عودتهم أحد ·· لا هم ·· ولا الجيش ·· ولا مصر ·· !!

يعتبر الأستاذ احسان عبد القدوس عام ١٩٥٤ من أخطر أعوام حياته ·· فما أبعاد وأهمية هذا العام فى حياة كاتبنا ؟

يقول :

« اننى صحوت فى هذا العام على حقائق مفزعة لم أكن أتصور مجرد تصور احتمال حدوثها ــ كما أنه من أخطر أعوام الثورة التى عشت مع غيرى من الكتاب المتمردين نحلم بها ، ونشارك فى الاعداد لها والتمهيد لقدمها بأقلامنا وبتحركنا العملى كل بما تيسر له من جهد المشاركة ·· لم أنس هذا··ولكننى لم أنس أيضا ، أن تاريخ الشعوب ليس «حدوتة» تروى كحكاية الشاطر حسن ! ·· لأن تاريخ الشعوب ، فى بدء الأمر ونهايته ، أسباب ومقدمات ، تؤدى جميعها بالضرورة الى مسببات حتمية ونتائج لازمة ولا سبيل للهروب منها أو تعديلها ، وكل من يحاول ــ فى مجال حياة الشعوب وتاريخها ــ تفادى نتائج لم يتفاد ولم يمنع مقدماتها ·· انسان هازل ·· يريد أن يفرض أحلام نومه على يقظة الحياة وواقعها المادى الثابت الموجود !! » ··

ولكن ما هو السبب الرئيسى الذى من أجله دخل احسان السجن الحربى ؟

يقول الأستاذ احسان ·

« السبب الحقيقى الذى يكمن وراء نزولى ضيفا على سجن الثورة التى عشت أحلم بها ، هو المعركة التى قامت بين اللواء محمد نجيب والمرحوم جمال عبد الناصر ــ وما كان يمثله كلاهما من اتجاه فكرى نحو المنطلقات السياسية للثورة ــ تلك المعركة التى وجدت وقودها غير الأمين ، فى « الأنصار والأعوان » الذين انحازوا لكل من قطبى الصراع ، وخاصة بعد أن أعلن اللواء محمد نجيب القرار التاريخى بحتمية عودة

الحياة الديمقراطية الصحيحة القائمة على انتخاب جمعية تأسيسية انتخابا حرا ، تحل ـ بعده ـ محل مجلس قيادة الثورة ·· ! » ··

··· وهنا توقف الأستاذ احسان فجأة وقال لى وهو يضحك : « أتصدقين أنه فى العام الاول لثورة ٢٣ يولية ، أعددت قصة سينمائية تسجل دور الضباط الأحرار فى مسئولية الثورة ·· وتم تصوير الفيلم فعلا ·· ثم ·· بدأت المشاكل ·· والمشاكل تبدأ دائما بين القيادات : قيادة تطالب بأن تسجل شخصية محمد نجيب كبطل للثورة ، وقيادة ترفض الاعتراف أو تسجيل شخصية محمد نجيب ·· ومضت للآن سنوات دون أن يعرض الفيلم ·· !!

« وكنت يوما ـ بعد هذه السنوات الثلاث ـ فى لقاء مع جمال عبد الناصر فى مقره بالقناطر الخيرية ، وجاء ذكر هذا الفيلم ·· وفوجئت به يقول لى : انه سمع أنى صورت أم البطل كامرأة معدمة ، تعمل غسالة فى البيوت ·· ولم يكن هذا صحيحا ·· !!

« وفى اليوم التالى طلب عبد الناصر عرض الفيلم عرضا خاصا فى بيته بالقناطر الخيرية وكنت معه·وبعد أن شاهده هنأنى كواحد من الذين اسهموا فيه ·· وكان من نتيجة ما سمعه عبد الناصر أن تعطل عرض الفيلم ثلاث سنوات ·· ومنذ ذلك الحين ، وأنا أتساءل وأحاول أن أكتشف كيف ـ كانت ـ تصل المعلومات الى عبد الناصر ؟ ·· وكيف يصدر أحكامه ؟ ·· » ··

٢٣ ـ احسان فى الزنزانة رقم « ١٩ »

دخل الأستاذ احسان السجن الحربى فى المدة من ٢٨/٤/١٩٥٤ الى ٣١/٧/١٩٥٤ أى لمدة ٩٥ يوما فى الزنزانة رقم « ١٩ » ولكن ما هى النهمة التى وجهت اليه ؟

يقول الأستاذ احسان :

« لقد دخلت السجن فى عهد فاروق أكثر من مرة ٠٠ ولكنها كانت تبدو لى كرحلة قصيرة ٠٠ لا تتجاوز بضعة أيام فى كل مرة ٠٠ ولم يجد عتاة القلم السياسى أيامها فى أنفسهم القدر الكافى من التبجح والصفاقة والادعاء ، الذى يتيح لهم اتهامى بمحاولة قلب نظام الحكم ٠٠ ! رغم ثقتهم الكاملة ، وثقة مولاهم فاروق ، أننى فى كل حرف أكتبه ، وفى كل تحرك وعمل أقوم به ، أسعى جاهدا للخلاص من نظام الحكم الفاسد اذ ذاك ٠٠ وكان أقسى ما وجه لى من اتهام ٠٠ على لسان حماة النظام الملكى ـ هو العيب فى الذات الملكية ٠٠ وقد سجنت فى المدة الأولى بتهمة العيب فى ذات السفير البريطانى لورد كيلرن » ٠٠

« ومن هنا كان فزعى ، واحساسى المرير بالاهانة الشخصية ، عندما وجدت أن التهمة التى وجهت الى فجر الثامن والعشرين من ابريل عام ١٩٥٤ هى : قلب نظام الحكم » !

٠٠٠ ثم استطرد قوله وقد بدت عليه علامات الدهشة : « أية ثورة

تلك التي أعاديها أو أتهم بالسعي لقلب نظام حكمها ·· ؟! ان ثوره ٢٣ قامت ــ يوم قامت كتعبير عملي أطلقه جماعة الضباط الأحرار لتؤكد به احساسها برفض الشعب لخطايا نظام الحكم السابق··وهي خطايا حاربها كل الكتاب الشرفاء ·· وثار عليها حملة الأقلام المتمردة على الفساد وكان قلمي واحد من هذه الأقلام··وكنت واحدا ممن كتبوا نعي النظام السابق وهو موجــود ·· ! وبشروا بالثورة وهي بعـــد جنين مستكن في بطن الغيب ·· ثم ·· انني لم أقف في ايمــاني بالثورة عند حـــد الكتابة فقط ·· بل وقفت حياتي كلها على التحرك العملي لمساندة كل ثوري يعجل بيوم الخلاص ·· وهذه حقائق يعرفها القادة الجدد ·· ويعرفون ان دار روز اليوسف كانت الصدر الحنون الذى احتوى كل صوت حر أعلن رفض النظام القديم ــ أو فكر ــ حتى في الخفاء ــ في الخلاص منه ·· فكيف يسمح هؤلاء القادة بتوجيه مثل هذه التهمة لي ، على لسان حفنة من محترفي تدبير التهم ، وخبراء ازاحة الخصوم من الطريق ؟ ثم ·· لأى هدف أدعو للانقلاب على الثورة التي عشت حيـــاتي بها ؟! لكي يعود فاروق ·· فيعلقني من رقبتي على أضخم عمود نور في أفخم ميـــدان في القاهرة ·· ! ·· أم انني أدعو لانهاء الثورة التي حررت الفلاح وقلمت أظافر رأس المال المستغل ، وألغت سيطرة رأس المال على الحكم ·· لكي يعود الثالوث الرهيب اياه : القصر ، والاستعمار ، والاستغلال ، ليخنق الشعب من جديد ·· ! ألا ترى بعد كل هــذا ، أن التهمة كانت اهانة شخصية ، أكثر منها وسيلة للاعتداء على حريتي ، أو سلما يصعد به خصومي كي ينـــالوا رقبتي التي لم يفكر زبانية فاروق في الوصـــول اليها ·· ؟! » ··

ولكن ماذا عن أحاسيس ومشـــاعر الصـحفي الثـــائر احســان عبد القدوس حين رأى نفسه حبيس الجدران في زنزانة منفردة بيد أصدقاء الأمس ؟!

تنهد تنهيدة طويلة مصحوبة بالأسى والحسرة ·· ثم تكلم بنبرة حزينة قائلا :

« صدقيني اذا قلت لك أن أهون ما يلاقيه السجين السياسي في سجنه ، هو عذاب البدن ·· ! اذا حدث جدلا وتعرض لهذا اللون البدائي من التعذيب ·· ! ان أبشع ما يلاقيه سجين الرأى ــ في تصوري ــ هو عـــذاب الروح ·· وتمزق نفســية السجين ، وخاصــة عنـــدما يواجه

بالخديعة ٠٠ ! ٠٠ وعندما يكتشف انه كان واهما فى ايمانه بفكرة أو بانسان ٠٠ ! ٠٠ وأعظم البلاء عندى أن يتهم سجين الرأى فى اخلاصه لوطنه ٠٠ تلك التهمة الساذجة التى يلجأ لها بعض المتربعين على القمة فى سذاجة بلهاء ، عندما تعييهم الحيل ، ولا يجدون من وسيلة أكثر معقولية لازاحة من يخالفونهم الرأى من الطريق ٠٠ ! » ٠٠

٠٠٠ ثم استطرد قوله بعد ما تغيرت أنغامه وأصبحت مرتفعة تقترب للسخرية أكثر منها للسخط :

« انه عالم غريب فعلا ٠٠ عالم السجن ٠٠ وخاصة السجون السياسية ٠٠ لقد قضيت فى السجن خمسة وتسعين يوما متهما ـ أنا وزميلى المرحوم اسماعيل الحبروك ـ بأخطر تهمة يمكن أن يتعرض لها مواطن ٠٠ تهمة ٠٠ العمل على قلب نظام الحكم ٠٠ ولست أنوى أن أسرد تفاصيل الاتهام الغريب ٠٠ !! ٠٠ ولا أن أصف الباشجاويش يس ٠٠ والأومباشى رزق ٠٠ !! والعسكرى لحمين ٠٠ !! ٠٠ تلك الشخصيات الفريدة التى عشت معها ثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، كل يوم منها لاينسى!! وكل ما أسمح به لنفسى ، أن أعرض تجربة نفسية مرت بى ٠٠ تجربة وضعت فيها وطنيتى موضع الاختبار ٠٠ !! ٠٠ وكل ما أذكره الآن ٠٠٠ أن الأسابيع الأولى مرت بى ـ داخل الزنزانة الانفرادية ـ عصيبة ٠٠ !! ٠٠ عنيفة ٠٠ !! كل دقيقة منها تنخر فى أعصابى ، حتى أصبح جسدى كله أعصابا ملتهبة ٠٠ ممزقة ٠٠ تشتعل نارا ٠٠ تمنيت لو أطفأتها ٠٠ وكنت فى هذه الأسابيع ـ الأولى من التجربة القاسية ـ أغالب نفسى ، وأغالب العذاب النفسى ٠٠ حتى انتصرت على نفسى ، وعلى عذابها ٠٠ انتصرت على التجربة كلها ، عندما استطعت أن أنسى وجودى ككائن حى ٠٠ وأن أكيف حياتى فى الحدود الضيقة ـ الجديدة ـ التى رسمت لها ، بيد الباشجاويش يس والأومباشى رزق والعسكرى لحمين ، ومن يقفون خلفهم من صناع أقدار السجن وعالمه الغريب ٠٠ !!

« وفى هذه الحدود الجديدة ـ نسيت صباى الذى مر بى ، وشبابى الذى أعيش فيه ، والشيخوخة التى أخطو اليها ٠٠ وفى سبيل النسيان، قطعت كل صلة لى بالحياة ٠٠ أخفيت صورة أولادى التى كنت أحملها فوق صدرى ٠٠ وأخفيت الكتب التى سمح لى بها !! ٠٠ أخفيتها تحت السرير ٠٠ وأخفيت ساعتى حتى لا تشعرنى بالزمن الذى يمر بى ٠٠ وأحسست ـ بعد أن فعلت كل هذه الأمور ببساطة بالغة ـ بالقسوة

والوحشية ، أحسست ساعتها بالبراءة !! ٠٠ وأحسست بنوع من الضعف اللذيذ ٠٠ !! ٠٠ أصبحت أضعف من أن أفكر ٠٠ وأضعف من أن أحس ٠٠ !! وأضعف من أن تهفو نفسي الى شيء ٠٠ بل ٠٠ وأضعف من أن أتناول طعاما ٠٠ !! ٠٠ وأصبحت هفتانا دائما ٠٠ !! ٠٠ لا أكاد أقوم من الفراش ، حتى أعود اليه ، ولا أكاد أصحو حتى أعود الى النوم شبه مغمى عليّ !!

« لم يكن الأمر انتحارا بطيئا ٠٠ ولم يكن رغبة في الانتقام من أصدقائي الألداء ـ كما وصفتهم ـ ولكنه كان قبل كل شيء تصميما على قهر أعتى خصومي في مثل هذا الموقف العنيف ٠٠ وهو الضعف البشرى الذى يمكن أن يحاصر أى انسان يمر بمثل هذه التجربة ٠٠ واذا سلمنا بأن « الضعف البشرى » هنا ، يعتبر وسيلة دفاع غريزى تلجأ اليها الحياة للدفاع عن نفسها ضد الموت ٠٠ فقد كان أخشى ما أخشاه ، أن ينتصر الضعف البشرى على ارادتي ولا يتركني قبل أن أسقط مستسلما تحت قدمي الباشجاويش يس ٠٠ الرمز الحى الماثل أمامى ٠٠ لهؤلاء الذين بعثوا بى الى عالم السجن الغريب ٠٠ ولو أننى جثوت على قدمى بالقول ـ ان لم يكن بالفعل ـ فرجوت الباشجاويش أن يسمح لى ، بما يسمح القانون للقاتل واللص وتاجر المخدرات ومسعد القلوب فى الخفاء !!! ٠٠ لو أننى فعلت هذا لانتهت المعركة فى وقت مبكر ولتغير وجه الواقع ـ فى حياتى أنا على الأقل ـ وفى علاقتى بالأصدقاء الألداء ٠٠ ولكن ٠٠ لم يحدث هذا مطلقا ٠٠ لأننى قطعت طريق الضعف على نفسى، وقطعت على خصومى طريق الاحساس بانتصارهم على ٠٠ واحساسهم بأنهم قد نجحوا فى ترويض هذا القلم المتمرد دائما ٠٠ الساخط على كل من يستحق السخط ٠٠ واذا كنت قد أسفت على شيء فى هذه التجربة العنيفة ، فانى بلا شك أسفت ، لأن قسوتى على نفسى والترفع بها عن السقوط فى حضيض الضعف والاستسلام قد حرمت الباشجاويش يس من الحصول على الترقية التى كانت تنتظره بلا شك لو أنه نجح بالفعل فى ترويضى !!

« ان الشيء الذى أحزننى حقا هو أننى وجدت نفسى سجينا بأمر الأصدقاء وشركاء المبدأ والفكر الثورى ٠٠ فهذا ما كنت لا أستطيع احتماله ٠٠ وزاد الأمر عليّ قسوة أن يزج بى فى السجن الحربى بعد تحقيق غير قانونى لا تعرف عنه النيابة العامة شيئا ، بل يتولاه رجال المخابرات بشكل استفزازى على طريقة التفاهم كما يحبون أن يسموا

طريقتهم في « عصر » ضيوفهم وسحق أرواحهم ، ان تعففوا عن تعذيب أبدانهم ٠٠ » ٠٠

ولكن هل أدى السجن الحربي الى استسلام كاتبنا والحيدة عن مبادئه الحرة ؟

يقول الأستاذ احسان :

« لم أستسلم طبعا ٠٠ بل أن احساسي بالاهانة كان أقوى من احساسي بالألم ٠٠ ولم أكن أتردد في رد التهجم بما يستحقه رغم ثقتي بأن الحقوق التي تكفلها لوائح السجون المصرية لا وجود لها بالنسبة لأنني سجين على ذمة المخابرات ٠٠ ومن كان مثلي ، فلا أمل له في رحمة اللوائح أو عطف القوانين ٠٠!! ٠٠ ومعرفتي بالموقف على حقيقته أعطتني ـ على عكس ما تصور خصومي ـ قدرة هائلة على الرفض ٠٠ والمقاومة ٠٠ ولهذا لم أتردد ـ مثلا ـ في التصدي للباشجاويش يس ، عندما صرخ في وجهي ذات صباح وهو يقودني من الزنزانة لأتمشى في طرقة السجن في فترة « الفسحة اليومية » التي لا تتجاوز ربع ساعة كل صباح ، أعود بعدها الى قبر الأحياء ـ الذي أودعني فيه خصومي ـ زنزانتي رقم « ١٩ » ٠٠ وطبعا لم يقبل الباشجاويش الرهيب هذه « الجرأة » « من سجين » عنده فقرر أن ينتقم مني بالطريقة الوحيدة التي استنتج من رؤسائه أنها تؤلمني !! فهددني بأن يبلغ عن زوجتي بأنها أعطته رشوة نصف ريال ٠٠ لكي يغمض عينيه عن الطعام والكماليات التي تهربها لي في السجن خلال زيارتها القصيرة ٠٠ !!

« لقد عملت فعلا زوجتي الوفية دائما مهربة ٠٠ كي تهرب لي الطعام في السجن ، كي أظل على قيد الحياة ٠٠ بعد أن عجزت معدتي عن تقبل تلك الأشياء العجيبة التي تعجز أبالسة الجحيم عن تحديد ماهيتها ، رغم أن السجان كان يصر وهو يطالعني بابتسامته البلهاء كل صباح ، أن ما يحمله لي من أشياء غريبة ، هو طعام يتحتم عليّ أن أملأ به معدتي ان أردت الاستمرار في الحياة ، لأنه الطعام الوحيد المصرح به داخل السجن ٠٠ ! » ٠٠

٢٤ ـ فاطمة اليوسف تقول لعبد الناصر

الحرية هي الرئة الوحيدة التي يتنفس بها الشعب

انك في حاجة الى الخلاف تماما ـ كحاجتك الى الاتحاد

كانت السيدة فاطمة اليوسف قد تركت لأستاذنا حرية التصرف تماما منذ أن تولى رئاسة تحرير مجلة روز اليوسف ، كما ذكرت من قبل، ولكنها كانت ترقبه في صمت ٠٠ كان عقلها يحلل كل حركة يتحركها ٠٠ وكل كلمة يكتبها وكان سكوتها يعنى أن ابنها وتلميذها على طـريق الصواب ٠٠ وأنه ما زال كما بدأ منحازا لصف الشعب ٠٠

يقول الأستاذ احسان :

« هذا الاحساس جعلني وأنا نزيل الزنزانة رقم « ١٩ » بالسجن الحربى أتساءل بيني وبين نفسى : ما هو موقف أمي٠٠فاطمة اليوسف٠٠ بروز اليوسف المجلة ؟! لم أكن خائفا من غضب أمي لأنني كتبت ما كتبت دفاعا عن الحرية والديمقراطية ٠٠ فقد كنت واثقا من ايمان أمي ـ الذى أخذت منه ايماني ـ بحرية الشعب ٠٠ وحقه فى أن يصنع حياته بنفسه دون وصاية من أحد ، مهما كان هذا الأحد ٠٠ ؟ ولكن الخوف كان يعصف بى ، عندما اكتشفت ـ وأنا مسجون بأمر ثوار الأمس وحكام اليوم ـ أننى كنت حسن النية أكثر مما ينبغى ٠٠!٠٠ وأننى لم أدقق فى جوهر

بعض من وثقت بهم ، دون حذر وروية ‥ ! ‥ وكان مبعث خوفي من هذه الزاوية ، هو خشيتي من ثورة أستاذتي وأمي عليّ ، لأنني لم آخذ منهجها في الحذر نحو من أثبتت الحوادث وجوب أخذهم بالحذر ‥ وكانت تدوي في أذني داخل الزنزانة عبارتها التي طالما صفعتني بها ، اذا بدا لها في بعض ما أكتبه شيء لا ترضى عنه :

ـ قلمك ليس ملكا لك يا احسان ‥ انه ملك القارىء ‥ ! ‥ اذا أردت أن تكون كما أريد لك فأذكر دائما ‥ أنك لا تكتب لنفسك ، ولا تنطق عن هواك ‥ بل تكتب للناس ‥ الذين هم أصحاب الحق الأول في كل حرف تنشره ‥ فلا تفرط فيما لا تملك وتهبه لمن ترى ‥

« هل فرطت حقا فيما لا أملك ‥ ووهبته لمن لا يستحق ‥؟ ‥ كان هذا التساؤل هو عذابي الأول والأضخم في أيام الحبس الانفرادي ‥ التي امتدت خمسة وأربعين يوما ‥ تم عزلي خلالها عن العالم وما يجري فيـــه ‥ !

« واذا كنت ـ بمقاييس أمي ـ قد أخطأت فعلا ‥ فكيف ستصلح هي هذا الخطأ ؟ ‥ وكيف تتصـــدى له بمنطق المعلمة الحريصـــة على فلسفتها ‥ وروح الأم الحريصـــة على وحيدها الذي لعب بالنار فحاصرته حتى كادت تزهق روحه ‥ ؟!

« لقـد قلت كلمتي بشرف ـ قبل الثورة ‥ حين بشرت بمولد الثورة وناصرتها وهي جنين في بطن الغيب ـ وقلت كلمتي بشرف بعد الثورة ‥ حين ناصرت الحرية والديمقراطية ‥ » ‥

ولكن كيف كان يقضي كاتبنا أيامه ولياليه في الزنزانة رقم « ١٩ » ؟

يقول أستاذنا :

« كنت قد اعتدت واقعي الجديد وهيأت نفسي لمعايشته والتكيف معه ‥ ولم يكن هذا تحولا فريدا مني ‥ بل هو استجابة طبيعية لحاجة غريزية في الانسان ‥ هي ميله الى أن يعيش في مجتمعه ‥ واذا كان السجن قد حال بيني وبين مجتمع روز اليوسف بكل حيويته وانطلاقه وثوريته !! فقد كان علي أن أبحث لنفسي عن مجتمع جديد ‥ قبل أن أعاني مرة ثانية من عذاب الوحدة ‥ ووجدت هذا المجتمع المنشود ‥ في السماء ‥ في كتاب الله ‥ وبدأت أعيش مع الأنبياء والملائكة ‥

وهكذا وجدت ـ بنفسي ـ لنفسي المجتمع الذي أعيش فيه ‥ طوال مدة حبسي الانفرادي ، الذي حرمت فيه من الخروج ـ ولو فسحة قصيرة ـ

من زنزانتى الرهيبة ٠٠ وعندما سمحوا لى بالفسحة ٠٠ أصبحت أخرج من زنزانتى لألمح بقية « المعتقلين » من بعيد ٠٠ وهم يسيرون فى صمت وهدوء ٠٠ وجلال ٠٠ وكأنهم الملائكة يسيرون فوق قطع السحاب !! ٠٠ وكنت أبسم لهم — على البعد — فى طيبة وحنو ٠٠ وكأننى أنا الآخر ملاك ٠٠ !! وأنظر الى جنود الحراسة فأراهم — بعين خيالى الصوفى !! — وكأنهم حراس الجنة ٠٠ الذين يعيشون الى الأبد فى هذه « الجنة » ٠٠ !! ولهذا كنت أتلفت باحثا عن « سيدنا رضوان » ٠٠ وأدهش عندما أجد أن سيدنا رضوان يسمى نفسه ٠٠ ربما من باب التواضع ٠٠ وربما من باب معاقبة النفس — باسم ٠٠ الباشجاويش يس ! ٠٠ ثم ٠٠ سمح لنا بقراءة الصحف ! ٠٠

« واكتشفت فجأة أن هناك دنيا أخرى ما زالت تحيا خارج جنة الباشجاويش يس !! وأن هذه الدنيا البعيدة ، يوجد فيها آخرون لم ينسونى ٠٠ !! لقد فوجئت بأن روز اليوسف — الأم والمجلة — قد اتخذت موقفا حاسما وصارما ٠٠ لا تقفه الا من كانت لها شخصية أستاذتى ومعلمتى الأولى ٠٠ !! » ٠

لقد أخذوا منها ولدها ٠٠ الذى صنعته على عينها ٠٠ وهى تعلم أنهم — حين أخذوه — قد ظلموه كانسان يحبس بلا جريمة ٠٠ وظلموا معه الثورة التى عاش يحلم بها ويكتب — مبشرا بمولدها ٠٠ وروز اليوسف الانسانة التى صعدت من أعماق السفح لتتربع على القمة ٠٠ فنانة وصحفية ٠٠ روز اليوسف التى وقفت بشجاعة يحسدها عليها شجعان الرجال فى وجه أعتى موجات الظلم التى تحطمت على أقدام هذا الشعب ٠٠ روز اليوسف هذه لا يمكن أن تسكت على ما حل بوحيدها وهى ترى فى كل ما حدث اهانة موجهة لها كأم ٠٠ وكصاحبة مجلة تتبنى الكلمة الشريفة التى تستهدف خير مصر وشعبها ٠٠ والتى بشرت بميلاد الثورة وهى لا تزال جنينا فى أحشاء الغيب ٠٠ وروز اليوسف الانسانة عنيدة ٠٠ وهى كصحفية لا تقل عنادا عنها كانسانة أم ٠٠ وهى الى جانب عنادها امرأة بالغة الذكاء ٠٠ وهى تعرف جيدا كيف ترد الاهانة بمثلها ٠٠ وقد علمتها السياسة وصراعاتها — فى عهد ما قبل الثورة — كيف تتلقى الصفعة على خدها ، فلا يهتز لها جفن !! وتصبر حتى ترد الصفعة طعنة دامية ٠٠ !! ٠٠ وفعلتها روز اليوسف الأم ، فاذا بالمجلة تصدر عقب اعتقال كاتبنا الثائر وليس فيها حرف واحد عن الثوار ٠٠ وكأن مصر لم تشهد ثورة طردت فاروقا ، وحررت الفلاحين ٠٠ أو كأن هذه الثورة قد انتهت من حياة مصر ٠٠ فلا حس ولا خبر ٠٠ !!

يقول أستاذنا :

« كانت أمي قد اتخذت أسلوبا جديدا تماما ، في صراعها مع الذين سجنوني ، ولعل المتتبع لمجلة روز اليوسف ، يلاحظ أنه ابتداء من العدد رقم ١٣٤٨ وحتى العدد رقم ١٣٦٦ ـ وهي فترة سجني من ٢٨ أبريل الى ٣١ يولية عام ١٩٥٤ ـ لم ترد كلمة واحـــدة عن ثورة ٢٣ يولية اطلاقا ٠٠ كأن الثـورة لم تقم أبدا أو كأنها قامت وأدت أغراضها ٠٠ ثم ٠٠ انتهت ٠٠ ومن ثم فلم يعـــد من اللائق أن تتحدث مجلة تعنى بمعايشة الواقع السياسي لمصر ، عن شيء مضى وانتهى ٠٠ ! ٠٠ وكان قـرار أمي حكيما وجريئـــا مثلها ٠٠ لقـــد ألقت فاطمـــة اليوسف القفاز في وجه من سجنوني ، وعليهم أن يتلقفوه ويتصرفوا ٠٠ ! وقد تحركوا بالفعل ، ولكن في غير الاتجاه الذي توقعته أمي منهم ٠٠ ! وهي لم تكن غريبة عليهم ٠٠ بل انها لتعرفهم جميعا حق المعرفة منذ لقائي الأول مع المرحوم أنور السادات عقب فصله من الجيش في مطلع الأربعينات ٠٠ ثم حين أتى رشاد مهنا الى المجلة ليعرفني بضابط شاب متحمس لما أكتبه هو ٠٠ المرحوم جمال عبد الناصر ٠٠ ومنذ ذلك التاريخ لم تنقطع زيارات الضباط الأحرار للمجلة ٠٠ حتى بعد قيـام الثورة ٠٠ وكانوا سعداء بالتجمع الثوري الذي تضمه روز اليوسف من شباب مصر الثائر على العهد السابق ٠٠ وكانوا في حماسهم الثوري يعدون أنفسهم من هذا التجمع النظيف ٠٠ ولهذا كانت صدمة روز اليوسف الأم عنيفة حين رأت أصدقاء الأمس يتفرق شملهم الى شيعتين تميل احداهما الى جانب اللواء محمـــد نجيب ٠٠ وتنحاز الثانية الى المرحوم جمال عبد الناصر ٠٠ ثم ٠٠ ينتهي الأمر بوحيدها وسط هذا الصراع على القمة ٠٠ الى السجن ٠٠ دون ذنب جناه سوى الدفاع غير المنحاز ٠٠ عن الحرية والديمقراطية التي عاش التجمع القديم ، يحلم بها بين جدران المجلة ويبشر بها على صفحاتها » ٠٠

ويطوف بخاطري فجاة ذلك الخطاب المفتوح الذي كتبته الســيدة فاطمة اليوسف الى الزعيم الخالد جمال عبد الناصر يوم ١١ مايو ١٩٥٣ في المجلة في عددها رقم ١٣٠٠ تحت عنوان :

« الحرية هي الرئة الوحيدة التي يتنفس بها الشعب ٠٠

انك في حاجة الى الخلاف تماما ـ كحاجتك الى الاتحاد »

وهذه بعض مقتطفاته :

« تجبة من سيدة عاصرت الحوادث واعتصرتها التجربة ·· وأنفقت عمرها تتأمل الوجوه القديمة حتى كفرت بكل وجه يحمل ملامح القدم فلا يسعدها اليوم شيء كما يسعدها أن ترى الوجوه الجديدة تزحف ·· انني أعرف الكثير من ساعاتك التي تنفقها عملا بغير راحة ·· ولياليك التي تقطعها سهرا بلا نوم ·· ولكنك وحدك لن تستطيع كل شيء ولا بالمعونة الخالصة من زملائك واخوانك وكل الذين تعرفهم وتثق بهم ·· فلابد لك من معرفة الذين لا تعرفهم أيضا ·· انك – باختصار – في حاجة الى الخلاف – تماما كحاجتك الى الاتحاد ·· ان كل مجتمع سليم يقوم على هذين العنصرين معا ولا يستغنى بأحدهما عن الآخر » ··

« هذا الخلاف ليس شيئا تمليه الطبيعة وحدها . بل والمصلحة أيضا ·· فكل انسان يعيش حياة خاصة به تكيفها الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ·· ومن حق كل انسان أن يعبر دائما عن تجربته التي يستخلصها من هذه الحياة ·· وأن يوضح مطالبه ويشرح أحلامه ومن اختلاف المطالب واحتكاك التجارب يتبين اتجاه واحد عام أو رأى عام يتفق عليه أكثر الناس ·· ان الناس لابد أن يختلفوا لأنهم مختلفون خلقا ووضعا وطبعا » ··

وتختتم السيدة فاطمة اليوسف خطابها المفتوح الى الزعيم الخالد جمال عبد الناصر قائلة :

« لا تصدق أن الحرية شيء يباح في وقت ولا يباح في أوقات أخرى. فانها الرئة الوحيدة التي يتنفس بها المجتمع ويعيش ·· والانسان لا يتنفس في وقت دون آخر ·· انه يتنفس حين يأكل وحين ينام وحين يحارب أيضا ·· انك بكل تأكيد تضيق ذرعا بصحف الصباح حين تطالعها ، فتجد أنها تكاد تكون طبعة واحدة لا تختلف الا في العناوين والناس كلهم يحسون ذلك ولا يرتاحون اليه ·· وقد قلت مرة انك ترحب بأن تتصل بأى جريدة اذا أحسست الضيق ·· ولكن أليس في هذا ظلم لك وللصحفيين وللقضايا الكبرى التي تسهر عليها ؟ ·· ألم أقل انك لن تستطيع وحدك كل شيء ؟!

« لقد أقدمت في شبابك الباكر على تجارب هائلة ·· خضت بعضها ورأسك على كفك لا تبالى مصيره ·· وليس كثيرا من التجربة أن تجرب اطلاق الحريات ·· ان التجربة كلها لا تحتاج الى هذا ولا تحتاج الا الى الثقة في المصريين ·· وأنت أول من تجب عليه الثقة في مواطنيه » ··

٢٥ ـ فاطمة اليوسف لقادة الثورة لن أكتب حرفا واحدا عنكم .. حتى لو أعدمتم ولدى!

ويرسل الرئيس جمال عبد الناصر خطابا الى السيدة روز اليوسف ردا على الخطاب الذى وجهته اليه .. نشر فى روز اليوسف تحت عنوان :

« جمال عبد الناصر يرد : « **لا نريد أن تشترى الحرية أعداء الوطن .. حاجتنا الى الخلاف من أسس النظام** » ..

يقول فيه « أما تحيتك فانى أشكرك عليها .. وأما تجربتك ، فانى واثق انها تستمد من دروس الحياة .. وأما تقديرك لما أبذله من جهد ، فانى أشعر بالعرفان لاحساسك ..

وأما رأيك فى أنى لا أستطيع أن أفعل وحدى كل شىء فان هـذا رأيى **أيضا** ورأى كل زملائى الأحرار ..

وأما انى فى حاجة الى كل رأى فقد أعلنت هذا ولن أمل من التكرار .. ليس من أجلى وانما من أجل مصر ..

« أما حاجتنا الى الخلاف فى التفاصيل قدر حاجتنا الى الاتحاد فانا مؤمن به وأثق من أسس الحرية الصحيحة بل من أسس النظام أيضا .. وانا أكره بطبعى كل قيد على الحرية وأمقت باحساسى كل حد على الفكر .. على أن تكون الحرية للبناء وليس للهدم وعلى أن يكون الفخر والفكر خالصا لله والوطن ..

« اننى لا أخشى من اطلاق الحريات . وانما أخشى من أن تصبح الحريات كما كانت قبل ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ سلعا تباع وتشترى ٠٠ أنت لا تتصورين كم فجعت لما أتيح لى ان أطلع على وثائق الدولة ٠٠ على مأساة الحرية !! » ٠٠

ويختتم الزعيم الراحل جمال عبد الناصر خطابه قائلا :

« نحن الآن فى سبيل ارساء الدعائم ووضع الأسس التى تنهض عليها فى المستقبل حرية جديرة باسمها ٠٠ خليقة بمعانيها السامية ٠٠ مصونة من العبث ، مرتفعة فوق المساومات ٠٠

« ومع ذلك فأين هى الحرية التى قيدناها ؟ ٠٠ أنت تعلمين أن النقد مباح لأننى أعتقد أنه ليس بيننا من هو فوق مستوى النقد أو من هو منزه عن الخطأ ٠٠

« وبعد فانى أملك أن أضع رأسى على كفى ، ولكننى لا أملك أن أضع مصالح الوطن ومقدساته هذا الوضع » ٠٠

٠٠٠ هذا كان رد الزعيم الخالد جمال عبد الناصر الذى يؤمن بالحرية ولا يحجر على أى رأى ولا يمقت أى فكر ٠٠ على عكس ما يدعيه البعض محاولا النيل من تاريخه العظيم ٠٠

واتضح لنا أيضا من هذا الخطاب مدى العلاقة الوثيقة التى كانت تربط بينه وبين مجلة روز اليوسف ٠٠ تلك العلاقة التى بدأت قبل الثورة واستمرت بعدها ٠٠

يقول الأستاذ احسان :

« وقد بلغ من عنف الصدمة التى واجهتها أمى ، أن اتخذت قرارها العنيف بتجاهل الثورة تجاهلا تاما فى كل ما تنشره المجلة ٠٠ ثم ٠٠ فى رفضها أن تذهب للقاء الرئيس جمال عبد الناصر ــ فى قيادة الثورة ــ حين طلب اليها أن تذهب للقائه ٠٠ وكان ردها مهذبا ، ولكنه بارد وقاطع كالسيف اذ قالت :

« ان كان يطلبنى كحاكم ٠٠ فروز اليوسف لا تسعى الى الحكام ٠٠ لا عن رغبة ولا عن رهبة ٠٠ وان كان يطلبنى لنتحدث حديث الأصدقاء ٠٠ فعلى أصغر الأصدقاء سنا أن يسعى لأكبرهم ٠٠ وخاصة اذا كان مكان اللقاء مجلة طالما سعد بالذهاب اليها والسهر فيها مع شباب ثائر مثله » ٠٠

« وحين ينتهي الحوار الى هذا الطريق المسدود ، يقدم من سجنوني على آخر ما كان أمامهم من وسائل التحرك ، للخلاص من هذا الموقف الحرج الذى وضعهم فيه تجاهل المجلة لأخبار الثورة ·· وتفاجأ أمى ، بزيارتين متتابعتين ·· احداهما قام بها الرقيب العسكرى العام على الصحافة فى عام ١٩٥٤ ، والثانية قام بها الأستاذ محمد حسنين هيكل ــ وكان قد بدأ يوثق علاقته بالمرحوم جمال عبد الناصر ــ والاثنان كانا موفدين من جمال عبد الناصر ليتفاوضا معها على الشروط التى تؤدى الى رفع الحظر الذى فرضته روز اليوسف على أخبار الثوار فى مجلتها ·· ! .

« ولو أن الأمر وقف عند تجاهل أخبار الثورة وقادتها ·· لكان أيسر قبولا عند من سجنوني ، فقد كان هناك من الصحف والصحفيين من يسعون الى استرضاء هؤلاء القادة بما يخفف عنهم وقع هذا التجاهل الصارم ·· ولكن أمى استفادت من خبرتها الطويلة فى مصارعة موجات التسلط التى تصدت لها طوال عمرها الصحفى ، فى اختيار العناوين الصارخة الدلالة الموحية بكل ما تريد أن تقوله للحاكم دون أن تفصح بما يضعها تحت طائلة عقابه ·· وهى خبرة لا ينكرها أحد على فاطمة اليوسف ·· ويكفى أن أذكر بعض هذه العناوين التى تضمنتها أعداد المجلة من العدد ١٣٤٨ ــ الى العدد ١٣٦٦ ــ مثل : المهدى يظهر فى مصر !! الثلاث ورقات !!··الحاكم··لا يملك الاعتراض على رغبة البرلمان ··!!·· هتلر ·· هل كان مجرما أم بطلا ·· !! القاتل ·· طليق !! ·· ضياء الدين ·· قراقوش ·· نريد معنى جديدا للبطولة ، والأبطال ··!! الاسلام ·· حرية وشورى ومساواة ·· !!

ولا شك أن هذه العناوين البالغة الخطر ·· رغم براءتها الظاهرية!! قد أفزعت الزعيم جمال عبد الناصر الذى بعث بالأستاذ هيكل وزميله الرقيب العام على الصحافة المصرية وقتها ، ليتفاوض نيابة عنه فى عقد هدنة مع روز اليوسف ــ الأم والمجلة ــ يرفع خلالها ذلك الحظر على أخبار الثورة ولكنها رفضت وقالت : آسفة لن أكتب حرفا واحدا عنكم حتى لو أعدمتم ولدى !

··· ثم يواصل الأستاذ احسان حديثه عن أستاذته المعلمة والرائدة الأولى فى حياته ·· فيقول :

« لم تكن أمى ــ فاطمة اليوسف ــ قد درست الفكر السياسى بالمعنى الأكاديمى المعروف فى الجامعات ومعاهد البحث لهذه الدراسة ··

ولكنها بالقراءة الحـرة ، وبالثقافة الجادة . أخـذت نفسها بأسبابها . وبالممارسة العلمية فى معارك النضال السياسى والحزبى التى خاضتها كصحفية منتمية لحزب الوفد ، ثم كصاحبة رأى متحرر من قيود التبعية الا للشعب وحده ٠٠ كانت قد استطاعت أن تعى ما ينقص الكثيرين من الدارسين المتخصصين أن يعرفوه عن أسرار الفكر السياسى ومناهجه٠٠ وقد ساعدتها هذه المعرفة على ادراك حقيقة الموقف فى مصر بعـد قيام ثورة ٢٣ يولية ٠٠ وادراك أن هناك فرقا شاسعا بين الخلاف فى الرأى مع حكومة حزبية . مهما مالت هذه الحكومة الى العنف فى معاملة خصومها السياسيين ٠٠ وبين الوقوف موقف المعارض لثورة وليدة ما زالت فى مرحلة البناء الأساسى ٠٠ وهى مرحلة تدرك . فاطمـة اليوسف ، أن الثورات لا تسـمح أثناءها بأى نوع من التردد أن يتسلل الى مواقفها الحاسمة تجاه خصومها أو من يشك قادة الثورة في أنهم يخاصمونها٠٠!٠٠ فاذا حـدث وطفت على سطح الثـورة بذور القوى الطفيلية التى تنمو كالطحالب فى حيـاة الكثير من الثـورات . فتخنقها وتنحرف بها عن مسارها ، فان الموقف يزداد صعوبة بالنسبة لكل من يفكر فى معارضة رأى تراه الثورة أو قرار تتخذه ٠٠ **لأن القوى الطفيلية تسارع ، رغبة فى اكتساب مواقع جديدة ــ لم تكن لها أصلا ــ الى المبالغة فى كشف عداء المعادين للثورة ٠٠ !** والمبالغة فى انزال العقاب بالمارقين تزلفا وقربى للقادة الكبار ٠٠ وكل هذا كانت تعرفه فاطمة اليوسف ٠٠ وبرغمه لم تتردد فى أن تقف موقفها الصـارم الحاسم حين قبضوا على وأودعونى السجن ! ٠٠

٣٦ ـ عبد الناصر .. واحسان ..
وجها لوجه

قال لى الأستاذ احسان :

« ... كان صباحا آخر يشرق على داخل زنزانتى كأى صباح مر بى طوال خمسة وتسعين يوما داخل الزنزانة الكئيبة .. ! .. وفتح الباب كما يفتح كل يوم ، ولكننى فوجئت بالحارس ، فى هذه المرة ، يحييني ، باحترام مبالغ أثار الشك فى نفسى .. ! .. فحارس السجن ترمومتر صادق الدلالة للظروف المحيطة بالسجين دائما..!..وابتسامة السجان لسجينه لا تعنى الا أحد أمرين . اما أنه على أبواب الخروج نهائيا والافلات من براثن سجانه غير العزيز .. !

واما .. أنه مقدم على كارثة يحاول السجان أن يخفيها عن ضحيته بهذه البسمة الخادعة .. ! ..

ويبدو أن سجانى الأريب استطاع بخبرته أن يتسلل الى رأسى ويقرأ ما يدور فيه من هواجس ، فأراد أن يطرد عنى سوء الظن به وبابتسامته المدربة .. فاجأنى قائلا :

ـ مبروك يا بيه..البيه المدير عاوزك فى المكتب..حتوحشنا والله !

ماذا يقصد هذا الخبيث الماكر بعبارته الملتوية..حتوحشنا والله..!؟ هل هو الافراج ، والعودة الى عالم الأحياء .. ! أم أن خصومى قرروا التخلص منى نهائيا ، فبعثوا بهذا الماكر ليقودنى الى بداية الرحلة الى .. النهاية !؟ ..

وخرجت من زنزانتى الى مكتب المدير لأتلقى خبر الافراج عنى .. هكذا .. بلا سبب ولا مبرر .. تماما كما دخلت السجن بلا سبب ولا مبرر ! .. وعندما يغيب القانون فى اجازة ويترك بلدا من البلدان..فكل شىء جائز.. حتى أبعد الأمور عن العقل والمنطق .. البرىء يمكن أن يسجن بلا سبب، والمذنب يمكن أن يفرج عنه بلا سبب أيضا .. المهم عو مزاج ورغبة من يملك اصدار القرار فى كلتا الحالتين .. والمهم أن يشعر الجميع بأن مصائرهم معلقة بكلمة تخرج من فم صاحب القرار ! وفى مثل هذه الظروف التى يأخذ القانون فيها اجازة ، كثيرا ما ترتكب أفدح الجرائم باسم الحاكم المطلق ، وهو برىء منها تماما ، ولا يعلم عنها شيئا . ووزره الوحيد أن جرأته ولو مرة واحدة على القانون تغرى المحيطين به بالجرأة على القانون للأبد ! .. » ..

... وهكذا خرج الأستاذ احسان من السجن الحربى طليقا حرا صباح الحادى والثلاثين من يولية عام ١٩٥٤ ليجد مفاجأة فى انتظاره .

يقول الأستاذ احسان :

« ما أن وصلت منزلى بعد طول الغياب حتى دق جرس التليفون فى الحال ، فرفعت السماعة وأنا أتوقع أن تكون المكالمة من أمى ، أو من أحد زملائى فى المجلة .. أما أن يكون المتحدث هو جمال عبد الناصر ، فهذا ما لم أكن أتوقعه ولم يخطر لى ببال .. وزادت دهشتى عندما بدأ محدثى كلامه قائلا وهو يضحك :

ـ هيه .. اتربيت والا لسه يا احسان .. !؟ طيب تعال افطر معايا ما تتأخرش .. انا منتظرك ..

وسواء أكانت دعوة الافطار هذه ، أمرا من حاكم ، فى صورة دعوة مهذبة .. أم كانت دعوة من صديق « سابق » زاملته فى سنوات الاعداد للثورة ، فقد وجدتنى مدفوعا لتلبية الدعوة لسبب لا أعرفه يقينا حتى الآن .. ! .. ربما كان الرغبة فى التعرف من جديد على هذا الذى كنت أتصور اننى أعرفه أكثر من نفسى .. ! وربما كانت روح الفنان فى شخصى ، هى التى حدت بى للقاء هذا الصديق .. الذى كان ثائرا يظهر الثورية الخالصة فغدا حاكما يخضع لاعتبارات الواقع العملى الذى تفرضه سياسة الحكم وبين ثائر الأمس المثالى وحاكم اليوم ـ الواقعى ـ كان الفنان فى داخلى ، يرجو أن يتعرف على الخيط الرفيع الذى يفصل بين الثائر والحاكم ، ويصل بينهما فى نفس الوقت .. ! وذهبت للقاء صديقى ببيته

.. وتناولت معه الافطار .. وتكررت الدعوات للطعام .. افطارا أو غداء أو عشاء .. تعقبه جلسه سمر نشاهد خلالها عرضا خاصا لأحد الأفلام . أو نقطع الوقت بحديث ممزق الأوصال ، لا يقترب فيه كلانا من السبب الحقيقى الذى يحس كل منا أنه يكمن وراء هذه الدعوات المتكررة لتناول الطعام .. ! .. الى أن قال لى عبد الناصر مرة بلهجة غامضة وهو يسلط على عينيه الواسعتين :

– انني بهذه الدعوات المستمرة أعالجك نفسيا يا احسان ! ..

... وأحسست بالدهشة وتساءلت بينى وبين نفسى .. هل يستطيع عبد الناصر أن يعالجنى نفسيا من آثار سجنى .. انى لا أعتبر أنه يعالجنى بل أعتبر انه يعتذر لى عن سجنى .. وكل من أدخلونى السجن اعتذروا لى .. اعتذر لى النقراشى باشا عندما أدخلنى السجن فى عام ١٩٤٥ .. واعتذر لى فؤاد سراج الدين عندما أدخلنى السجن فى عام ١٩٥٠ .. والآن يعتذر لى عبد الناصر بعد أن أدخلنى السجن ..

والواقع انى لم أكن فى حاجة الى علاج نفسى فان ما حدث لى بعد السجن هو تغيير فى آرائى وموقفى من الطبقة الحاكمة للثورة .. لقد اصبحت أؤمن بأنى لا أتعامل مع ثورة بل أتعامل مع حاكم .. وهو ما استمر فى احساسى بعد ذلك والى اليوم ..

ولكن يبقى أن نعرف ماذا فعل السجن أو فعلت الخمسة والتسعون يوما فى قلم كاتبنا .. وما أثر سجنه بيد أصدقاء الأمس على القلم الحر صاحب المبادىء الثورية .

يقول الأستاذ احسان :

« فى الواقع أنه قد قامت معركة بينى وبين قلمى . وتلك حقيقة لست أنكرها ، وحتى لو فكرت فى انكارها ، فان وقائع حياتى فى تلك الفترة تؤكد وقوعها بالفعل .. ! ..

« أما السبب فى هذه المعركة ، فليس عذاب السجن ومحنته على الاطلاق ، كما تبادر الى ذهن البعض .. ! لأن السجن وأهواله ، لا يقيم معركة بين الكاتب وبين نفسه . اذا كان حرا بالفعل حرية حقيقية .. ! بل ان محنة السجن بسبب الرأى ، تعقد صلحا فوريا بين الكاتب الحر وبين نفسه ، يتعاهد خلاله الاثنان على الوقوف معا فى وجه أعداء الحرية ، الذين يفجرون بعنادهم وغرورهم معارك مع كل مدافع عن الحرية ..

يكسبون خلالها عداء كل من يستعمل حقـــه فى التفكير العـــاقل غير المستضعف !

« لست من السذاجة السياسية بحيث أخلط بين قـرار عنيف . قد يضطر الحاكم المسئول الى اتخاذه ٠٠ من باب الوقاية لما يرى نفسه مسئولا عنه من مكونات السلطة التى أصبح مسئولا عن حمايتها ٠٠ وبين تخلى الثائر أو تراجعه عن قيم كان يتظاهر بالايمان بها وهو فى مرحلة الاعداد السرى للثورة ٠٠ ففى الحالة الأولى يكون الثائر القديم بكل قيمه ومبادئه النظيفة ما زال موجودا ٠٠ رغم ما قد تضطره اليه الظروف من قرارات عنيفة موقوتة ، لا تمثل مبادئه بقدر ما تمثل قسوة الظروف التى يمر بها لسبب أو لآخر ٠٠ أما فى الحالة الثانية ، فان الحاكم لا يكاد يصل الى مقعد السلطة حتى يخلع عنه كل رداء اضطر للتستر وراء بريقه زمنا ، لكى يسفر عما كان يخفيه من قيم ومبادىء لا عهد للناس بها من قبل ٠٠ ومن هنا تكون الصدمة الحقيقية لمن يحيطون بالحاكم الذى كان ثائر الأمس القريب ٠٠ ومن هنا أستطيع أن أقول لك ببساطة ان سجنى خمسة وتسعين يوما فى زنزانة انفرادية ، لم يؤلمنى بقدر ما آلمتنى المحاولة التى قام بها الرئيس جمال عبد الناصر ، لكى يجعل منى صـوت سيده ٠٠ على أن أكون أنا ـ وما أكتبه ـ مجرد صدى ـ أو رجعا للصدى !! بينما يكون هو الصوت والفكر والصدى ٠٠ !!

٠٠٠ وقد قرأت للأستاذ احسان فى العـــدد ١٢٧٣ من مجـلة روز اليوسف الصادر يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٣ مقالا تحت عنوان « **كيف نريد أن تحكم مصر** » مؤيدا فيه كلامه السابق لى ٠٠ ومتى ٠٠ ؟ بعد قيـام الثورة بأربعة أشهر فقط ٠٠

قال فيـــه : « أكرر للمرة المائة بعـــد الألف انى فى كل ما أكتب، لا أتلقى توجيها من أحد ولا أعبر عن أى هيئة سواء كانت هيئة رسمية أو غير رسمية ٠٠ وانى لم أكن يوما صوتا لسيد ولم أضع قلمى أبدا فى يدى غيرى ٠٠ انى أومن بمجمـــوعة من المبـــادىء ايمانا مجردا عن الأشخاص وألح فى الدفاع عنهـا الى أن انتصر بها أو أقع دونها ، وقد يشترك معى المسئولون فى الايمان بهذه المبادىء ٠٠ وقد يختلفون فيها معى وقد أقنعهم بها وقد يقنعوننى بعكسها ولكننى دائما حر ٠٠ وهم احرار ٠٠ هكذا كنت وهكذا سأكون أبدا ٠٠

... ويقول الأستاذ احسان فى مقاله هذا أيضا : انى أؤمن بمبدأ أعبر عنه بقلمى ومن حقى أن أعرضه على الشعب ليدلى برأيه فيه.. وليس للمسئولين دخل فى هذا .. وليس من حقى أن أعبر عن اتجاههم » !!

فى عام ١٩٥٥ طلب الزعيم الراحل جمال عبد الناصر من الأستاذ احسان أن يذيع سلسلة من الأحاديث اليومية .. يقول أستاذنا :

« كانت مفاجئة ترددت أمامها طويلا ، على الرغم من أن المرحوم جمال عبد الناصر ترك لى حرية اختيار عنوان السلسلة وموضوعها !! .. وهنا كان التردد والتفكير .. فأنا كاتب ، صاحب قلم .. سواء فى الأدب الروائى أو فى السياسة ، وأنا حين أكتب ، أخلو الى نفسى تماما ، ولهذا أشعر بالحرية الكاملة فى التعبير عن نفسى بجرأة وشجاعة .. أما محادثة الآخرين ، فهى آخر ما أجيده ، لأننى بطبيعتى وتكوينى انسان خجول .. وأخوف ما أخافه ، جمع الناس ـ وخاصة اذا كانوا غرباء بالنسبة لى ـ أجد نفسى مضطرا للحديث معهم ، مهما كان هذا الحديث عاما أو بسيطا .. فكيف بى وأنا أقف فى مواجهة الملايين لأتحدث اليهم حتى ولو كان هذا الحديث عبر الأثير ، ومن وراء ميكريفون يفصل بينى وبين مستمعى بمئات وآلاف الأميال .. ؟!

« كانت محنة أكثر منها تجربة .. ووجدت نفسى أخوضها فى النهاية .. ونقل الراديو للناس صوتى وأنا أتحدث اليهم ذات ليلة تحت عنوان « تصبحوا على خير .. وتصبحوا على حب » !! .. وقامت ثورة رهيبة ضد هذا العنوان ، وكنت أعلم أن المختفين وراء هذه الثورة هم خصومى فى الرأى .. الذين يخشون من رأيى هذا ويحاولون دائما الدسيسة بينى وبين الرئيس جمال عبد الناصر .. !! فلما يئسوا منى شنوها على حربا شعواء .. وأشاعوا أن عبارة « تصبحوا على حب » تعنى أن كل زوج يصبح وقد التمس الطريق الى فراش زوجته .. !! لأن كلمة « حب » عندما يذيعها احسان عبد القدوس ـ هكذا أشاعوا ـ لا تعنى الا الجنس !! .. ووصل رذاذ الحملة الى مجلس الثورة فطلب منى المرحوم جمال عبد الناصر كحل وسط ، أن أغير عنوان السلسلة الى « تصبحوا على خير .. وتصبحوا على محبة » بدلا من كلمة « حب » التى أثارت كل هذه الضجة ولكننى رفضت أن أغير الكلمة ، ايمانا منى بأن التغيير فى حد ذاته ، اعتراف ضمنى بأن الساخطين كانوا على حق فيما ذهبوا اليه من حديث الجنس الذى لم يطف بذهنى .. مطلقا .. وقد

كان مقدرا لهذه السلسلة أن تستمر الى ما لا نهاية ·· خاصـــة وأن الممارسة كانت قد فعلت فعلها في ازالة الرهبة من نفسي تجاه الميكرفون ، ولكن حادثا لم يحسب أحد حسابه طرأ ذات يوم : فقضى تماما على الصلة الوليدة التى كانت قد نشأت بينى وبين الاذاعة ··

« ففى أعقاب الحملة الظالمة التى أثيرت حول عبارة « تصبحوا على حب » كتبت حديثا أفسر به ما الذى أعنيه تماما من كلمة (حب) وهل تعنى الجنس كمـا زعم خصـــومى ، أم أنها تعنى أسمى وأنبل من كل ما ذهبوا اليه ؟ ·

« وأذكر أننى قلت يومها ·· فى نهاية الحديث : وعلى سبيل المثال فاننى أقصد بالحب ـ فى مجال السياسة ـ أن الخلاف السياسى لا يحتم الكراهية ولا يستوجب الحقد وما يجره من انفعالات وسلوك لا يرضى عنه الحب ولا يعترف به !! ·· لأن الحب بمعناه العام الانسانى ·· اذا وجد فى مجال السياسة ، سمح بالخلاف فى الرأى ، ومنع أن يتحول الخلاف السياسى الى كراهية سوداء بين الأطراف المختلفة !!

« الحب فى نظرى ليس مجرد عاطفة بين رجل وامرأة فقط ·· بل هو احساس بالحياة·· بالوجود·· بالمجتمع الذى أعيش فيه·· أحببت جدى فدافعت عنه فى مجتمع المثقفين فى بيت أمى ، وأحببت أمى وأبى فدافعت عنهما فى مواجهة جدى وزملائه المحافظين ·· وأحببت شعبى فدافعت عنه ضـد فساد الأحزاب والقصر ·· وأحببت مصر فدافعت عنها ضـد المستعمر ·· هذا هو المحرك الأول ·· ليس لأدبى فقط ·· بل لحياتى كلها ·· من طفولتى وأنا مؤمن بأن الطريق السليم لحياة الفرد والمجتمع، على حد سواء ، هو الحب ·· أما الكراهية فلا تجر وراءها سـوى الدمار لصاحبها وللمحيطين به ··

« وكان كلامى الذى أدليت به فى حديثى عاما ، لم أقصد به معنى تطبيقيا خاصا ·· ولكننى فوجئت « بالمسئولين » فى الاذاعة ـ أيامها ـ يفسرون كلامى على أن المقصود به هو علاقة الاخوان المسلمين بالثورة ·· وكانت حينذاك متأزمة·· وكنتيجة حتمية لهذا التفسير الذى لم أقصده، طلب منى الصاغ صلاح سالم ـ وكان وزيرا للارشاد القومى ، وأمين حماد مدير الاذاعة ، وعبد المنعم السباعى أركان حرب الاذاعة وقتها ·· !! أن أحذف هذه العبارة ·· ورفضت لا من باب العناد ، ولا لمجرد أن يقال أن « احسان عبد القدوس » أكبر من أن يحذف له حرف ، بل رفضت من

باب الحرص على كرامة الكلمة ٠٠ يكتبها صاحب رأى يحترم كلمته وقلتها صريحة : اذا حذفت العبارة فلن أذيع الحـديث ٠٠ بل ولن أتعامل مع الاذاعة ٠٠ وكنت أعرف جيدا ماذا سيحدث نتيجة لهذا الموقف الجـديد ولكننى اتخذت قرارى وليحدث ما يحدث !! » ٠٠

وقد شطب الحديث فعلا ومنعت اذاعته ومن يومها حتى اليوم اى منذ أكثر من ٢٥ عاما لم أتحدث فى الاذاعة ٠٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٧ ـ مرة أخرى فى السجن الحربى

ويبقى أن نعرف أين كان خصوم احسان عبد القدوس وهم يرون العلاقة بينه وبين عبد الناصر تعود من جديد ..

قال لى الأستاذ احسان :

« لقد عز على أصحاب مراكز القوى التى كانت آنذاك فى بداية نموها ، أن أفلت من براثنهم ، بالقرار الذى أصدره المرحوم جمال عبد الناصر بالافراج عنى ، وانهاء فترة اعتقالى بالسجن الحربى ، رغم انهم كانوا قد أحاطونى عنده بهالة حالكة السواد ، وصورونى فى صورة المتآمر على الثورة ، وزاد من سخطهم ، أن رأوا قائد الثورة ـ الذى استقر له الأمر ـ بعد صراع مرير بينه وبين اللواء محمد نجيب .. يعمل على ترضيتى كتعويض أدبى عما لحق بى من اهانات الاعتقال والسجن الانفرادى بالسجن الحربى .. ومن هنا بدأ تفكيرهم فى ضرورة الايقاع بى ، وبسرعة لكى يثبتوا لجمال أنهم كانوا على حق فى اتهامى ـ من جهة ـ ولكى يخيفونى أو يخيفوا الآخرين بى من جهة أخرى .. ! .. ويبدو أن حماسهم الجنونى للايقاع بى ، قد باعد بينهم وبين الحذر واحكام التدبير ، أو لعل احساسهم بقوتهم كان قد بدأ يتضخم الى الحد الذى باعد بينهم وبين الاحساس الطبيعى بالخجل ، فاذا بهم يلفقون لى اتهاما بالغ التفاهة والسذاجة بشكل لا يقبله عقل صبى صغير ، فضلا عن عقل « عضو فى المكاتب الخاصة »

مفروض فيه أن يكون بالغ الذكاء والحذر ٠٠ اذا كان قد تجرد من الشعور الانساني الفطرى بالخجل والحياء ٠٠ !

٠٠ وأخرجت من بيتى عنوة فى أحد الأيام من نفس العام البغيض عام ١٩٥٤ ٠٠ ! ورغم الابتسامة الناعمة ، نعومة الثعبان ، التى لقينى بها زائر الليل الأسود ، فلم أنخدع عن حقيقة الموقف ، ولم تنخدع شريكة حياتى وكفاحى ٠٠ ! ولم أصدق ٠٠ لا أنا ولا هى ٠٠ أن الأمر بسيط كما زعم زائر الليل الأملس ! ولا يعدو أن يكون مجرد حوار سريع للرد على بعض الأسئلة البسيطة ثم أعـود الى منزلى فى أمان ! وتبادلت مع زوجتى الصابرة الشجاعة ، نظرة سريعة حافلة ، قلت لها خلالها كل شيء ٠٠ وفهمت هى كل شيء ! وأسرعت فى شجاعة يحسدها عليها أشجع المقاتلين ٠٠ تنفذ ما طلبته منها دون كلام ٠٠ ! وتناولت منها الحقيبـة المعهودة التى خصصناها لتكون جاهزة باستمرار ٠٠ وخرجت مع حارسى وأنا أتحاشى النظر فى عين زوجتى ، حتى لا يضعف كلانا أمام مثل هذا ال ٠٠ كائن ٠٠ ! ٠٠ وكانت والدتى عندى فى بيتى فى هذا اليوم وكانت كأنها مع كبر السن قد أصبحت لا تحتمل المصائب فما كادت ترى أنهم يعودون للقبض على حتى سقطت على المقعـد وأصابها من يومها تصلب الشرايين التى ظلت تعانيه حتى توفت بعد أربع سنوات ٠٠٠ رحمها الله ٠٠ وانى الى الآن لا زلت أردد اعتذارى لها عما سببته لها من صدمات٠٠ وانطلقت بى العربة السوداء المسدلة الستائر فى شوارع القاهرة ، فى سرعة جنونية ، وكأن السيارة تشارك أسيادها فرحتهم وسعادتهم لأنهم وفقوا فى الايقاع بى من جديد ! ورغم اسدال الستائر ، فقد كنت أعرف جيدا المكان الذى سأنزل فيه بعض لحظات ، ضيفا غير عزيز٠٠٠وابتسمت لسذاجة حارسى ٠٠ ! ٠٠ ويبـدو أن ابتسامتى ضايقته ، فأخرج علبة سجائره ، ليشعل واحدة منها فى عصبية واضحة وينفث دخانها فى عنف حاول به أن يخفف من الغضب الذى اجتاحه ، لما بدا من عدم اكتراثى بما أنا سائر اليه ! ٠٠ ولو كان حارسى الساذج ما زال محتفظا بخصائصه التى فطره الله عليها ، لأحس بالجحيم الذى كان يضطرم فى عقلى فيحرقه بسؤال بسيط ٠٠ رهيب : **هل هذا هو ما قامت الثورة من أجله ! ٠٠** سؤال واحد كان يتلوى فى أعماقى وينهش كيانى كثعبان خرافى أو وحش أسطورى ذى ألف مخلب وألف ألف ناب ٠٠ هل هذا هو ما أفنيت زهرة شبابى بالتبشير به قصاصا وكاتبا سياسيا ؟! ٠٠٠ هل ٠٠٠ هل ٠٠٠ ولا جواب يأتينى سوى سحابات الدخان التى تجمعت حولى فى السيارة المحـكمة الاغلاق ، فكادت تخنقنى ودفعت بالدموع الى عينى ٠٠ دموع

الاختناق بالدخان المحبوس ـ مثلي ـ في السيارة ·· وظن حارسي الساذج أنها دموع القهر أو الاسترحام ·· فتنهد بارتياح وسعادة ·· وأشار الى بالهبوط من السيارة ونحن في فناء السجن الحربي ·· لقد وصلنا ·· وهأنذا أعود الى حيث كنت منذ بضعة أشهر ·· !

··· وفي مكتب قائد السجن الحربي كانت المفاجأة !! لقد وجدت في انتظاري أحمد أنور ـ قائد البوليس الحربي بنفسه وحوله مجموعة من الحواريين ·· وتبادل الجميع نظرة انتصار وحشي ·· وهم يرون فريستهم بين براثنهم من جديد ·· وكان من الواضح أنني مقبل على احدى « جلسات التحقيق » التي تمرس أحمد أنور على القيام بطقوسها المعروفة جيدا لكل من جانبه الحظ فحل ضيفا غير عزيز عليهم ! ·· وشردت أفكاري رغما عني ، في البحث عن السبب العبقري ، الذي سيبرر به خصومي عملية اعتقالي للمرة الثانية ! ·· أي اتهام يمكن أن أواجه به ·· ولو من باب التلفيق والكذب الذي لا يعرف الخجل ولم يسمع بالحياء ·· ! وأعترف للقراء بأنني عجزت رغم سعة خيالي كأديب روائي ، عن ابتكار سبب شبه معقول يمكن أن يعود بي للسجن الحربي ، ولم تكد نفسي تشفى من الجراح ·· عجزت فعلا عن مجرد تخيل السبب الذي جعل أحمد أنور يقول لي :

ـ أنت متهم يا احسان بالتآمر على الثورة ، والتحريض على قلب نظام الحكم !

ـ تاني !؟

نطقتها دون وعي أو تفكير ·· كما تنطقها العامة وتلقي بها ·· كلمة واحدة ، ولكنها مشحونة بقدر هائل من الغيظ والسخرية والاحتقار ·· والكراهية والاحساس البالغ بالمهانة ! ·· « تاني يا أنور » من منا الذي يتآمر على الثورة ·· الاستعمار ·· والقصر ·· والمستغلين ·· أم أنت يا حضرة قائد الجيش الحربي ·· ! ·· حين تسعى دون عقل أو منطق أو حياء ، للايقاع ـ بلا ذنب ـ بكاتب آمن بالثورة وبشّر بها ـ ودعا لها في الوقت الذي كنت أنت ـ وربما من يحركونك ـ تخفضون الرأس خضوعا لأعداء الشعب !

وتوقف سجاني المحترف ، وهو يحيطني بنظرة كراهية كدت أشعر بضغطها المادي على أنفاسي ، فجاهدت لكي يخرج صوتي غير متحشرج وأنا أسأله :

ـ ماذا عندك فى هذه المرة ؟!

ـ عندى الدليل المادى على ادانتك بالتآمر على قلب نظـام الحكم والتحريض ضد الثورة ٠٠ !

أى دليل مادى يتحدث عنه هذا المجنون !

٠٠ ولست أدرى للآن اذا كنت قد نطقت هذا السؤال بصوت عال أم أننى تحدثت به مع نفسى ! ولكن الذى أذكره الآن من أحداث تلك الليلة الرهيبة أننى أحسست ساعتها بغضب هائل ٠٠ وأنا أشاهد بعينى الحقـائق ، وقد قلبت الى أباطيل ، بينما لبست الأباطيل ثوب الحق والشرف !

احسـان عبد القدوس الذى يؤمن بالحـرية والثورة كحق طبيعى للانسان الذى يرفض الظلم ويسعى الى تغييره ٠٠ احسـان هذا يتهم بالتآمر على الثورة ٠٠ وزبانية المكاتب الخاصة الذين يؤمنون بأنفسهم . وبمكاسبهم الخاصة وسلطاتهم وامتيازاتهم غير المشروعة ، يتشدقون بأنهم حماة الثورة والمدافعون عن الحرية ٠٠ ! أى سخرية أسفل دركا من هذا الذى أواجهه !

ـ لا تسخر يا احسان ولا تدعى السذاجة ! لأن شريكك فى المؤامرة قد اعترف عليك ٠٠ والحل الوحيد أمامك لتخفيف العقوبة هو أن تعترف أنت أيضا ٠٠ !

رائع ٠٠ ! ٠٠ يبدو أن الاتهام بالغ الاحكام فى هذه المرة ٠٠ فهناك مؤامرة ، وهى ليست مؤامرة فردية كالمرة السابقة ٠٠ بل هى مؤامرة جماعية ، ولى فيها شركاء ، وها هو أحد شركائى يعترف علىّ ! ٠٠ ترى من يكون هذا الشريك الذى استسلم بسرعة ، فأفشى سر المؤامرة الخطيرة التى كنت أدبرها ضد الثورة التى شاركت لسنوات عديدة فى التمهيد لها قبل يولية ١٩٥٢ !

ـ انه ليس شخصا وهميا ٠٠ أو غريبا عنك ! ٠٠ انه « فلان » الساعى بمجلة روز اليوسف ! ٠٠ وقد اعترف بأنك كلفته بتـوزيع منشورات ضد الثورة ٠٠ ! واعترف بأنك حملت شحنة من الأسلحة فى سيارتك وسلمتها لمجهول كان فى انتظارك فى شارع الهرم ٠٠

شريكي في التآمر على الثورة .. ساع « بالمجلة » ! .. ما هـذا الجنون ؟! .. بل ما هذه التفاهة في التفكير ؟! .. وأحسست بدوار عنيف ينتابني .. ! .. لا .. ! ان الأمر لم يعد محتملا بأي حال من الأحوال فلا هو بظلم الظلمة ولا طغيان الطغاة ! .. ولا هو ببلاهة البلهاء ، أو حتى .. جنون المجانين ! .. انه في أحسن الأحوال مزيج من كل هذا .. وأسوأ بكثير .. ومناقشة مثل هذا الخلط الغريب الذي يمتزج فيه الطغيان والظلم والجنون والبلاهة بل والتفاهة أمر فوق احتمال كل عاقل ! وسكت ورفضت الكلام رفضا باتا .. واذا كان الأمر أمر قرار بالقضـاء على ، فليصنعوا ما شاء لهم الطغيان . وما شاء لهم الاحساس بالسلطة المطلقة التي لا تعترف بسيادة القانون .. ولكنني لن أشارك في هذه الهزلة ولو بمجرد الدفاع عن النفس في مواجهة هذا المجنون ! .. وقمت الى زنزانتي الجديدة ، بعد أن يئس أحمد أنور وحواريوه من قدرتهم على حملي على الكلام رغبة أو رهبة !

لقد خرجت من زنزانتي ــ رقم ١٩ ــ منذ بضعة أشهر دون سبب معقول ، بعد أن سجنت فيها ــ انفراديا ــ دون سبب معقول .. ؟ وهأنذا أعود اليها دونما سبب .. واذا كانت هناك من حقيقة واحدة يقرها العقل ويعترف بها وسط هذا الجنون ، فهي اعتبار فترة الافراج عني .. مجرد اجازة عارضة ! .. منحها لي خصوم الحركة لكي يحكموا علىّ ولكن التهمة التي ووجهت بها الليلة أثبتت مع الأسف ــ أو لحسن الحظ ــ أن خصومي لم يحسنوا استغلال هذه الاجازة العارضة التي حصلت عليها ، عنـدما أصـدر المرحوم عبد الناصر قرارا بالافراج عني في ٣١ يولية عـام ١٩٥٤ » ..

... وتوقف الأستاذ احسان للحظات يلتقط فيها أنفاسه .. ثم عاود الحديث معي بصوت يفيض بالألم والحسرة وكأنه ينعي بداخله أحلاما ذهبت وتولت بعد أن قطع معها زهرة شبابه اليافع ..

« وفجأة دق جرس التليفون في الغرفة المجاورة التي تعتبر المكتب الخاص لأحمد أنور فقام ليرد على التليفون ثم عاد بعـد دقيقتين وهو في صورة أخرى .. وكأنه يرتعش وقال لي :

ــ تعال يا احسان تكلم في التليفون ..

ودخلت المكتب الخاص ورفعت السماعة واذا بي اسمع صوت جمال عبد الناصر وهو يتحدث الى معتذرا .. وقال .. أعمل ايه بس يا احسان

اعتذرني ٠٠ وبعد كلمتين قال لى ٠٠ ان عبد الحكيم عامر سيعتذر لك باسم الجيش لأن البوليس الحربى تابع له ٠٠ واعتذر لى عبد الحكيم عامر ٠٠

وعدت بعد المكالمة الى أحمد أنور الذى استقبلنى مبتسما ابتسامة مرتعشة ٠٠ وفى الحال أطلق سراحى وعدت الى البيت ٠٠

وفى طريق العودة الى بيتى ٠٠ كان هذا السؤال يلح علىّ الحاحا قاسيا : لقد صدر أمر اعتقالى وأنا قريب من قادة الثورة ، وصدر هذا الأمر دون علم من قائد الثورة٠٠واذا كانت الظروف ــ والظروف وحدها ــ قد هيأت لى فرصة نادرة وهى العلاقة الوثيقة بينى وبين المرحوم جمال ، والتى حدت به الى الاهتمام بأمر اعتقالى ــ حين علم بهذا الأمر الذى تم دون علم منه !! ٠٠ ثم دفعته هذه العلاقة ذاتها الى المبادرة بالافراج عنى فورا ، وبأمــر شخصى منه ، يلغى الأمر الذى صــــدر من وراء ظهره باعتقـــالى ٠٠ فكيف يكون الحال لو أننى لم أكن وثيق الصلة بقـــائد الثـورة ؟! ٠٠

بل ماذا يكون المصير المظلم الذى أنتهى اليه ٠٠ لو كنت واحدا من المواطنين من أبناء هذا الشعب الطيب الصبور ٠٠ ثم تعرضت بالحق أو الباطل لغضب من يملكون اصــدار قرارات الاعتقال من وراء ظهر القائد وبدون علمه ؟! ٠٠

وأحسست بقشعريرة تهز كيانى من الأعماق ، وأنا أتصور برؤية الكاتب وخيال القصاص ، الأبرياء وهم ينتزعون من بيوتهم فى ظلمة الليل لكى يقذف بهم ، أعضاء المكاتب الخاصة ، خلف القضبان ٠

وزاد من احساسى بالمأساة القــادمة فى الطريق ٠٠ أننا لم نكن وقتها ــ عام ١٩٥٤ ــ قد جاوزنا العام الثانى من عمر الثورة التى قامت لتحرير الانسان المصرى من كل قيد ، ولكى ترد للمواطن المصرى احساسه بالكرامة التى طالما اعتدى عليها الثالوث الحاكم قبل الثورة٠٠واذا كانت هذه هى حال الحرية ٠٠ ومدى احترامها والحفاظ عليها ٠٠ ونحن فى بداية الطريق الثورى ٠٠ فما الذى ستنتهى اليه الأحوال بعد عشرة أعوام ،

أو عشرين عاما على سبيل المثال ٠٠ عندما تنمو أظافر المكاتب الخاصة وتتحول الى مخالب حادة قادرة على الفتك بالخصوم بلا حدود ، وبلا وازع من ضمير أو مبادىء أو قيم ٠٠ قد تكون رؤياى هذه متشائمة ٠٠ بل وحالكة السواد بمنطق عام ١٩٥٤ حيث لم تكن الأمور قد انتهت اليه فيما بعد ٠٠ ولكن هذه النظرة المتشائمة كانت تسيطر علىّ تماما طوال الطريق من السجن الى بيتى ٠٠ واذا كانت أسرتى الصغيرة قد استقبلتنى بفرحة اللقاء بعد اليأس من عودتى ٠٠ الا أننى لم أكن سعيدا بهذه العودة ، ولم أكن سعيدا بهذه الحرية التى عادت لى بالأمر كما انتزعت منى بلا منطق أو عقل بالأمر أيضا ٠٠ وأحسست ساعتها بأننى أدخل مرحلة جديدة وخطيرة فى حياتى تمثل تحولا هاما فى فكرى وفى حركتى كأديب وكاتب سياسى وروائى معا » ٠٠

وقد قالت لى زوجتى بعد أن عدت اليها أن زكريا محيى الدين كان اتصل بها بمجرد القبض على وخروجى من البيت وقال لها أن تطمئن ٠٠ وانى سأعود اليها حالا ٠٠ وعلمت أن القبض تم بدون أى قرار من أى مسئول ٠٠ وان زكريا محيى الدين اتصل بأحمد أنور وطلب منه أن يفرج عنى ولكن أحمد أنور رفض فاضطر زكريا محيى الدين أن يتصل بعبد الناصر ويبلغه النبأ ٠٠ وربما كنت الشخص الوحيد الذى تلقى مكالمة تليفونية من جمال عبد الناصر وهو داخل السجن ٠٠ ليعتذر له ٠٠

٢٨ ـ احسان صاحب فكرة تأميم الصحافة

يقول الأستاذ احسان :

« الشيء المؤكد أن الفترة الأولى التى قضيتها فى السجن الحربى بعد قيام الثورة من ابريل الى نهاية يولية ١٩٥٤ أصابتنى بجرح نفسى عام ، وزعزعت ثقتى بالكثير مما كنا نحلم به فى سنوات الاعداد للثورة وان لم ترعزع ثقتى بالثورة ذاتها كفكرة وكنظرية حتمية للتغيير ·· ولكن خروجى بأمر من المرحوم جمال ثم محاولاته المتكررة لازالة ما علق بنفسى من آثار هذه المحنة ، قد خفف عبء وطأتها على قلبى ·· وكان من الممكن أن أعتبر ما حدث من أمر اعتقالى الأول ، مجرد عارض طارىء مما يحفل به تاريخ الثورات !! ولكن اعتقالى للمرة الثانية ، جعلنى أتأكد تماما أن الأمر جد لا هزل فيه ، وأن ما خفت حدوثه ـ كوهم قد تحول الى واقع مؤلم ، لابد من التفكير فى مواجهته مواجهة مكشوفة بدون تزويق أو خداع النفس ! ·· وهكذا فتحت عينى على ما لم أكن أحب أن أراه يجرى للثورة المصرية الشابة ، التى كانت ولا تزال حلم كل حالم بالحرية ـ بمعناها الحق ـ لا بمعناها المزيف ، الذى أجهد أصحاب الشعارات البراقة أنفسهم فى فرضه على الناس ·· لأحدد بها بين نفسى أولا ، موقعى من هذه الثورة ·· وهذا ما فعلته منذ ذلك الوقت المبكر ·· وهو ما عرفه المرحوم جمال عنى معرفة اليقين ·· وهو نفسه ما أعلنه الآن بصراحة ووضوح لا لبس فيهما ·· أنا مع الثورة كمفكر تقدمى متجدد ، يؤمن بالانسان

الحر ٠٠ وبحق هذا الانسان في أن يحدد مصيره بكل ما يملك من حق الهي في الحرية ٠٠ وبحقه في أن يأخذ بالأسباب ـ المشروعة ـ التي تصل به الى تملك حريته ٠٠ حرية حقيقية ٠٠ لا حرية الشعارات الجوفاء !! ٠٠
أنا مع الثورة كنظرية تصنع التغيير لصالح الانسان ٠٠ وكتطبيق سليم لهذه النظرية يهبط بها من سماء الأحلام الوردية ٠٠ التي تراود الثوار في سنوات الاعداد تحت السطح الى أرض الواقع المجرد التي تتحرك عليه الملايين ٠٠ ولكنني ضد الانحراف بالثورة عن طريقها السوى من حركة لصالح المجموعة الى حركة احتكارية لصالح جماعة خاصة ٠٠ سواء كانت هذه الجماعة رسمية معلنة ٠٠ أم طفيلية غير شرعية وغير معلنة ٠٠ !!
وأنا ضد الاستيلاء على الثورة أو محاولة سرقتها لصالح فئة دون فئة أو طبقة دون طبقة ، **لأن التسليم بحق جماعة أو فئة أو طبقة في سرقة حركة المجموع لصالحها سيؤدى بالضرورة الى الآثار المدمرة التي يحدثها قانون التناقض الداخلي ـ الذى يؤمن به الماركسيون أنفسهم ـ ذلك القانون الذى يقول بان الدورة الحتمية للتغيير انما تنبع من وجود الشيء ونقيضه في الكيان الواحد !!** واستيلاء جماعة معينة على ثورة شعب سيؤدى الى ارضاء هذه الجماعة وتميزها وانفرادها بخيرات الثورة ، ولكنه سيؤدى بالضرورة الى سخط غيرها من الجماعات التي لم تحظ بما حظى بما حظى به غيرها ! ومن ثم يبدأ السخط خافتا ٠٠ ثم هادرا ٠٠ ثم يبدأ بالتفكير في التخلص من الفئة أو الجماعة التي ميزت نفسها ـ بحق أو بغير حق ـ عن غيرها من طبقات الشعب الثائر ٠٠ !

واذا كان الماركسيون ـ رغم ايمانهم بحتمية قانون التناقض الداخلي هذا ـ قد تجاهلوه عند التطبيق ، الا أنني كمفكر حر لم يستعبد طوال حياته لشخص معين أو لفكر بذاته ، استطعت أن أصل الى حل بسيط لهذه المعادلة الصعبة حتى التزمت بالثورة كنظرية تغيير من أجل الجميع ٠٠ ورفضت رفضا قاطعا أى انحراف بهذه النظرية عن مسارها أثناء التطبيق وهذا الموقف النظرى المجرد ، جعلني أتخذ موقفا سلوكيا محددا بعد خروجي من المعتقل للمرة الثانية ٠٠ تأييد كامل للثورة كنظرية ٠٠ وتجاهل متعمد بمراكز القوى التي كانت آخذة في النمو بشكل لا يدع مجالا للشك في المصير الذى يحاولون أن يجروا الثورة اليه ٠٠ ومن هنا ظهر للجميع أنني ككاتب متحرر من قيود التبعية غير مستعد للتعبير عن السلطة ، مهما كانت المغريات التي تحيط بي في هذا السبيل ، وقد عرف المرحوم جمال عبد الناصر هذا بوضوح ٠٠ وفهمه مني مباشرة بلا لبس أو

موارية ، وأغلب الظن أنه قدر هــذا الموقف تقـــديرا نابعا من معرفته بشخصيتي ٠٠ وبعنادي وصـــلابتي في أي موقف أتخـــذه عن اقتناع وايمان ٠٠

« وعلى الرغم من هــذا فانني لم أبتعد ابتعادا كاملا عن السياسة فكرا وممارسة ، وكانت المواقف الحادة في تاريخ الثورة المصرية تدفعني الى الخوض في تيارها أملا في القاء ضوء ــ مهما كان يسيرا متواضعا ــ فهو قبل كل شيء ضوء متحرر شريف ، ولا يبغي سوى مصلحة جموع الشعب كله » ٠٠ وأذكر في هذا الصدد أن المقال الذي كتبته ــ في مجلة روز اليوسف عن الملكية العامة للصحافة أثار اهتمام المرحوم جمال ٠٠ وعقب صدور المجلة ، أبلغني د٠ عبد القادر حاتم أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد اهتم بمقالي ، وأنه يفكر جديا في تأميم الصحافة ٠٠ ولم تمض سوى أيام حتى صدر قانون تأميم الصحافة بالفعل ، وكانت المفاجأة التي أذهلتني ، أن صيغة القانون الذي صدر كانت تضم أربعة سطور من المقال الذي كتبته ٠٠ كما كنت الوحيد الذي صدر مع قرار التأميم قرار تعييني رئيسا لمؤسسة روز اليوسف ٠

وقد كنت أطالب بتأميم الصحافة رغم أني صاحب جريدة لعـدة اسباب أولها أن جميع المؤسسات في مصر كانت قد أممت فكيف تعيش الصـحافة بلا تأميم في بلد كل ما فيه مؤمم ٠٠ ثانيها أن الرقابة على الصحف كانت قد بلغت مداها ولم يعد للصحافة أي خيط من خيوط الحرية ٠٠ وثالثا لأن روز اليوسف بالذات كانت عاجزة بسبب ضعف راسمالها عن مسايرة التطور في اصدار الصحف الذي يحتاج الى رأس مال كبير لشراء الآلات واستكمال المتطلبات ٠٠ حتى أني كنت أخشى على روز اليوسف ألا تستمر في الصدور وهي في قوتها وأن تتغلب عليها دور الصحف الأخرى الغنية برؤوس أموالها ٠٠ وكنت أفكر في أن أجعل من روز اليوسف شركة مساهمة ٠٠ ولكني خفت أن تتغلب هذه الشركة على حريتي ٠٠ ولم يعد أمامي الا أن أتمنى التأميم ٠٠ وأذكر أن عبد الحكيم عامر عرض على مرة أن تدفع لي الحكومة ما يعاونني ٠٠ ولكني رفضت ٠٠ وقلت اني لست في حاجة الى معاونة ولكني أقبل أن تدخل الحكومة شريكة معي في روز اليوسف بنسبة الثلث أو النصف ٠٠ واندهش عبد الحكيم عامر من هذا الاقتراح ٠٠ وأخيرا تم التأميم ٠٠ ولم أكن أعرف اني عندما كنت أطالب بالتأميم كنت أضحي بنفسي في سبيل الابقاء على روز اليوسف ٠٠ وكل ما في روز اليوسف اليوم من أول آلات الطباعة حتى المقـاعد

والمكاتب هو بفضل التأميم ٠٠ أى ليس من أموالى لأنه لم يكن عندى أموال ٠٠ أما أنا فقد خسرت أساس حريتى فى سبيل الابقاء على روز اليوسف ٠٠

والذى حدث بعد التأميم أن كل العاملين فى روز اليوسف انقلبوا الى موظفين ٠٠ وأنا لا أستطيع أن أكون موظفا ٠٠ ولا أستطيع التعامل مع موظفين ٠٠ ولا أفهم عقلية ولغة الموظف ٠٠ فبدأت أعانى معاناة قاسية طويلة الى أن اضطررت أن أترك روز اليوسف وأعمل بعيدا عنها ٠٠ وان كانت مجلة روز اليوسف ومجلة صباح الخير لا يزالان يعيشان فى قلبى وكأنهما قطعة منى ٠٠ حتى أنى كتبت انى بعد أن أموت أتمنى أن تشيع جنازتى من أمام باب روز اليوسف ٠٠ فهى أمى التى نشأت وتربيت بين صفحاتها ٠٠

٢٩ ـ مراكز القوى تصدر قرارا باعدام احسان

يقول الأستاذ احسان :

عندما بدأت مراكز القوى تلعب لعبتها داخل مصر للاستيلاء غير الشرعى على السلطة الشرعية أحسست بأن أكذوبة اليسار ستكون هى الستار الذى ستختفى وراءه مراكز القوى كى تثب على السلطة الشرعية وزاد من احساسى بالخطر ماحدث فى العراق عندما انفرد عبد الكريم قاسم بالسلطة واستولى على ثورة ١٤ يولية الشهيرة لصالحه مستندا فى هذا الى تأييد الشيوعيين ، ٠٠ وما وضح للجميع وقتها من أن الاتحاد السوفيتى اتخذ موقفا معينا وعلنا مع عبد الكريم ضد زملائه ورفاقه فى الثورة ٠٠ وساعتها أحسست بالخطر المؤكد القـادم فى الطريق بالنســبة للثورة المصرية ٠٠ ولم أتردد فى مواجهته صراحة وعلنا بقلمى ، وبكل ما أملك من مقومات النضال السياسى بالكتابة السياسية أو القصصية ٠٠ !! وكان من الطبيعى أن يتكتل الشـيوعيون فى دار روز اليـوسف وخارجها ضدى ٠٠ وانهالت التقـارير التى يكتبها هؤلاء ويبعثون بها الى سفارة معينة يتعاملون معها !! ٠٠ وجمع بين هؤلاء جميعا الحقد المشترك ٠٠ وأكاد أقول ٠٠ الخوف المشترك من وجود قلم حر ٠٠ يأبى صاحبه أن يركع على قدميه ، ويرفض صاحبه أن يحول المداد الذى يكتب به الى بخور دنس يحرقه تحت أقدام الطواغيت التى وضعتها الصدفة فى طريق ثورة الشعب ٠٠

« وكانت أولى ثمرات الحقد التي حققوها قرار تخفيض درجتي الوظيفية في مؤسسة روز اليوسف من رئيس مجلس ادارة للمؤسسة كلها بما تصدره من مجلات ومطبوعات الى رئيس تحرير فقط !! » ..

يقول الأستاذ احسان :

« لم أقاوم قرار تخفيض درجتي الوظيفية في مؤسسة«روز اليوسف» من رئيس مجلس الادارة للمؤسسة لثقتي الكاملة من أن أية محاولة للمقاومة لن تؤدى الى نتيجة سوى اهدار كرامة عشت عمرى أصونها..!! ولم يكن أمامى سوى موقف واحد لا بديل له .. هو رفض القرار بشكل عملى .. ان تعذر على رفضه بشكل رسمى !! .. وطلبت أن يرفع اسمى من المجلة « كرئيس للتحرير » .. ! .. مع استعدادى للاستمرار فى العمل ككاتب فقط .. وحتى لا أعطى نفسى فرصة للتراجع ، أو أعطى غيرى فرصة للتأثير على ، غادرت روز اليوسف الى بيتى ، على قرار لا رجعة فيه .. اما أن يرفع اسمى كرئيس للتحرير .. أو .. هو الفراق الذى لا لقاء بعده بالدار التى أعطيتها بالرضا معظم عمرى .. وعشت بين جدرانها أخطار الحوادث التى غيرت مجرى التاريخ فى حياة مصر قبل الثورة وبعدها على السواء !!

وكان موقفا صارما بلا جدال .. ولكنه موقف يتمشى تماما مع مكونات شخصية أستاذنا التى ورثها من مجتمع روز اليوسف ـ الأم والمجلة ـ التى قال عنها أستاذنا فكرى أباظة ، انها تبز فى شجاعتها الرجال .. !! ..

يقول كاتبنا الكبير :

« كان على أن أواجه الموقف بشجاعة صارمة .. ولم يكن أمامى خيار .. ! .. فالمسألة ان أكون أو لا أكون .. ! واخترت أصعب الموقفين وأشرفهما .. وجمعت أوراقى وقصدت بيتى تاركا خصومى فى مواجهة قرار لا رجعة فيه .. اما أن يرفع اسمى من المجلة كرئيس تحرير وأتحول الى مجرد كاتب غير مسئول عن شىء فى المجلة الا ما أكتبه بقلمى .. أو هو الفراق الذى لا لقاء بعده بالدار التى شهدت حياتى تنمو بين جدرانها كشجيرة صغيرة..ثم ككيان صلب يصارع أعنف التيارات والعواصف!.. وقد أتهم بالأنانية وحب الذات ، حبا دفعنى الى عدم المقاومة دفاعا عن الدار الصحفية التى كانت ذات يوم وبكفاح مؤسستها فاطمة اليوسف وكفاح من عملوا معها من شجعان الرجال .. ! .. رمزا لحرية الصحافة المصرية ونضالها ضد كل طغيان أو عدوان على حرية الشعب

في التعبير عن نفسه ٠٠ ولكن المسألة أكبر من مجرد احساس فرد ـ مهما تعاظم ـ بالذات ! ٠٠ لأن مراكز القوى كانت مصممة على الخلاص من كل فرد استعصى عليها أن تحتويه أو تستولى على قلمه ٠٠ ولقد كانت مراكز القوى عازمة على القضاء على تماما ، ولو اقتضى الأمر التفكير فى اغتيالى ٠٠ كما حدث بالفعل فيما بعد٠٠! وكنت واثقا تماما أن ما أكتبه بقلمى تعتبره مراكز القوى جلدا بسياط الكلمات لكل الآثام التى كانوا يمارسونها فى الخفاء تحت سطح السياسة المصرية ، ويظنون أنها خافية على الأعين ، بينما يشم رائحتها الكريهة كل حر غيور على بلده !

« ٠٠٠ ومن هنا كنت واثقا من أن قرار تخفيض درجتى الوظيفية من رئيس مجلس ادارة الى رئيس تحرير له ما بعد !! ٠٠ ولم أكن على استعداد لكى أمنح خصومى متعة الاحساس بالنجاح فى اهانتى ٠٠

« ٠٠٠ وهذا هو ما جعلنى أتشدد ، وأبالغ فى رفض التنازل عن موقفى وقتها ٠٠ ورغم نصائح بعض من يسمون أنفسهم (بالعقلاء) فقد انتهت الأزمة اذ ذاك نهاية مؤقتة بتحقيق رغبتى ، وانكمشت صلتى بروز اليوسف الى صلة كاتب ـ أن يكون صغيرا أو كبيرا ـ فهو كاتب٠٠ يرتبط بالقارىء أكثر مما يرتبط بالدار الصحفية أو ادارتها ٠٠ ! ٠٠ ورغم ما فى هذا الموقف الجديد من عذاب نفسى لى ولمن يحبوننى ، الا أننى وجدت فيه راحة مؤقتة ، كنت فى أشد الحاجة اليها فى تلك الفترة ، التى كانت أشبه بفترات الاستجمام أو النقاهة ، التى يحاول الفرد أن يستجمع خلالها نشاطه ويستعيد قوته ، استعدادا لمرحلة نضال عصيب كنت ألمح نذرها تتجمع فى الأفق ! ٠٠

« لم أكن من السذاجة بحيث أتصور أن المسألة ستقف عند حد القرار بتخفيض درجتى من رئيس مجلس ادارة مؤسسة روز اليوسف ، والمسئول عن كل شئونها اداريا وماليا وصحفيا٠٠الى مجرد رئيس تحرير لاحدى مجلات الدار ٠٠ !

« لقد كنت واثقا من أن المسألة أكبر من هذا بكثير وأن الحرب قد بدأت بكل شراستها ووحشيتها بينى ـ وأنا وحيد شبه أعزل الا من قلمى ـ وبين قوى الانتهازية التى تمارس خدعة ما يسمى باليسار ، تساندها سفارة معينة تعيش على التقارير التى يكتبها المتعاملون معها ٠٠ ثم ٠٠ مراكز القوى التى كانت تعد نفسها للوثبة الأخيرة على السلطة الشرعية ، ولو اقتضاها الأمر مواجهة علنية وصريحة مع ممثل هذه السلطة ! ٠٠ ومعنى هذا أنه كان على أن أتوقع المزيد من الشرور

والاعتداء سواء على وضعى الوظيفى كصحفى ، آثر أن يتحول الى مجرد كاتب يبعث بمقاله الأسبوعى للمجلة ٠٠ أو كانسان ورب أسرة يهمها بقاؤه حيا ٠٠ !

« ولقد عشت شهورا طويلة فى حدس وتخمين ٠٠ من أين تأتى الضربة القادمة ؟! ٠٠ وهل سيكتفى خصومى بطردى من الصحافة نهائيا ٠٠ باعتبارى صاحب قلم غير مرغوب فيه ٠٠ ؟! ٠٠ وهل ستعتبر مراكز القوى مثل هذا القرار ـ الذى يمثل عذاب الموت بالنسبة لى ـ عقابا كافيا لازاحتى من طريقهم ، يأمنون به شرى وشر قلمى ٠٠ ؟! ٠٠ أم أنهم سيكونون أكثر اندفاعا على طريق الجريمة ، فيتجهون مباشرة الى اغتيالى وازاحتى من طريقهم الى الأبد ؟! ٠٠ وأى الاحتمالين أقرب الى نفسية وعقلية خصومى ، وهم خليط غريب من الانتهازيين والعملاء وكتبة التقارير ، ومدعى التقدمية ، ولصوص السلطة الشرعية الذين يتحينون الفرصة للانقضاض عليها ونهبها لصالحهم الشخصى !!

« وقد تضحكين بينك وبين نفسك ، اذا قلت لك اننى كأديب روائى ، سهرت ليالى بأكملها ، أعقد هذه الموازنة الغريبة بين نتائج كل من الأسلوبين ٠٠ أسلوب طردى من الصحافة كقتل أدبى ٠٠ وأسلوب اغتيالى كقتل مادى ٠٠ وأتصور نفسى مكان خصومى ، وأضع الحجج والبراهين التى تفضل كل أسلوب على الآخر !

« وفجأة اتصل بى صديق العمر المرحوم يوسف السباعى ليبلغنى بالأسلوب الذى فضله خصومى للقضاء على ٠٠ ! لقد صدر قرار بعزلى من الصحافة ٠٠ ! وطردى من روز اليوسف أنا ويوسف السباعى ٠٠ لأن مرتبى ومرتب صديقى يوسف يمثل عبئا على المؤسسة ٠٠ !! ٠٠ ورغم انفعال يوسف السباعى بالقرار ، فقد قابلته بهدوء لأننى كنت أتوقعه ، وكان القرار قد صدر منذ ثلاثة أيام ، وقد خجل صديقى الدكتور عبد القادر حاتم من ابلاغه لى ، فطلب من يوسف السباعى أن يتولى ابلاغه لى ! ٠٠ وهكذا بكل بساطة قرر خصومى بقرار من سطر واحد اسدال الستار على كل تاريخى فى الصحافة المصرية ، منذ كتبت أول سطر باسم مستعار فى مجلة روز اليوسف ، الى أن أصبحت بالممارسة الشريفة واحدا من حملة الأقلام الذى رأى لصوص السلطة أننى أمثل خطرا عليهم ! ٠٠ لقد كان قرارا بالاعدام ٠٠ ولكننى واجهته بشجاعة !! » ٠٠

... تصور احسان ! الثائر .. البطل .. الصحفى الجرىء يصادر قلمه وفكره !! .. ومتى ؟! .. بعد ثورة ٢٣ يوليو التى شارك بحياته وقلمه وفكره فى سبيل قيامها ..

ولكن ما هو السبب الحقيقى الذى أدى الى قرار عزله عن الصحافة عام ١٩٦٦ ؟ ..

قال لى أستاذنا :

« فى عام ١٩٦٦ ، سافرت الى تشيكوسلوفاكيا وعدت لأكتب مقالا أتنبأ فيه بأن الروس سوف يهاجمون تشيكوسلوفاكيا .. ولكن رئيس مجلس الادارة أحمد فؤاد آنذاك ومعه رئيس التحرير أحمد حمروش حذفوا بعض هذه السطور ، فاعتبرت ذلك اهانة ، وفضلت الامتناع عن الكتابة والجلوس فى البيت ، فاتصل أحمد فؤاد وأحمد حمروش على الفور بعلى صبرى الذى أصدر قرار عزلى من الصحافة دون أن يعلم المرحوم جمال عبد الناصر شيئا بهذا القرار .. وحينما علم بعد ثلاثة أيام من صدوره ، أطاح بأحمد فؤاد وعين بدلا منه أحمد بهاء الدين بالرغم من أنه كان رئيسا لمجلس ادارة دار الهلال فى ذلك الوقت ، وبذلك أصبح يجمع بين المؤسستين ، ودعانى أحمد بهاء الدين بالطبع للعودة للكتابة بروز اليوسف ولكننى رفضت نظرا للحزازات التى قد تحدث نظرا لأننى كنت يوما ما صاحبا لهذه المؤسسة ، وطلبت منه أن أكتب فى دار الهلال بمرتبى فى روز اليوسف .. وظللت أكتب فيها الى أن فعل أحمد بهاء الدين معى ما فعله أحمد حمروش من قبل ، اذ أنه حذف لى بعض سطور من مقال ، فغضبت لهذه الاهانة الكبيرة ، وتركت له المؤسستين ، وكان فى ذلك الوقت يلح على الأستاذ هيكل للعمل كرئيس تحرير لأخبار اليوم .. فوافقت ، وانتقلت الى مؤسسة أخبار اليوم » .

٣٠ ـ احسان يرفض (شعار ازالة آثار العدوان)

وتأتى نكسة ١٩٦٧ والأستاذ احسان متوليا رئاسة تحرير أخبار اليوم .. فما هى ذكرياته عن تلك النكسة المؤلمة ؟ ...

يقول أستاذنا :

« هناك طبعا العديد من الذكريات الشديدة الايلام ، وكثير منها لم يحن الوقت بعد لكشفه ، لأن المصلحة العامة تقتضى أحيانا هذا السكوت ! .. ولكن ما لا يدرك كله .. لا يترك كله .. ويكفى أن أشير الى قضية من عديد من القضايا التى كانت مثار صراع وصدام بينى وبين مراكز القوى .. كقضية الخلاف على تحديد اللفظ المناسب لمعنى معين .. هو ما حدث لمصر وجيشها بل للأمة العربية كلها معنا فى الخامس من يونية عام ١٩٦٧ ... وقد يدهش القارىء عندما يسمع أن تحديد مثل هذه الكلمة التى تعبر عن أبشع مأساة عاشها شعبنا في تاريخه الحديث، يمكن أن تكون مثار خلاف وصل الى حد التفكير فى وضع نهاية دموية له ! .. لقد قالوا .. وبسرعة عجيبة : انها نكسة ! وذعرت من هذه الجرأة التى دفعت بهم الى استمرار الفساد والافساد حتى فى مفردات اللغة ! .. ما هذا يا سادة ؟! .. ان للنكسة معنى مختلفا تماما عن الكارثة التى حلت ؟! .. وقد تيسر لكم السلطة غير الشرعية التى ملكتم أسبابها أن تزيفوا كل شىء .. ولكن أن يصل بكم الأمر الى تزييف اللغة ! .. وافسادها .. فهذا ليس من حقكم بأى حال من الأحوال ! وهذا

ما لا تقدرون عليه ولو ملكتم قدرة نيرون وشهوته وحبه المجنون للدمار والتخريب ! ·· لأن افسادكم للغة يعني ميلكم الى قهر الشعب ماديا الى قهره معنويا وروحيا ·· وافساد لغة أمة أكثر اجراما من ابادة هذه الأمة عن بكرة أبيها ! ·· لأن اهلاك شعب ما ، أرحم بكثير آلاف المرات ، من مسخ عقليته وافساد لغته ، وزعمكم بأن ما حدث نكسة ·· كذب متعمد·· واصراركم على نشر هذه الأكذوبة وفرضها على الشعب ، عملية تدمير متعمد ومسخ مقصود لمعنويات الأمة ولغتها ·· ! وبالتالى لشخصيتها ككل ·· وهى كبرى الجرائم الوطنية ، وأن ما حدث فى الخامس من يونية ١٩٦٧ هزيمة كاملة بل هو فضيحة مدوية··وهى ليست فضيحة لشعب مصر ، لأن شعب مصر كان يعيش هنا فى وادى النيل ودلتاه ·· آمنا لوعودكم ، ومطمئنا لعهودكم التى قطعتموها على أنفسكم بأن تحققوا له النصر الذى أعددتم له كل ما استحدثته الحضارة الحديثة من أسباب القوة العسكرية والقتالية ·· ! ·· ثم ·· هى أيضا ليست فضيحة لجيش مصر ·· لأن هذا الجيش لم تتح له الفرصة ليحارب ·· لا دفاعا عن بقائكم أنتم ·· بل دفاعا عن كرامة مصر وشعبها الطيب ·· لقد تم كل شىء غيلة وغدرا ·· وبسرعة مجنونة أفاق الجميع بعدها ·· فاذا الكارثة قد حلت ، واذا بها الهزيمة الساحقة ·· التى تحاولون كذبا ·· أن تسموها نكسة ! ··

« ولقد قلت هذا لخاصة أصدقائى ، فنصحونى بالصمت التام خوفا على من الموت الزؤام !! ·· ولكننى لم أكن أملك القدرة على الصمت ، فقلت بعضه على الأقل للعقلاء من خصومى !! وحاول هذا البعض أن يسمع آخر ما عندى ، فسعوا الى استدراجى لمزيد من الكلام ، ولم أكن بحاجة الى أى استدراج أو أى اغراء بالكلام لأقول ما أومن بأنه حق ·· فقلت لهم :

« ان ما حدث فى سيناء كان هزيمة لكل الشعارات الكاذبة التى رفعت طويلا ، وظلت معلقة كبالونات فى الهواء بعيدا عن أرض الواقع الثورى الذى كانت الجماهير تحلم بتحقيقه بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ،. فلما وقعت الواقعة انفجرت هذه الشعارات « البالونية » فى الهواء ثم تساقطت على أرض سيناء وقلت لهم أن الذى سحل وديس على رمال سيناء هو القهر والتجبر والاستعلاء الكاذب والتسلط بغير حق وسياسة كلمة تمام ! لأن أول صدمة بين واقعهم الهلامى المزيف ، وبين واقع العدو الذى يفكر ويدبر ويعمل ليوم اللقاء ، أثبت أنهم كانوا كاذبين ·· وأن كل شىء لم يكن تماما !!

وقلت لهم : ان ما حدث أمر غير طبيعي ، لأن مقدماته غير طبيعية٠٠ وأسبابه أيضا غير طبيعية٠٠لأن هزيمة شعب مصر بكل ثقله الجماهيرى والمادى وتاريخه الحضارى أمام اسرائيل أمر غير طبيعي ٠٠ وقد حدثت نتيجـــة لأسباب مفتعلة اصطنعوها هم وفرضوها على حيـــاة الشعب المصرى ٠٠ وواجبهم أن يكونوا شجعانا وأن يتحركوا من باب الوطنية وحـــدها ولا أبرئهم منها أو أنفيها عنهم ٠٠ لكى يزيلوا الأسباب التى صنعت الهزيمة ، ويتركوا الشعب ليصنع لنفسه بنفسه الأسباب الطبيعية التى تؤدى به الى النصر !!

وأخيرا قلت لهم : اذا كان عندكم أدني شك في صـــدق ما أقول فاذكروا جيـــدا ما حدث يومى التاسع والعاشر من يونية عام ١٩٦٧ ، وتدبروا معنى ما حدث لعل هذا ينير لكم الطريق ٠٠ !

ان ما حدث فى هذين اليومين لا يمكن أن يمحى من ذاكرة مصرى عايش هذين اليومين ٠٠ فقد كان يوم الجمعة ٩ يونية ـ حزيران الأسود كما سماه الشاعر نزار قباني هو يوم راحة اليأس !! ٠٠ عندما استيقن الشعب تماما من حلول المصيبة ، عقب الخطاب التاريخى الذى أكد به المرحوم جمال عبد الناصر ، صدق ما كانت تذيعه الاذاعات الأجنبية من حلول « الهزيمة الساحقة » ووصول اسرائيل الى قناة السويس ٠٠ ثم أعلن أنه يتحمل وحـــده عبء ما حـــدث ، ومن ثم ٠٠ فهو يترك الحكم مستقيلا ٠٠ وقامت قيامة الشعب ، وانفجرت المظاهرات التى لم يضللها الظلام السائد فى القاهرة ، وفى كل مدن وقرى الجمهورية بفعل الحرب القصيرة الأمد ! ٠٠ ولم تعقها انفجارات القنابل ولا أصوات الرصاص الذى لم يعرف بعـــد من كان يطلقه فى سماء القـــاهرة فى تلك الليلة المشئومة ٠٠ وكانت صباح السبت ١٠ يونية مظاهرات لا تهدأ ٠٠ وجماهير محتشدة لا تنفض ٠٠

ان ما حدث فى يومى ٩ ، ١٠ يونية ، لو تدبرتم معناه جد خطير٠٠ لأن الجماهير التى تظاهرت فى هذين اليومين كانت غاضبة فعلا ، وكانت ساخطة حقيقة ٠٠ وأنا على يقين من ان هذه المظاهرات تحركت بعفوية أصيلة ، ولم يحركها أحد ٠٠ لأنه لم يكن يوجد فى هذين اليومين ذلك « الأحد » الذى يملك القدرة على التفكير فى شئ أبعد من باب حجرته ، فضلا عن التفكير أو القدرة على تحريك تلك الجماهير العريضة الهائلة !! وغضب الجماهير يومها كان منصبا على معنى واحد أحسست بأنه يمثل اهانة لتراث الشعب المصرى وأصالته ٠٠ لقد أحست الجماهير بأن مجرد

تفكير عبد الناصر في الاستقالة والانسحاب من مسرح السلطة المصرية . حاملا معه وزر الهزيمة الذى حمل نفسه به طائعا هو فى حقيقته رضا بما يرفضه هذا الشعب الصلب الارادة ‥ ! رضا بأن يغير نظام الحكم المصرى فى الداخل بسبب ضغوط قوة خارجية دخيلة !! ‥ واذا كان عبد الناصر قد رضى . عن طيب خاطر ، أن يتحمل عبء الهزيمة وحده فان الشعب كان يفكر فى شيء أكبر وأسمى من مجرد تحديد المسئول عن الهزيمة !! ‥ كانت المسألة ساعتها كرامة مصر وأصالتها وصمودها كلها ‥ حكاما ومحكومين !! يجب أن يقف الجميع صفا واحدا صلبا فى وجه الخطر والدخيل ‥ ثم ‥ تأتى ساعة الحساب بعد أن يزول الخطر‥ وتتم الاجابة على السؤال الرهيب ‥ تكون مصر أو لا تكون ! ولهذا قالت مصر لعبد الناصر : قف مكانك ‥ لا تعتزل الحكم ! حتى لو كان اعتزالك سيطفيء غضب العدو الغازى ! ‥ **قف مكانك فلست الآن فردا حاكما ‥ ولكنك رمزا لارادة شعب عرف الحضارة ونظام الحكم والدولة المستقرة** فى الوقت الذى كان غيره من البشر ، يشاركون القرود شقلبتها على فروع الأشجار وسط الغابات ‥ اثبت يا عبد الناصر ‥ وثبت عبد الناصر ‥ واستسلم راضيا لارادة الشعب ‥ هذا يا سادة هو المعنى الحقيقى ليومى ٩ . ١٠ يونية ‥ لقد اجتاز الشعب معكم محنة المواجهة السياسة مع الخصم المنتصر عسكريا ‥ وواجبكم الآن أن تعوا هذا المعنى ، وأن تكشفوا بشجاعة الهزيمة ، لكى يعبر الشعب معكم هذه الأسباب الى نصر تقدر مصر ويقدر شعبها على تحقيقه ‥ لو أعطيتموه الفرصة ليحققه ! » .

وعن مشاعره الخاصة تجاه النكسة يقول :

« لا أستطيع أن أصف لك حقيقة مشاعرى يومها بأكثر من كلمة واحدة هى ‥ اننى صعقت !! ‥ أقولها ببساطة الانسان والمواطن العادى ، لا بخيال الكاتب أو الأديب الروائى ‥ نعم تلك هى الحقيقة المجردة . لقد صعقت تماما يومها ‥ عندما بدأت تتكشف أنباء الهزيمة الساحقة التى لحقت بنا . وأصبت يومها بالذهول الكامل الذى شل قدرتى حتى على البكاء كنوع من التنفيس السلبى عن النفس ‥ وعندما زال عنى الذهول تحولت الى انسان عصبى لا يطاق سواء فى بيتى وسط أسرتى الصغيرة ‥ أو فى مكتبى ومع زملائى والعاملين معى ‥ كنت سريع الانفعال والغضب . ميالا للمشاكسة مع الآخرين ، وهى حالة ادركها وأعرف أسبابها تماما ، واذا كان علم النفس يعتبرها نوعا من النكوص العقلى والانفعالى والارتداد الى مرحلة الطفولة ومشاغباتها ، هروبا من واقع أثبتت الحقيقة الرهيبة فشله ‥ فاننى الآن – وحتى

أيامها ـ كنت أعرف السبب الحقيقى وراء هذا الموقف العصبى العنيف الذى كنت أجتازه ! ٠٠ لقد كان السبب فى احساسى المضاعف بهول الهزيمة وبشاعتها ٠٠ اننى كنت واحدا من الكتاب الذين خدعوا ، كما خدع الشعب كله أيامها ٠٠ وأذكر أننى سألت أربعة من «كبار المسئولين» عن مدى استعدادنا خاصة بعد أن كشفنا صراحة عن قدرتنا على مواجهة أى تحرش اسرائيلى والرد عليه بقسوة رادعة ٠٠ وكانت اجابة الأربعة المسئولين الكبار ٠٠ واحدة : اطمئن تماما ٠٠ قوتنا العسكرية مستكملة تماما من جميع الوجوه . وفى جميع الميادين ٠٠

« ورغم تأكيد المسئولين الكبار ٠٠ فان مخاوف الفرد المدنى تعاودنى ، عندما يدور الحديث عن احتمالات الحرب واندلاع القتال ٠٠ وألمح لهم الى خوفى من حديثنا الصريح عن قوتنا العسكرية ٠٠ الذى وصل الى حد نشر صور لأحدث أنواع الأسلحة التى زودت بها قواتنا المتجهة لسيناء ـ قبيل الخامس من يونيـة ١٩٦٧ ـ وأنظر اليها فى رعب ٠٠ كيف سمحت الرقابة العسكرية بنشر مثل هذه الصور مشفوعة بما تحتها من حقائق مكشوفة عن قواتنا المسلحة ٠٠ ألا يعتبر هذا لعبا بالنار ٠٠؟! ألا نخدم عدونا بمثل هذا الاعلام الساذج الذى يفوق فى سذاجته حديث أى قروية بسيطة عن ابنهـا الذى يستعد للاطاحة بخصومه بالبلطة والنبوت ٠٠ ! ٠٠ ومن العجب أن أذكر أن رد الأربعة الكبار على مخاوفى هذه كانت السخرية المرحة من هذا الساذج ـ الذى هو أنا ـ الذى لا يعرف أن كل شىء محسوب حسابه ! ٠٠ ويصدق الساذج ما يقوله المسئولون غير السذج من تأكيدات فى حتمية النصر القادم ٠٠ ! ٠٠ وأكتب هـذا بالفعل فى أخبار اليوم ، فى الأيام القليلة السابقة لليوم الأسود واطمئن المواطنين ، وأكاد ـ لولا الحياء ـ أن أطلب منهم شراء زجاجات الشربات ، فى انتظار النصر القادم على سبيل التأكيد ٠٠ ويأتى يوم الاثنين الحزين ـ الخامس من يونية ـ فاذا بالنصر الذى لم نحسن اعداد العدة لاستقباله، يتركنا غاضبا ٠٠ ويعبر القناة الى الضفة الأخرى ، ليستقر فى معسكر خصم دبر لاستقبال النصر فى صمت بالغ ، وذكاء لابد من الاعتراف به حتى للعدو ٠٠ !

« ٠٠٠ وتتوالى أنباء الهزيمة المفجعة ساعة بعد ساعة ويمضى الخامس من يونية ، ثم السادس ٠٠ وأذهب الى مكتبى يوم الأربعاء ٧ يونية عام ١٩٦٧ ، ويدخل على أحد رجال الدين الكبار ، ويرى ما أنا فيه من مرارة

الاحساس بالهزيمة ·· فيحاول التخفيف عني ، ولكن بطريقة خانها التوفيق ·· وأفاجأ به يقول :

ـ لا تثقل على نفسك بكل هذا الحزن ·· فلعل ما تراه شرا كل الشر ، يحمل الينا خيرا لا نرى ضوءه الآن ونحن نتخبط فى ظلام الهزيمة المفاجئة !

ـ أى خير في الهزيمة يا مولانا ؟

ـ هل أتكلم بصراحة ؟!

ـ تفضل ·· ما هو الخير الذى تتصور أن تحمله الهزيمة التى لحقت بنا ؟! ·· انها شر ·· ركررت الكلمة الأخيرة : شر ·· شر ·· وأنا أكاد أصرخ ··

وكأنما استفز صراخي رجل الدين الكبير ، فاذا به يصرخ فى وجهى بعنف : بل هى خير ·· واسمعها منى صريحة !! ان الله الذى يحب مصر وشعبها ، قد أراد انقاذنا بهذه الهزيمة العابرة مما هو شر من الهزيمة ·· ولكنه شر دائم !!

وذهلت من كلام الرجل··كيف وهو العاقل المتزن··ورجل الدين المتفتح ·· المثقف ثقافة شبه موسوعية ·· الغيور على وطنه ·· كيف به وتلك بعض صفاته التى أعرفها عنه ويعرفها الجميع ·· ثم يسمح للسانه أن ينطق بهذا الالحاد الوطنى ؟!!

ولم ينتظر الشيخ الوقور لكى أنطق بالسؤال الذى طالعه فى عينى الغاضبتين ·· فقال :

ـ لا تظن بى كما يظن أولئك الذين لا يتورعون عن التصريح بفجور ·· ان الدين أفيون الشعوب !!·· ولا تثر بنفسك الشكوك حول وطنيتى ·· فأنت خير من يعرفها ، ويعرف دورى فى الحركة الوطنية قبل الثورة ·· وثق أن منطلقى فى قول ما قلت ، هو أن حب الوطن من الايمان ·· وحبى الصادق يدفعنى الى أن أسألك بصراحة : ماذا يدريك يا صديقى ، لو أننا كنا قد انتصرنا ـ كما أكد لنا الذين خدعونا ـ فان الوضع كان سيستمر على ما هو عليه ، ولن ينقلب الى ماهو أسوأ مما نعانى منه جميعا من كبت الحريات العامة والخاصة ، والاعتداء على حرمات الجماعات وكرامة الأفراد ؟!

قد يكون كلامي مرا في فمك ٠٠ ولكنها مرارة الحقيقة التي يفاجأ الانسان بأنه لابد من مواجهتها ٠٠ كالدواء المر !!

وثرت ثورة عاتية في وجه ضيفي الوقور ، ولم أتمالك نفسي عن أن أقول بعصبية ، وبلهجة تجاوز كل حدود المجاملة :

ـ ان كلامك هذا ـ حتى مع التسليم بشرف بواعثه ـ مرفوض تماما يامولاى ٠٠ لأنك تفكر فيما نفذه الخديو توفيق بالفعل وجر به على مصر وشعبها ، ويلات عانى الشعب منها أكثر من سبعين عاما ٠٠ !

وارتبك الرجل المسن ، وسألني متلعثما :

ـ ماذا تقصد يا احسان ؟! ٠٠ أوضح أرجوك ٠٠

ـ ان احساسك بالرضا ! وتقبل هذه الهزيمة التي فرضت على جيش مصر ـ وعلى شعبها قبل الجيش ـ يعني أنك تعتبرها شرا عابرا للخلاص من شر فيه احتمال الاستمرار ، وهو وضع سياسي انحرف بالثورة عن مسارها الصحيح ٠٠ وهذا حل مرفوض تماما ٠٠ لأنه حل أجنبي لمشكلة مصرية خالصة ٠٠ وهو نفس الخطأ الذي وقع فيه توفيق بك اسماعيل عندما استعدى الانجليز على عرابى ، لينقض عليه وعلى حركته في مهدها ٠٠ وأقولها لك بصراحة يا مولانا : ان الشعب المصري بكل أصالته يرفض تمام الرفض أن تحل مشاكله مع الذين انحرفوا بالثورة عن مسارها الصحيح ، بواسطة حل تفرضه حراب جيش الدفاع الاسرائيلي !! ولو فرضنا وساءت الأمور في ميدان القتال الى الحد الذي يمكن اسرائيل ـ مثلا ـ من املاء شروطها ٠٠ فانى على يقين من أن الشعب المصري ، قد يقبل أى شرط ـ تحت ضغط الواقع العسكري ـ ولكنني على يقين من أن هناك شرطا معينا ، لن يقبله شعب مصر ٠٠ سيرفضه الجميع ٠٠ الرجال والنساء والأطفال ٠٠ حتى ذرات التراب المصري الذي تشرب عرق الأصالة المصرية سيثور احتجاجا على هذا الشرط لو انه طرح ٠٠ !

وأصيب ضيفي رجل الدين الوقور بما يشبه الذهول ٠٠ ! ٠٠

وسألني :

ـ أي شرط هذا الذي تثق كل هذه الثقة من أن كل مصري سيرفضه هذا الرفض القاطع ؟ ٠٠

ـ أى محاولة للمساس بوضع الرئيس جمال عبد الناصر من السلطة الحاكمة ؟!

ـ ومن أين جاءتك هذه الثقة ؟!

ـ من حركة التاريخ المصرى ٠٠ من عشرات المرات التى وقف فيها هذا الشعب ، ليرفض أى حل أجنبى لمشاكله الداخلية ٠٠ من مساندة فلاحى مصر البسطاء لعرابى فى مقاومته للانجليز الذين استعداهم توفيق للخلاص من عدوه اللدود ٠٠ تلك المقاومة التى بدت وقتها غير منطقية فى نظر المؤرخين الأجانب ٠٠ الذين لم يتعمقوا فى دراسة الشخصية المصرية !! » ٠٠

« لا تتصورى مدى سعادتى وأنا أستمع الى هناف الآلاف بالعشرات والمئات ٠٠ وهى تهدر بالرفض القاطع لاستقالة عبد الناصر التى أذاعها يوم الجمعة ٩ يونيو ، متحملا وحده أوزار الهزيمة !! ٠٠ كنت سعيدا لأن هذا الشعب أثبت أصالته وعراقته ، حين رفض استقالة عبد الناصر ٠٠ وطالبه بأن يستمر فى موقعه حتى يقضى على أسباب الهزيمة ٠٠ لتكن هناك أخطاء ٠٠ بل وأخطاء قاتلة ، ولكن الشعب يرفض أن تصحح هذه الأخطاء بحل أجنبى مفروض !! ٠٠

« وشرعت على الفور فى الكتابة بصراحة ٠٠ أو كما يقولون : اللعب على المكشوف !! واذا كانت مراكز القوى قد رفعت وقتها شعارا زائفا سمته : « ازالة آثار العدوان !! » ٠٠ فقد رفضت هذا الشعار الوهمى المريض ٠٠ وكتبت فى أخبار اليوم ٠٠ قبل ازالة آثار العدوان يجب أن نزيل أسباب العدوان وأسباب الهزيمة أمام هذا العدوان ٠٠

« وطالبت فى « أخبار اليوم » بمواجهة صريحة مع النفس تنتهى بتحديد أسباب الهزيمة ٠٠ التى سموها من باب الخداع نكسة ٠٠ واذا استطاع الشعب أن يحدد أسباب الهزيمة ٠٠ واعتبر خصومى ـ من مراكز القوى ـ اننى أكتب مطالبا بالقضاء عليهم شخصيا ، لأن احساسهم بالذنب والجريمة فى حق الشعب وحق حرياته ، رسب فى أعماقهم الاحساس بأنهم صناع الهزيمة ٠٠ وبدأ بعض العقلاء ينصحوننى بالتخفيف من لغة مقالاتى فى أخبار اليوم ، ولكننى كنت مؤمنا بكل حرف كتبته ، فلم أتوقف . بل طالبت صراحة ـ فى أحد مقالاتى ـ بأن النظام الذى تحمل مسئولية الهزيمة ، يجب أن يتحمل نتائجها ، ويحمل عبء حلها » ٠٠

٣١ ـ احسان ٠٠ والسادات

يقول أستاذنا احسان عبد القدوس :

« تربص لى خصومى حتى تمكنوا من طردى من أخبار اليوم عـام ١٩٦٨ وكان محمود أمين العالم رئيسا لمجلس الادارة ، فأبلغنى بقرار نقلى الى روز اليوسف ٠٠ فثرت على هذه القرارات المتتالية والتى لا يمكن أن تصدر الا من طفل يعبث بمن حوله ٠٠ فرفضت أن أكون لعبة فى يده يطوحها حينما يشاء ٠٠ فقررت أن أمكث فى بيتى والامتناع نهائيا عن الكتابة !!

« لقـد كنت واثقا من أن الضربة التالية ، بعد أن صـدر القرار بطردى من الأخبار ، ستشير الى مدى أبعد ٠٠

« وقد تندهشين اذا عرفت مثلا أننى كنت أفكر ـ أحيانا ـ بصوت عال مع شريكة حياتى ، فى الأسلوب الذى سيتبعونه للخلاص منى٠٠!٠٠ هل سيدسون لى السم فى الطعام ؟! أم يتخلصون منى برصاصة طائشة فى الظلام ؟!! ٠٠ وظللت أعايش هذه الهواجس . أحيانا بشكل جاد فيما بينى وبين نفسى،وأحيانا بشكل ظاهره المرح والسخرية مع أصدقائى أو فى محيط أسرتى الصغيرة ٠٠ حتى كان اليـوم الذى لا أنساه يوم ٤ ابريل عـام ١٩٦٨ ٠٠ ونزلت من شقتى بالعمـارة التى أسكن بها بالجزيرة ٠٠ وفى الشارع الهادىء المطل على النيل ٠٠ وفجأة اندفعت

احدى السيارات بشكل جنونى ، وانحرفت عن مسارها ، متجهة نحوى فى سرعة مخيفة ، نجحت فى شل تفكيرى وحركتى ، بحيث بقيت واقفا مكانى . حتى حدث ما حدث !! .. وكانت سرعة السيارة وقوة الضربة كافيتين تماما للقضاء على قضاء كاملا .. ولكن .. كان للسماء رأى آخر . يختلف عما دبروه .. فأفقت لأجد نفسى فى المستشفى مصابا باصابات بالغة الخطورة .. وظللت طريح الفراش بضعة أشهر .

« كان التحقيق فى الحادث المريب ، يتكشف عن أحداث غاية فى العجب والغرابة ..

يقول أستاذنا :

وحين أفقت فى المستشفى عقب أن صـــدمتنى السيارة فى يوم ٤ ابريل عام ١٩٦٨ ولم أفق الا بعد ثلاثة عشر يوما ، وعلمت أن الجانى قد قبض عليه !! .. واتضـح أنه شاب أجنبى عن مصر .. وأنه ألمـانى الجنسية !! » ..

واستطرد أستاذنا قائلا :

« لم أدرس القانون فى مطلع حياتى من باب العبث !! .. ولهذا فاننى أعجز عن معرفة من الجانى ؟! وأنا اذ أعلن عجزى هذا .. لا أتظاهر بالعدل مع خصومى .. ولكنى أقرر حقيقة أؤمن بها فعلا .. ورغم أن كل الناس قد أجمعوا على أن الحادث هو حادث مدبر لقتلى الا أنى لم أجد دليلا واحدا يقنعنى بأنه حادث مدبر وان كان الشك بدأ يطوف بى عندما جاء وقت محاكمة قائد السيارة الشاب الألمانى .. فاذا به قد اختفى .. سافر الى بلده .. رغم أن النيابة كانت قد أفرجت عنه بضمان .. كيف استطاع أن يهرب وهو فى ذمة النيابة .. ورغم ذلك فانى الى اليوم أعتبر الحادث قضاء وقدرا رغم كل ما يقوله الناس ..



... وتمر الأيام والشهور .. ويأتى عام ١٩٦٩ ويصدر الزعيم جمـال عبد الناصر قرارا بأن يتولى أنور السـادات مسئولية الاشراف على أخبار اليوم وصحف أخرى ، فى حين يتولى على صبرى الاشراف على الجمهورية وصحف أخرى ، ويكون جمال عبد الناصر نفسه هو المشرف على الأهـرام .. وكان أول ما فعله أنور السادات أن ذهب الى الأستاذ احسان فى بيته وصحبه معه الى أخبار اليوم وأعاده رئيسا للتحرير ..

ويبقى رئيسا للتحرير الى أن يتولى أنور السادات رئاسة الجمهورية فيختاره رئيسا لمجلس الادارة ..

ويأتي عام ١٩٧٣ ، حيث أصدر الرئيس أنور السادات قراره التاريخي بالعبور .. وكانت حرب أكتوبر المجيدة ..

وعن ذكرياته عن حرب رمضان يقول :

« على الرغم من أن الرئيس أنور السادات كان يؤكد لى عزمه على خوض المعركة فى كل مرة ألتقى به خلالها ، الا أن ضخامة المشاكل التى كانت تواجهنا قبل المعركة ، كانت تجعلنى أقف موقف الحيرة والتساؤل .. كيف سيجتاز الرئيس السادات كل هذه المصاعب وهو فى طريقه لاجتياز عقبة العقبات ؟! .. ولكن توالى الأحداث أقنعنى بالتدريج أن فلاح مصر الصبور الصموت أنور السادات ، ماض فى طريقه .. يقطع خطواته على الدرب الموصل فى صمت .. وعزم .. ! وقد كنت معه فى جميع الخطوات التى اتخذها .. ابتداء من ابعاد مراكز القوى ، ثم ابعاد الخبراء الروس .. كنت متجاوبا معه فى سياسته ولم يبدأ الخلاف بيننا الا بعد أن انتهت معركة ١٩٧٣ ..

ويظل الأستاذ احسان رئيسا لمجلس ادارة أخبار اليوم الى أن يفرج عن الأستاذ مصطفى أمين عام ١٩٧٤ ، فيقوم من مقعده على الفور ليعود لصاحبه الأصلى ..

قال لى الأستاذ احسان :

أذكر أنى فى عام ١٩٧١ طلبت من أنور السادات الافراج عن مصطفى أمين .. أو على الأقل تحديد اقامته فى بيته .. ولكن أنور السادات رفض بعنف .. وقدرت رفضه على احتياجه لارضاء الروس .. ولكنه أفرج عن مصطفى بعد ذلك بسنوات بعد أن لم يعد محتاجا الى الروس .. وقد دعيت على الفور لمكتبه الذى غاب عنه تسع سنوات .. وكان مصطفى يمانع فى البداية ، ويقول أنه يكتفى بأن يكون كاتبا متفرغا فى الأخبار ، ولكنى قلت له : لا تضحك على نفسك يا مصطفى .. فأنا أعلم بشعورك ، فقد جربت أن أكون كاتبا فى مؤسسة كنت مالكها .. الأمر صعب للغاية على النفس يا مصطفى » ..

ويستقيل الأستاذ احسان من رئاسة مجلس ادارة مؤسسة أخبار اليوم عام ١٩٧٤ حتى يترك مكانه لمصطفى أو على أمين وينتقل لجريدة

الأهرام كاتبا متفرغا بها بناء على طلبه الشخصي من الرئيس السادات الى أن جاء عام ١٩٧٥ فأصدر قرارا بتعيينه رئيسا لمجلس ادارة الأهرام الى أن اشتد الخلاف في الرأى السياسي بينهما عام ١٩٧٦ ، وقد كان الرئيس السادات يتصل دائما بالأستاذ احسان بعد أن يلقى خطابا ليسأله رأيه فيه ٠٠ وفي خطابه الذى ألقاه في شهر مارس عام ١٩٧٦ كان لأستاذنا اعتراضات كثيرة عليه قالها للرئيس السادات وهو يحادثه في التليفون وقال له أنى لن أكتب هذه الاعتراضات ولكن فقط أبلغها لك ٠٠ ولكن الرئيس السادات طلب منه وأصر على أن يكتب اعتراضاته وفعلا يكتبها الأستاذ احسان في الأهرام يوم ١٩ مارس ١٩٧٦ تحت عنوان « **تساؤلات حول خطاب الرئيس السادات** » قال فيه : « عندما تحدث الرئيس عن القوات المسلحة قال أنها « أحد عناصر تحالف قوى الشعب ولكن لا شك أن لها وضعها الخاص » وفي حدود هذا الوضع الخاص يقتصر دور القوات المسلحة على أمر واحد بالغ القيمة والأهمية وهو حماية الدستور والشرعية الدستورية » ٠٠

كيف تقوم القوات المسلحة بحماية الدستور ؟

هـل معنى ذلك أن تتدخل القوات المسلحة سياسيا في تصرفات السلطة التنفيذية حتى تطمئن دائما الى انها تصرفات دستورية ٠٠

وما هي حدود حماية الدستور ؟ ٠٠ ومن الذى يأمر أو يطلب من القوات المسلحة أن تحكم مصر » ٠٠

ويؤكد أستاذنا في هذا المقال أن الخوف على الدستور لا ينحصر في الانقلابات العسكرية بل أن الخوف على الدستور بالذات ينطلق أقوى من تعارض القوى والاتجاهات الشعبية وأن الدستور لا يمكن أن يقوم اعتمادا على حماية أو فرض ارادة القوات المسلحة وبالتالى فان الجيش لا يحمى الدستور من مخالفة أو سن تعديل ولكنه يحميه فقط من الالغاء أى أن القوات المسلحة مع أنها أحد عناصر قوى الشعب العامل ليس من حقهـا أن تحمل أى مسئولية سياسية ٠٠

« أن حقها هو فقط حماية كيان الدولة القائم على الشرعية الدستورية والديمقراطية التى يعبر عنها الدستور لا تفرض حماية الدولة من الاعتداء الخارجي فحسب بل حمايتها أيضا من الانهيار الداخلي ، وهذا هو ما حدث أخيرا في الهند عندما قامت ثورة شعبية تحت قيادة زعامات معترف بها واعتبرت أنديرا غاندى هذه الثورة خروجا على الشرعية الدستورية لأنها

ـ أى هذه الثورة ـ كانت تستطيع أن تعبر عن أهدافها من خلال النظام الدستورى..ولم تستطع أنديرا غاندى أن تقاوم هذه الثورة وأن تستمر بالنظام القائم الا اعتمادا على اتفاقها مع القوات المسلحة » ..

وبعد نشر هذا المقال بثلاثة أيام فوجىء بالرئيس يصدر قرارا بتعيينه مستشارا لجريدة الأهرام !! .. وقد غضب الأستاذ احسان من هذا القرار لا لأنه كان متمسكا برئاسة مجلس الادارة ولكن لأن الرئيس أصدر قراره دون أن يبلغه به مقدما بحكم الصداقة بينهما .. أى أن الرئيس عامل الأستاذ احسان بأسلوب رسمى لا بأسلوب الصديق .. ولذلك امتنع بعدها أستاذنا عن الاتصال بالرئيس السادات قائلا انه مادام الرئيس قرر أن يعامله بصفته الرسمية فهو وحده أصبح صاحب حق الاتصال .. أما هو فلا يمكن أن يتصل به الا كصديق ..

وكان هذا المقال هو آخر مقال سياسي كتبه فى الأهرام وبعدها قرر عدم الكتابة السياسية فى الأهرام ..

قد لا يعرف القارىء أن الأستاذ الكبير احسان عبد القدوس منع من الكتابة السياسية فى عهد الرئيس الراحل أنور السادات مرات عدة حتى أنه قرر فى النهاية عدم الكتابة السياسية فى الصحف المصرية ، واتجه بقلمه الحر الذى ظل يناضل من أجل اعلاء كلمة الحق ويكافح من أجل الحرية والديمقراطية ويزج به فى السجن مرات عديدة وهو ماض فى طريقه هذا لا يلين ولا يخشى مؤامرات الاغتيال التى تعرض لها .. أبدا فهى لم تستطع أن تنال منه شيئا ولم تستطع أن تجعله يحيد عن فكره الحر الأبى .. هذا القلم العفيف لا يجد له مكانا فى صحف بلده ويضطر للكتابة فى الصحف العربية ليكتب ما لا يستطيع أن يكتبه فى الصحف المصرية . ويخسر المواطن المصرى الكثير من آرائه العظيمة والتى يكسبها المواطن العربى فى الوقت ذاته .. وأول مرة منع فيها من الكتابة فى عهد السادات حينما كان رئيسا لمؤسسة أخبار اليوم .. فقد كتب مقالا أوضح فيه حقيقة العقيد القذافى .. فهو لن يعطى أبدا فى سبيل مبدأ يؤمن به أو فى سبيل تحرير مصر والعرب أو فى سبيل هزيمة اسرائيل .. انه لن يعطى الا فى سبيل مطالب وأحلام خاصة به فى سبيل أن يصل الى حكم مصر .. فغضب القذافى من هذا المقال وحاول اغتيال كاتبنا ـ وهو ما أعلنه الرئيس السادات بعد القطيعة فى بيان رسمى .. ولكى يرضيه السادات منعه من الكتابة على الرغم من انه يؤيده تماما فيما كتبه .. وحينما ساءت العلاقات بينه وبين القذافى طلب منه أن

يعود للكتابة ويهاجم القدافى مرة أخرى ولكنه رفض ٠٠ فالكاتب لايكتب بقرار من الحاكم فى عرف احسان عبد القدوس ٠٠

وحدث أيضا عندنا منع بابه الأسبوعى «على مقهى الشارع السياسى» فى مجلة أكتوبر أكثر من مرة ، قرر عدم الكتابة فى المجلة نهائيا ٠٠ فى نفس اليوم الذى قرر فيه ذلك جاءه رئيس تحرير المجلة وقال له : « ان مقالتك الأسبوعية تعجب الملايين الا واحدا ٠٠ وأنا لا أستطيع تحدى هذا الواحد ولا أقوى على غضبه !! ٠٠ وفى الحال أبلغه أستاذنا بقراره الذى أرضى رئيس التحرير وبالتالى أرضى هذا الواحد الذى لا يعجبه الآن «مقالاته ، وهو الذى كان يؤمن ويؤيد كل كلمة يكتبها على مدار ثلاثين عاما !! ٠٠

« كان أنور السادات يخطو خطواته بعد دراسة كاملة للواقع ووضع كل الاحتمالات الواقعية التى يمكن أن تصادف العملية التى يقوم بها ٠٠ ولو استعرضنا حياته منذ كان ضابطا صغيرا فى الجيش أيام الحرب العالمية وكان الواقع يفرض عليه أن يتعامل مع الألمان حتى يحقق عن طريقهم تحرير مصر من الانجليز ٠٠ وأقدم على عملية انتهت باعتقاله وطرده من الجيش ٠٠ وأنور السادات كان مرتبطا منذ البداية بتشكيل الضباط الأحرار ولكن الواقع القائم فى مصر كان يضم أكثر من تشكيل ثورى مختلف الاتجاهات من أقصى اليمين الى أقصى اليسار وقد دفعه هذا الواقع الى أن يعيش داخل هذه التشكيلات دون أن يعرف أحد الى الى أى تشكيل ينتمى ٠ وكان يبقى فترة كأنه معتقل فى بيته ولكن الواقع الذى كان يقدره السادات هو أن الثورة لا يمكن أن تستمر الا بعبد الناصر لذلك استسلم لهذا الواقع وتعمد ألا يصل الخلاف بينهما الى حد التخلى عنه أو الى حد أن يتخلى عنه عبد الناصر كما حدث مع أغلبية أعضاء الثورة الذى لا يملكون قدرة أنور السادات فى التعامل مع الواقع ٠٠

وعندما تولى الحكم كان على علم كامل بواقع مناطق وشخصيات النفوذ التى كانت تحيط بعبد الناصر ورغم ذلك لم يصدر قراره بالتخلص

منهم الا بعد أن سكت وصبر عاما ٠٠ ونجد نفس الشيء اتخذه تجاه واقع السياسة السوفيتية فهو على علم بواقع تعاملها مع مصر ومع ذلك حاول معها من جديد وتعالى الى حد أن وقع معاهدة مع روسيا لم يوقعها عبد الناصر الى أن دفعه اليأس الى الاستسلام للواقع واتخذ بروح الجرأة على تحقيق ما يقتنع به وروح المغامرة السياسية التى تعتبر من علامات طبيعة شخصيته ٠٠ اتخذ قراره بالتخلص من روسيا ٠٠

ومعركة ١٩٧٣ أيضا تمت فى حدود الواقع الذى يقوم عليه دائما فكر أنور السادات فقد تم التخطيط والهدف فى حدود الواقع العسكرى والسياسى لمصر ٠٠ فقد كان الهدف المخطط هو استرداد قناة السويس والوصـــول الى ممرات سيناء ثم الاعتماد بعـــد ذلك على الحل السياسى ولذلك أعلن مشروع الصلح بعد ستة أيام فقط من بدء القتال وبعـد أن كانت قواتنا قد وصلت الى الأهداف المحددة وهو ما توقعه وخطط له السادات ٠٠ وانحصرت المشكلة بين مصر واسرائيل فى مفاوضات تحت قيادة أمريكا ـ وهذا فرض عليه فى الواقع كسب ثقة وصداقة أمريكا واستطاع السادات أن يحقق رأيها على اسرائيل٠٠ان اسرائيل لا تريد السلام ، وقدر السادات واقع أن اسرائيل تعانى من عقدة كراهيتها للعرب وخوفها منهم٠٠وبجرأته السياسية التى تتميز بها شخصيته وقدرته على الاندفاع نحو المجهول قرر زيارة القدس على الرغم من أنه كان قد أعلن أنه اذا تم الصلح فلن يستطيع اقامة علاقات مع اسرائيل لأنه من جيل عانى ثلاثين عاما من اعتداءات اسرائيل وربما استطاع الجيل القادم الذى لم يعان هذه الاعتداءات أن يقيم علاقات مع اسرائيل٠٠ولكنه الواقع الذى يفرض هذا عليه ٠٠ وفى كامب دافيد لا شك أن الرئيس السادات كان يريد أكثر مما استطاع أن يصل اليه ، واذا كان قد قبل ما يستطيع فليس معنى ذلك أنه يتنازل عما يريد ٠٠ انما اعترافه بالواقعية يجعله يخطو خطوة فى سبيل الكسب وهو يفكر فى الخطوة التالية ليكسب أكثر وقد كان السادات دائم التفكير فى الخطوة التالية ٠٠ وهو بلا شك كان يتمنى أن تبقى مصر مرتبطة بالبلاد العربية ولكن الواقع كان يؤيد له أن العقلية العربية لن تستطيع أن تفهم وتتجاوب مع المغامرات السياسية وفى الوقت نفسه كان واثقا أن مصر هى القوة التى يعتمد عليها العرب ولا يمكنهم الاستغناء عنها ٠٠ وقرر أنه مهما عارضه العرب ورفضوا خطواته فسيأتى اليوم الذى يقتنعون فيه بأن كل خطوة لصالح مستقبل العرب لا مستقبل

مصر وحدها .. وكان الأمل يكبر معه يوما بعد يوم حتى آخر أيامه مع حرصه الدائم ألا يضعف أو تضعف مصر لتصل الى اقتناع عربي مشترك » .

سألت الأستاذ احسان عن آخر لقاء تم بينه وبين الرئيس الراحل أنور السادات .. قال :

ـ في اجتماعه مع المجلس الأعلى للصحافة وكان قد مضى علينا خمس سنوات لم ير أحدنا الآخر ولم نتصل .. وكان حضورى مفاجأة له وللحاضرين .. فقد اعتقل ابنى محمد منذ أيام قليلة .. وبعد أن انتهى الاجتماع اقترب منى مصافحا وكل منا ينظر الى الآخر كأنه يتأسف ويعتذر له .. قلت له : « اننى متفق مع ابنى محمد على مبدأ حرية الرأى ومهما اختلفنا فى الرأى فكل منا يحترم حرية الآخر فى رأيه وصاحب الرأى يتحمل مسئولية رأيه .. وعندما وقع التحفظ عليه لم أسع للاتصال بك أو بأى انسان للافراج عنه .. تركته يتحمل المسئولية وأنا مطمئن الى أنه لن يتعرض الا لما تفرضه ظروف المرحلة .. وكلنا سبق ودخلنا السجن وتحملنا مسئولية آرائنا السياسية .. ! .. أن محمد صحفى ناجح بشهادة رؤسائه فى العمل وكل من عملوا معه ولكن نجاحه فى الصحافة لم يغنه ولم يبعده عن التعبير عن رأيه السياسى ، وأنا واثق أن كل آرائه السياسية ليس وراءها أهداف خاصة انما هو الرأى للرأى » ..

.. وذكرته عندما كان رئيسا لمجلس الأمة عام ١٩٦٨ وقامت مظاهرة جامعية معارضة واتجهت الى المجلس وما كاد يطل عليها من نافذة مكتبه حتى رأى ابنى أحمد فى مقدمة المتظاهرين ، فترك نافذته فورا واتصل بى بالتليفون وحدثنى غاضبا لان ابنى مشترك فى المظاهرة وقلت له يومها : ان لا أبى ولا أبوك كانا يوافقان على اشتراكنا فى الحياة السياسية ولكنها حرية الجيل الجديد ..

قد كان أنور السادات هو الذى أنقذ أحمد من الغرق فى البحر وهو صغير عام ١٩٥٣ وهو يحبه جدا حتى أنه قال : ان أغلى قبلة دفع ثمنها فى حياته هى قبلة أنور السادات .. فقد دفع ثمن تذكرة طائرة من غرب أمريكا الى شرقها عندما ذهب السادات الى هناك فقط ليقبله !! ..

وعن اغتيال الرئيس السادات يقول الأستاذ احسان :

واحسست أن مصر كلها وقعت فى حالة من الذهول وصل الى حد الجمود .. أنا نفسى عشت أياما فى هذا الذهول والجمود ولا أستطيع

أن أجد حتى الألم ليعيننى على احتمال الصدمة ‥ الصدمة التى تغلبت فيها المفاجأة على المستحيل ‥ كيف يغتال أنور السادات فى هذا اليوم بالذات ووسط هذا الحفل بالذات ‥ وبهذه الوسيلة بالذات ؟ ‥ ان السادات كان يعيش احتمال الاغتيال وكان يتخذ كل ما يمكن أن يصل اليه الفكر لحماية نفسه ‥ الدولة كلها كانت مجندة لحمايته ‥ ولكن كل جرائم الاغتيال التى شهدها التاريخ كانت تتغلب فيها المفاجأة على المستحيل ‥ والمستحيل هو التحكم فى ارادة الله ‥ والله وحده هو القادر على المستحيل ‥ وقد عودنا أنور السادات طول حياته على المفاجآت السياسية حتى اختار أن يكون موته مفاجأة سياسية ولكنها مفاجأة مفزعة ‥ مفاجأة لا نؤيده فيها ‥ وكنا نتمنى أن نرفضها قبل أن نواجه بها » ‥

ولم يستطع كاتبنا الكبير أن يكتب رثاء لأنور السادات ‥ ان قلمه دائما لا يعبر عن دموعه ، فهو لم يكتب لأبيه رثاء ‥ ولم يستطع تشييع جنازة أمه … فقد ترك أنور السادات وحده يشيعها الى داخل قبرها وجرى هو هاربا بدموعه ‥

وعن تقييمه لمرحلة حكم الرئيس أنور السادات يقول الأستاذ احسان :

« اننى أضعه فى الاطار الذى أضع فيه كل تاريخ مصر منذ بدء الثورة ‥ فقد تولى حكم مصر أربعة رؤساء أؤمن بأن كلا منهم قام بدوره ثم انتهى عندما انتهى هذا الدور ‥ فمحمد نجيب قام بدوره فى تقديم الثورة فى صورة أكثر جدية بدلا من أن تكون مجرد ثورة شباب ‥ وبعد ذلك قام جمال عبد الناصر بدوره فى تحقيق ما تفرضه الثورة فعلا ، أى فى هدم كل ما كان قائما قبل الثورة وبناء مجتمع جديد ‥ ثم انتهى دور جمال عبد الناصر ‥ وكان الوضع بعد هزيمة ٦٧ يحتاج الى شخصية جريئة ليست شخصية عادية فاختار الله أنور السادات واستطاع أن ينقل مصر من حالة الى حالة ‥ ثم انتهى دوره وأصبحت مصر فى حاجة الى شخصية لها مقومات أخرى تستطيع أن تضمن لمصر الأمن والأمان والاستقرار والعودة الى الانضباط وبناء المستقبل على أسس من العدالة الاجتماعية فاختار الله حسنى مبارك ‥

حقا أن الله يحب مصر ولذلك فمشاكلها تحل بالقدر ‥ فهو يتطور بها من مرحلة الى أخرى وهو سبحانه وتعالى يختار لكل مرحلة ما يناسبها من الرجال وأن يتحمل مسئوليتها ‥

٣٢ ـ احسان ٠٠ والسلام

لقد كانت قضية فلسطين احدى القضايا الهامة التى شغلت فكر أستاذنا وجند لها قلمه وتعرض بسببها للاغتيال كما ذكرنا من قبـــل ولذلك كان بديهيا أن تكون له وجهة نظر فى اتفاقية السلام ٠٠٠

وكاتبنا يرى اننا فى مصر لا نزال نجتاز مرحلة التجارب أى اننا نقفز فوق تجارب سياسية وفوق تجارب اقتصادية ، وفوق تجارب اجتماعية ٠٠ وأخطر تجربة نعيشها هى تجربتنا مع اسرائيل ٠٠

يقول الأستاذ احسان عبد القدوس فى كتابه خواطر سياسية :

« جربنا مبدأ ثابتا وهو ما أخـــذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ٠٠ وعشنا كل عمرنا نستعد للحرب ونحارب ٠٠ وقبل أن نسترد الأرض قررنا أن نخوض تجربة جديدة مع اسرائيل ٠٠ تجربة السلم وظهر مبدأ جديد يقول « ما أخذ بالقوة يسترد بالسلم » ولكننا عندما قررنا تجربة السلم لم نضع للتجربة حدودا ثابتة أو أسلوبا ثابتا ، ولكننا وضعنا التجربة نفسها فى حقل من التجارب ٠٠ واسرائيل تعرف ذلك ٠٠ تعرف أننا نتكلم بأسلوب التجربة ٠٠ لا بأسلوب الاصرار ٠٠ ولهذا فهى تجد أن من السهل عليها أن ترفض كل تجربة ما دمنا على استعداد للخوض فى تجربة أخرى وأنا لا أقصد أننا نعرض المبادىء العامة للتجربة ٠٠ أى

أننا لا نجرب استعادة كل الأرض وأننا قد نرضى باسترداد بعض الأرض .. لا .. لا أقصد ذلك .. ولكنى أقصد أسلوب التجربة فى مفاوضة اسرائيل .. نجرب هذا لعلها ترضى فاذا رفضت نجرب ذاك .. وهذا هو ما يضعفنا أمام اسرائيل .. وهو أيضا ما يضعفنا ونحن بجانب أمريكا » ..

لذلك كان الأستاذ احسان يحدد دائما الصورة التى يجب أن يضعها المفاوض المصرى نصب عينيه على مائدة المفاوضات مع اسرائيل وهى ليست صورة الدولة المعقدة بعقدة عدم الثقة بجيرانها العرب ، ولكنها الدولة المعقدة بعقدة العظمة بالنسبة لنا نحن العرب وهذه العقدة لا يمكن شفاء اسرائيل منها بالتفاوض والهدوء ...

وهو يرى أن زيارة السادات للقدس لم يكن هدفها الأول والأساسى هو كسب اطمئنان حكام اسرائيل ولا حل العقدة النفسية بين العرب واليهود ولكن الزيارة كان أساسها كسب اطمئنان أمريكا وتخليص الساسة الأمريكان من العقد التى كان يأسرهم بها ساسة اسرائيل وادعاءات الصهيونية . ولولا هذا لكانت آثار المبادرة قد انتهت وانمحت بعد شهور حتى يتحرر ساسة اسرائيل منها .. وحتى يتخلصوا من القوة التى يشهرها السادات فى وجوههم كصاحب دعوة للسلام ..

ومن ناحية أخرى يحلل كاتبنا ما أصاب العالم العربى من تمزق وانهيار بأنه أثر عقدة سياسية أصبحت أقرب الى العقد النفسية المركبة وهى عقدة « الوحدة العربية » .

يقول الأستاذ احسان فى كتابه « خواطر سياسية » :

« الذى جعل من الوحدة عقدة هو أننا منذ بدأنا المناورة بها وحتى اليوم نضعها فى صورة واحدة هى « وحدة الحكم » ووحدة الحكم معناها أن يكون هناك حاكم واحد اذا تحققت الوحدة بين بلدين أو أكثر .. فمن يكون هذا الحاكم ؟ ومن ناحية أخرى فاننا أصبحنا نعتبر أى خطوة يمكن أن تؤدى الى وحدة موقف كأنها مقدمة لوحدة الحكم أو لوحدة الزعامة » هكذا المأساة التى جعلت العلاقات بين الدول العربية فى الواقع علاقات بين أشخاص الحكام .. لا علاقات بين مبادىء مشتركة ولا علاقات لحماية

.. تفهن مشترك ولا حتى علاقات بين شعوب من عرق واحد··انها علاقات تحكمها الصلات الشخصية بين الحكام » ··

وأستاذنا يعيش في الشارع السياسي بنبض رجله العادى وبفكر السياسي المحنك لذلك كان يشركه أمله في أن تجتمع قوة العرب كلها في مواجهة قوة اسرائيل حتى يسهل على كارتر ترجيح القوة الأكبر ··

ولكنه بتحليل السياسي المحنك يجد استحالة حدوث مثل هذا الاجتماع لأن العلاقات القائمة بين الدول العربية بعضها وبعض تنعكس انعكاسا مباشرا على علاقة كل دولة بأمريكا وبالاتحاد السوفيتي ··

وكاتبنا أول من ردد تعبير الوجود الفلسطيني ولم يكن يعني به مجرد حق اقامة مجموعة من الأفراد الفلسطينيين في بلد أو مكان ما فهو لا يعني اقامة مدينة من الخيام تجمع اللاجئين من الفلسطينيين ·· انما يقصد بالوجود الفلسطيني الشخصية الفلسطينية بكل مقومات الشخصية الوطنية الذاتية وهى الشخصية التى تحدد الكيان الفلسطيني المستقل ·· المستقل كوجود حتى ولو لم يكن مستقلا بالأرض التى يقيم عليها ··

كتب الأستاذ احسان عبد القدوس في جريدة الشرق الأوسط يوم ١١/٤/١٩٧٨ تحت عنوان « **القنبلة الثالثة** » يقول :

« قد كان أكبر خطأ وقع فيه المصير العربى هو تجاهل هذه الشخصية الفلسطينية المستقلة منذ بداية قرار التقسيم عندما رفضنا اقامة دولة فلسطينية فى مواجهة دولة اسرائيل بحجة عدم الاعتراف بالتقسيم » ··

وهو يرى أن هذه الشخصية الفلسطينية عبرت تطورات متعددة وأحيانا متناقضة وهى تحاول أن تبحث عن نفسها وتقيم كيانها وانها برزت بشكل أقوى واستكملت عناصر جديدة عليها بعد عام ١٩٦٧ وهو يرجع ذلك للهزيمة التى لحقت بمصر والأردن وسوريا وهى الدول التى تمثل نقط الارتكاز للقضية الفلسطينية فدفعت الفلسطينيين الى التحرر من وهم القاء المسئولية الكاملة على غيرهم وبدءوا يحملون أنفسهم هذه المسئولية ..مسئولية البحث عن الأرض والبحث عن المستقبل..

وأستاذنا يحذرهم فى كتابه خواطر سياسية فيقول :

« ان اسرائيل عندما تحتفظ بالأرض فانها لا تكتفي بالاحتلال العسكرى ولكنها تستوطنها ٠٠ وحتى تستوطن فان الشعب الحاكم يجب أن يكون شعبها وأغلبية السكان هي أغلبية شعبها ٠٠ وأن يكون الشعب الفلسطيني هو مجرد بقايا تاريخية لشعب كان يقيم هنا كشعب الأوبروجينز في استراليا أو كشعب الهنود الحمر في أمريكا » ٠٠

ولكن ما هو تقييم أستاذنا لاتفاقية السلام بين مصر واسرائيل :؟

كتب الأستاذ احسان يوم ١٩٧٨/٩/٢٧ أى بعد اتفاقيتى كامب ديفيد في جريدة الشرق الأوسط يقول :

« انني تعودت دائما أن أعتبر اسرائيل قوة استعمارية وتعودت أن أشبه الأحداث التي تجرى بيننا وبين اسرائيل بما كان يجرى بين مصر وبريطانيا أيام الاستعمار الانجليزى ٠٠ والدولة الاستعمارية لا يمكن أن تجلو بجيوشها دون أن تفرض شروطها ما دامت تنسحب بالمفاوضة لا بالهزيمة وفرض القوة ٠٠ وعندما قبلت بريطانيا الانسحاب من مصر عام ١٩٥٤ وقد انسحبت تحت ضغط أمريكا كما تنسحب اسرائيل اليوم اشترطت في الاتفاقية التي قبلها ووقعها جمال عبد الناصر شروطا كثيرة كان من بينها حق العودة لاحتلال منطقة القنال بجيوشها اذا قام احتمال حرب أو اذا هددت الحدود التركية ٠٠ وقبل عبد الناصر افتراض أن تعود الجيوش الأجنبية لاحتلال مصر لأنه كان يضع قبل الافتراض تحقيق الجلاء الفعلى عن مصر وبعدها ننتظر الأحداث وقد حررت الأحداث مصر من هذا القيد بعد اعتداء ١٩٥٦ وبعد تدخل أمريكا أيضا ٠٠

ولا شك أن اتفاقية الجلاء الاسرائيلي عن سيناء تفرض شروطا تقيد حرية مصر ٠٠ كتقييد حرية توزيع ونقل القوات المصرية على أرض سيناء المصرية .. بل أن اشتراط التبادل الدبلوماسي والاقتصادى والثقافي كان لا يمكن أن يشترط للجلاء ورغم ذلك قبل السادات توقيع الاتفاقية كما سبق أن قبل عبد الناصر اتفاقية ١٩٥٤ ٠٠ فالمهم هو جلاء القوات الاسرائيلية عن الأرض المصرية وبعدها يحدث ما يحدث ٠٠

واذا طبقنا نفس المنطق الاستعمارى على الاتفاقية الخاصة بالضفة الغربية وغزة لوجدنا انها أقرب الى تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى أصدره الانجليز وقرروا فيه الغاء الحماية البريطانية عن مصر والغاء الحكم العسكرى ومنح مصر الاستقلال مع بقاء قوات الاحتلال ومع احتفاظ بريطانيا بمسئولية تأمين المواصلات والدفاع عن مصر وحماية المصالح الأجنبية ٠٠ وهذا مع الفارق الكبير ٠٠فبريطانيا أصدرت تصريح ٢٨ فبراير من جانب

واحد أى بلا اتفاق كما حدث فى اسرائيل وربما كانت اسرائيل تعتمد وهى تقبل الحكم الذاتى لأهالى الضفة وغزة على نفس ما اعتمدت عليه بريطانيا عندما تركت مصر للحكم الذاتى ٠٠٠ فقد أشعل هذا الحكم الذاتى المعارك بين القيادات والأحزاب المصرية مما خفف عن بريطانيا ثقل الثورات الشعبية واستمر احتلالها لمصر بعد ذلك ثلاثين عاما ٠٠ لعل اسرائيل أيضا تعتمد على ما يمكن أن يقع بين الفلسطينيين من خلافات للسيطرة على الحكم الذاتى حتى تبقى ٠٠

المهم ٠٠٠ أن قبول هذه الاتفاقية الخاصة بالضفة وقطاع غزة لم يكن تحقيقا لما يريده أى عربى٠٠ولكنه كان خطوة نقبلها تحت ضغط الأوضاع التى يعيشها الفلسطينيون » ٠٠

وكان من رأى أستاذنا أنه لو كنا أقمنا للضفة الغربية وغزة دولة فلسطينية لتم فيها الجلاء كما تم عن سيناء ولذلك فهو يرى ماحدث على أنه خطوة تتطلب جهدا كبيرا ووعيا سياسيا راقيا وتجردا عن الأهداف الشخصية حتى تتحقق بعدها الخطوة التالية ٠٠٠

وهو يرى أن هناك معاهدتين ارتبطت بهما مصر أولاهما تعتبر المعاهدة الرئيسية رغم أنها معاهدة غير مكتوبة وهى تلك التى تربط مصر بالولايات المتحدة الأمريكية والعائد الذى تنتظره مصر من هذه المعاهدة هو الاعتماد على قوة النفوذ الأمريكى بالنسبة لاسرائيل لتحقيق المطالب القومية الخاصة بالأرض المحتلة ثم الاعتماد على الرخاء الأمريكى لتحقيق الرخاء المصرى ٠٠ أما العائد الذى تنتظره أمريكا من هذه المعاهدة غير المكتوبة فهو ضمان استقرار المنطقة تحت النفوذ الأمريكى ثم الاعتماد على مصر كقوة ضاربة داخل المنطقة التى تربط افريقيا بآسيا ٠٠ فاذا لم يتحقق هذا العائد تبخرت المعاهدة غير المكتوبة رغم مظاهر الصداقة والود وتبادل القبلات التى تربط بين السادات وكارتر فقد كانت هذه المظاهر أيضا تربط بين السادات يوما والرئيس السوفيتى بريجنيف وكان يتبادل القبلات معه هو الآخر ٠٠ أما المعاهدة الثانية فهى معاهدة السلام مع اسرائيل وقد تطلب اسرائيل عائدا لهذه المعاهدة لا تستطيع أن تتحمله مصر الى حد قد يضع مصر فى موقع يفرض عليها أن تختار بين موقفها من اسرائيل واحتفاظها بعروبتها أو يفرض عليها أن تختار بين احتفاظها بالشخصية القوية أو قبول الشخصية الضعيفة ثمنا للسلام ولذلك فان العائد على مصر وعلى اسرائيل هو الذى يحدد مصير هذه

المعاهدة وهو يؤكد أن أمريكا لجأت إلى عنصر الضغط على السادات ليقدم تنازلات .

وقد كان واثقا أن ما وصل اليه الرئيس السادات فى اتفــاقية السلام لم يكن كل ما يريده ولكنه كل ما استطاعه ..

ولهــذا فهو يرى أنه لا يمكن السكوت والاستسلام لبنود هــذه المعاهدة كأن يطلب من الرأى العام المصرى ـ والعربى أيضا ـ الاصرار الدائم على تعديل بنود المعاهدة وبذلك يساند أنور السادات ما دام هو الآخر مصرا على هذا التعديل ..

يقول الأستاذ احسان :

« ربما كنت فى ذلك متأثرا بالتاريخ المصرى الحديث عندما وقــع مصطفى النحاس باشا زعيم حزب الوفد معاهدة عام ١٩٣٦ مع بريطانيا والتى أسماها معاهدة الشرف والاستقلال رغم انها كانت تعترف بشرعية الاحتلال البريطانى لمنطقة السويس .. ثم بدأ الرأى العام المصرى يطالب بتعديل هذه المعاهدة وعندما فشل فى الوصول الى التعديل قام مصطفى النحاس نفسه وألغى المعاهدة التى كان قد سبق ووقعها وأسماها معاهدة الشرف والاستقلال » ..

وقال أيامها « لقد وقعت المعاهدة باسم مصر وألغيتها باسم مصر » .

ومعاهدة الجلاء التى وقعها جمال عبد الناصر عام ١٩٥٤ لا شك أنها حققت الجلاء العسكرى ولكنها لم تحقق الجلاء الاستراتيجى ولو بقيت حالة الســلام مستمرة فى مصر بعــد توقيع هذه المعــاهدة لقام جمال عبد الناصر نفسه بتعديلها أو الغائها وردد ما قاله مصطفى النحاس ..

ثم اتفاقية الانسحاب التى وقعت عقب الاعتداء الثلاثى عام ١٩٥٦ .. لقد تم الانسحاب فعلا ولكن الاتفاقية تركت عدة مواقع على أرض سيناء تحت سيطرة القوات الدولية وظلت هذه المواقع هى الخدش الذى لا يلتئم فى الاحساس الوطنى المصرى بل أن بعض الدول العربية كانت تعاير عبد الناصر بهذه المواقع وعبد الناصر نفسه كان يعانى هذا الاحساس الوطنى والثــابت انه بدأ حملة عــام ١٩٦٧ لتحرير سيناء .. وكان أول ما طالب به فعلا هو جلاء القوات الدولية عن سيناء وقد خانه التقدير أو خسر اللعبة واحتلت القوات الاسرائيلية كل سيناء .

كتب أستاذنا في جريدة الشرق الأوسط يوم ٣ يوليو ١٩٧٩ مقالا تحت عنوان « **ما رأيك في المستقبل ؟!!** » يقول فيه :

« لا يمكن أن تستمر معاهدة الا اذا كانت معاهدة لا تتعارض مع الوضع الطبيعى للوطن والدولة ‥ ومعاهدة السلام مع اسرائيل تحقق بعد أن يتم تنفيذها جلاء القوات الاسرائيلية فعلا عن سيناء وتحقق فعلا استمرار السلام ولكنها لا تحقق الوضع الطبيعى الذى تصر عليه على ان تصل اليه وتعيشه ‥

وقد تمر خمس سنوات أو عشر أو عشرون وقد لا تبدأ الحرب أبدا بين مصر واسرائيل ولكن ستبقى هذه المعاهدة هى عقدة العلاقات الطبيعية وعقدة استكمال الوضع المصرى الطبيعى الكامل الى أن يتم تعديلها أو الغائها ‥

وفى الوقت نفسه فان اسرائيل تعتقد أن هذه المعاهدة لا تحقق الوضع الذى تريده لنفسها ‥ وهناك جانب من العقلية الاسرائيلية عبر عنه رئيس دولة اسرائيل فى خطابه الذى ألقاه فى بير سبع أمام الرئيس السادات عندما قال أن اسرائيل تعتبر أنها تنازلت عن سيناء لمصر ‥ أى أن اسرائيل لم تعد الحق الى أصحابه ولكنها تنازلت عن حقها للغريب ‥ والاحساس بالتنازل لا يمكن أن يهدأ أبدا انما يبقى دائما عاملا لمحاولة استرداد ما تنازلت عنه الدولة ‥ » ٠

وكاتبنا يؤكد أن اسرائيل فى مفاوضات الحكم الذاتى تعود الى كل الاتجاه الصهيونى فى كامل نواحيه وقد أثارت فى هذه المفاوضات عنصرين :

العنصر الأول ـ تحديد موقف أمريكا بحيث لا تكون شريكا كاملا انما هى مجرد صديق يبدى الرأى ٠

العنصر الثانى ـ الاعتماد فى المناقشات على الدعاوى التاريخية التى تنسب الأرض الى ملكية اسرائيل ٠

وهذان العنصران اللذان يسيطران على العقلية الاسرائيلية لا يهددان الضفة الغربية وقطاع غزة فحسب ولكنهما أيضا يهددان مصير المعاهدة المصرية الاسرائيلية ‥ وقد قامت المعاهدة على أساس المشاركة الكاملة لأمريكا فى مسئولية تحقيق هذه المعاهدة والاستمرار

بها ·· وبمعنى أكثر صراحة قامت هذه المعاهدة تحت حماية أمريكا ·· فاذا ألغت اسرائيل مشاركة أمريكا في المسئولية ·· فأى قوة يمكن أن تفرض احترام هذه المعاهدة والاستمرار بها فوق القوة الذاتية لكل من مصر واسرائيل ·· ثم ان هذه المعاهدة قامت على أساس قرار مجلس الأمن ٢٤٢ الذى يعتبر الأرض التى استولت عليها اسرائيل أرضا معتديا عليها ·· أرضا اغتصبتها قوات اسرائيل ·· أى أن قرار مجلس الأمن لا يعترف بادعاءات اسرائيل التاريخية التى تعتبر الأرض ملكا لها من النيل الى الفرات ·· فاذا عادت اسرائيل وتمسكت بادعاءاتها التاريخية ·· ثم استطاعت أن تطبق هذه الادعاءات على الضفة الغربية وقطاع غزة ·· فمن يضمن لنا ألا تعود اسرائيل وتمد هذه الادعاءات فوق سيناء رغم المعاهدة ·· معاهدة السلام !!

وأستاذنا يرى أن أضعف ما فى اتفاقيتى كامب دافيد انهما يفترضان حسن النية فى كلا الطرفين ولهذا فهما تتركان مجالات واسعة بلا حل اعتمادا على أن كل شىء يمكن أن ينتهى الى حل ما دامت النية الحسنة متوفرة وقد شبههما ببحيرتين تعوم فوقهما الكلمات دون أن نرى ما تحتهما ··

يقول الأستاذ احسان فى كتابه خواطر سياسية تحت عنوان **« السلام لن يكون أبدا أكثر من مرحلة » :**

« ·· ونيات اسرائيل التى كشفت عنها هى أن عملية السلام بالنسبة لها هى عملية مرحلية يجب أن تقتصر على تنازلات ضيقة فى مجالات محدودة · ولهذا كان كل ما قدمته حتى وافقت عليه مصر يعبر عن مرحلية أهدافها ·· أى انها ترسم لمرحلة قد تستمر عشر سنوات أو عشرين سنة ثم تنتهى ··

ولهذا فهو يرى أن ما وصلت اليه مصر هو مرحلة من مراحل السلام ·· مجرد مرحلة ··

وفى مقال له بجريدة الشرق الأوسط نجده يعقد مقارنة بين ثورة ١٩١٩ وحرب أكتوبر كأسلوب للتعامل مع الدول المصابة بمرض العظمة فان ثورة ١٩١٩ لم تكن كافية لشفاء المريض بل ظلت ثورة مستمرة الى أن تحقق الجلاء مع تعدد صور استمرارها وكذلك حرب أكتوبر ·· يجب أن تبقى حربا مستمرة الى أن يتحقق الجلاء ·· مع تعدد صور استمرارها ··

وأستاذنا ـ كمفكر ثائر تنطلق آراؤه دائما من المبادىء التى يؤمن بها ـ عاش طوال الاحتلال الأجنبى مع أنصار جناح الرفض على اعتبار أن هناك جناحين ·· جناح يؤمن بأن يحصل على كل شىء أو لا شىء ·· وجناح يؤمن بأن شيئا خير من لا شىء ·· وان التقدم خطوة خطوة أجدى من الوقوف بلا خطوات ·· وهو الجناح الذى يؤمن بالمعاهدات حتى لو كانت معاهدات ناقصة لأنه يؤمن بأن المعاهدة تفتح مجالا جديدا أوسع للحركة الوطنية بحيث تستطيع أن تتطور بهذه المعاهدة الى أن تستكمل كل الحقوق الوطنية ·· وكل جناح منهما يكمل الآخر ·· جناح الرفض وجناح التطور ·· بحيث تبقى الحركة الوطنية دائما مستمرة يدفعها الرفض ويتقدم بها التطور ·· فلا تتجمد ولا تستسلم لوضع ناقص ··

يقول الأستاذ احسان :

« على الرغم من أننى لا أثق كثيرا فى اجتماعات مؤتمرات القمة ولا أنتظر الكثير من نتائجها ·· الا أننى كنت أتمنى أن يجتمع مؤتمر قمة عربى فى أيام المفاوضات بين مصر واسرائيل لأن وحدة الموقف العربى على أى مستوى تعتبر عنصرا قويا يمكن أن تعتمد عليه مصر فى مفاوضتها مع اسرائيل ومع أمريكا ·· حتى لو كانت هذه الوحدة تمثل الرفض فان الرفض هنا يمثل قوة للمفاوض كالتأييد » ··

واسرائيل ترفض وضع المعاهدة بينها وبين مصر فى مستوى بقية المعاهدات التى ترتبط بها كلتا الدولتين وهذا الرفض يحلله أستاذنا على أنه اصرار من جانبها على أن تفرض شروط المنتصر ·· فهى تفكر بعقلية القوة الأعظم وهى العقلية التى تستمد منطقها من أنها عقلية القوة التى لا تزال تحتل الأرض العربية وأن القوة الوحيدة التى تعترف بها اسرائيل هى قوة أمريكا كدولة عظمى وعلى هذا الأساس فان اسرائيل تفكر وتتصرف على انها تفاوض أمريكا لا مصر وكل ما تقبله أو ترفضه هو نتيجة لموقف أمريكا لا نتيجة لموقف مصر ·· وهى بهذه العقلية المغرورة لا تريد المعاهدة مع مصر لتعيش السلام ولكنها تريد هذه المعاهدة لتصبح بها أكثر قوة ولترتفع بها على سلم التوازن العسكرى ·

يقول الأستاذ احسان فى كتابه خواطر سياسية :

« اذا راجعنا بنود اتفاقية السلام بين مصر واسرائيل كما هى فاننا نجد أنها بكل بنودها لا يمكن أن تكون أكثر من اتفاقية هدنة ·· واذا تعمدنا أن نجد فارقا بين الهدنة التى ستعقب الاتفاقية والهدنة القائمة

حاليا فيمكن أن نقول اننا كنا فى هدنة مسلحة وأصبحنا فى هدنة غير مسلحة ٠٠ انما هى بحكم المنطق القانونى والدولى لا يمكن أن تزيد على اتفاقية هدنة ٠٠ والواقع أن اسرائيل تؤمن بأن السلام لا يمكن أن يحقق لها الأمن وانها لكى تضمن أمنها يجب أن تعيش دائما فى حالة حرب وحتى تبقى حالة الحرب فهى قد تقبل الهدنة ولا تقبل السلام ٠٠ وكل الشروط التى تضعها هى شروط الهدنة لا شروط السلام ٠٠

وهذا ما يجب أن نعترف به ٠٠ وأشرف لنا أن نعيش فى هدنة واقعية من أن نعيش فى سلام كاذب » ٠٠

وهو يرى أن كل ما استطاعت هذه المعاهدة أن تصل اليه هو حل منفرد وهو ما تتمسك به اسرائيل لأنه يوازى انتصارا عسكريا أبعد من انتصارها عام ١٩٦٧ ٠

ولذلك فأستاذنا يرى برؤية المفكر السياسى الواعى الدارس لأبعاد المشكلة كلها من زواياها المختلفة أن السلام لن يكون أبدا أكثر من مرحلة ٠٠ فهو يرى أن لاسرائيل مطالب كثيرة ٠٠ بعضها يمكن تأجيلها الى مرحلة أخرى٠٠وهى مطالب أقرب الى الأحلام٠٠كتحقيق حلم اسرائيل الكبرى الذى يمتد من النيل الى الفرات وهو حلم لاينكره أحد فى اسرائيل ٠٠ ولكن الذى لا يمكن تأجيل التنازل عنه هو الحلم الذى أصبح واقعا ٠٠ الحلم بأن تكون حدود اسرائيل هى نهر الأردن وأن تكون القدس هى العاصمة !!

كتب الأستاذ احسان فى جريدة الشرق الأوسط يوم ١٩٧٩/٥/٨ تحت عنوان « **أول ما يهدد المعاهدة بين مصر واسرائيل** » يقول :

« هناك موضوع أثارته اسرائيل ضد مصر ولم ينتبه اليه الكثيرون ولم يحاولوا أن يصلوا الى ما وراءه ولا الى أعماقه والموضوع هو تسليح مصر ٠٠ أدلى مناحم بيجن بتصريح علنى قال فيه أنه لا يوافق على أن تقوم الولايات المتحدة بتزويد مصر بالسلاح ٠٠ لأن مصر لم تعد فى حاجة الى سلاح !! ٠٠ وأن مصر لم تكن فى حالة حرب الا مع اسرائيل وبما أن معاهدة السلام قد وقعت ولم تعد مصر فى حالة حرب وليس لها أعداء تحاربهم فهى ليست فى حاجة الى سلاح حرب ـ كما يقول بيجين ـ بعكس حالة اسرائيل التى لا تزال فى حاجة الى سلاح لأنها لا تزال فى حالة حرب مع باقى الدول العربية » ٠٠

وخطورة هذا المنطق كما يقول الأستاذ احسان ليس فيما يمكن أن ينتهى اليه من مدى انقياد السياسة الأمريكية اليه ولكن خطورته فى تحديد موقف اسرائيل من قضية السلام ·· انه منطق يؤكد أن العقلية الاسرائيلية تفترض أنه لا يكفى لضمان السلام مع مصر والحفاظ على أمنها أن يفصل بينها وبين أى قوات مصرية منطقة منزوعة السلاح توازى مساحتها ما يزيد على مساحة ثلاثة أرباع أرض سيناء ولكنها تريد حتى تضمن السلام والأمن أن تكون مصر كلها دولة منزوعة السلاح ·· وهذا هو الخطر الذى يهدد مصر ·

٣٣ ـ احسان مفكرا مستقلا

سألت أستاذنا عن الفرق بين الرئيس الراحل أنور السادات والرئيس حسني مبارك ..

فقال :

« « هو الفرق بين جيل وجيل فانا مقتنع ـ وهو مجرد اقتناع نظرى ـ بأنه مهما تقاربت الأجيال فان هناك فارقا فى شخصية كل جيل عن الجيل الذى سبقه وهو الشخصية التى يقوم عليها طابع الحكم ..

والحكم لا يقوم على محرد المبادىء السياسية والاقتصادية والاجتماعية العامة .. ولا على مجرد الخطوط الرئيسية التى تقوم عليها هذه المبادىء.. ولكن الحكم يكتسب شخصيته بأسلوب تحقيق هذه المبادىء وتطبيق هذه الخطوط .. وهذا الأسلوب هو ما يختلف فيه حاكم عن حاكم آخر .. ويختلف فيه جيل عن جيس أى قد يتفق الجيل الحاكم من الجيل الذى سبقه فى المبادىء وفى الخطوط ولكنه يختلف معه فى الأسلوب ..

وهذا هو الفارق الكبير بين الجيل الذى يمثله جمال عبد الناصر وأنور السادات والجيل الذى يحكم اليوم ويمثله حسنى مبارك..فالجيل السابق لم يكن يؤمن بمبادىء ولا بخطوط الجيل الذي سبقه .. فكان جيل ثورة أما الجيل الحالى .. الجيل الحاكم .. فهو جيل متجاوب مع الجيل الذى سبقه فى المبادىء والأهداف والخطوط أى انه جيل استمرار وتقدم ..

والأستاذ احسان يرى أن طبيعة الجيل الذى قام بثورة ٢٣ يوليو تميز بالعنف الوطنى والسياسى مع تدرج مستوى العنف من نشر آراء الرفض فى الصحف التى كانت حرة أيامها الى تكوين التنظيمات السرية وتدبير المظاهرات الرافضة ، الى حد القيام بعمليات الاغتيال ٠٠ ولأنه جيل رافض لكل ما هو قائم من الاحتلال البريطانى والملكية وتعدد الأحزاب والاقطاع الزراعى ، فقد بدأت الثورة بالهدف المطلق ليس هدم المبادىء والنظم فحسب بل وأيضا هدم كل الشخصيات التى كانت قائمة ٠٠ ثم انتقلت الثورة كأى ثورة من حالة هدم ما كان قائما الى حالة حماية نفسها وهى لا تزال فى بدايتها فاستمر الهدم والعنف حتى شمل التنظيمات الثورية والتى اشتركت فى الثورة ٠٠

كتب الأستاذ احسان فى جريدة الشرق الأوسط يوم ٢٠/١٠/٨١ يقول :

« ان الشخصية الثورية ميزت أفراد الجيل السابق بالقدرة على المغامرة ٠٠ مغامرات لا يمكن أن يقدم عليها أى مسئول سياسى عادى ٠٠ فتأميم قناة السويس كان مغامرة ٠٠ والانتقال من الغرب الأمريكى الى الشرق السوفيتى كان مغامرة ٠٠ وحرب اليمن كانت مغامرة ٠٠ والانقلاب بالاقتصاد المصرى كان مغامرة و ٠٠٠ و ٠٠٠ كلها مغامرات تقوم على الاندفاع الثورى المنطلق من شخصية ثورية تسعى الى تحقيق أهداف ثورية ٠٠ وكان هذا ما يعيشه جيل عبد الناصر ثم ما عاشه نفس الجيل مع أنور السادات ٠٠ ورغم اختلاف الأسلوب بين عبد الناصر والسادات الا أن الشخصية الثورية كانت واحدة ٠٠

أما الجيل الحاكم الجديد فى رأى كاتبنا هو الجيل الذى استكمل بناء شخصيته السياسية والوطنية بعد معاصرته للثورة وهو فى أوائل العشرينات من عمره وهذا ما يجعله متميزا بعناصر متعددة من عناصر تكوين الشخصية ٠٠ انه أكثر احساسا بمجتمع مابعد الثورة كمجتمع واقعى مستقر ومستمر أى أنه لم يعد يقدر هذا المجتمع كمجتمع ثورى ولكنه مجتمع طبيعى تقليدى كالمجتمع فى بريطانيا أو فرنسا أو أمريكا أو روسيا ٠٠ أو ٠٠ أو ٠٠ وبالتالى فهو لا يفكر فى النظم السياسية التى كانت قائمة قبل الثورة ولا يخافها ولا يحسب حسابها لأنه لم يعش هذه النظم وكل فكره السياسى يبدأ بعد الثورة ٠٠

يقول أستاذنا احسان عبد القدوس :

« لا شك أن الجيل الحاكم الجديد يؤمن ايمانا جازما بالمجتمع السياسى الذى أعقب ثورة ٢٣ يوليو وبالنظم السياسية التى تطورت داخل هـذا المجتمع لأنه المجتمع والنظم التى نما فيها واستكمل شخصيته ولكنه فى نفس الوقت ولأنه لم يكن مسئولا مسئولية كاملة عن هذا المجتمع وهذه النظم فلا شك أنه كان يحس بالأخطاء وأوجه النقص بل وبما فى مظاهر الحكم من شوائب مما قد يدفعه الى محاولة تصحيح هذه الأخطاء وتغطية هـذا النقص ، والتخلص من هذه الشوائب » ..

★ ★ ★

وبعــد ....

بعد هذه الرحلة الطويلة التى قضيناها نتجول فى فكر كاتبنا .. الا ترى معى أن الأستاذ احسان عبد القدوس يتمتع باستقلال فكرى .. وهو غير آسف على هذا الاستقلال الفكرى .. رغم كل ما عاناه ـ سواء قبل الثورة أو بعدها ـ لأن هذه طبيعته .. والانسان لا يتخلى عن طبيعته اذا كان وفيا لها حقـا .. واذا كان شـاعرا بالفعل أنها جـزء من أصالته وشخصيته ..

يقول أستاذنا احسان :

« فى سبيل تحقيق استقلالى الفكرى والحفاظ عليه ، رفضت طوال عمرى الانتماء الى أى حزب سياسى أو الى أى جماعة سياسية ، بل كنت أرفض الارتباط بصداقة شخصية ان أخذت لونا سياسيا .. جمـال عبد الناصر كان صديقى قبل الثورة واختلفت معه رغم صداقتنا وظلت الصداقة رغم الخلاف فى الرأى .. حرية الرأى هى الركيزة الأساسية التى تقوم عليها شخصيتى الأساسية .. وحرية الرأى فى تصورى فوق المعارضة وفوق التأييد .. فأنا أعتبر أننى حر الى درجة أننى قد أؤيد ثم أعارض ثم أؤيد لأن الرأى ينطلق من حالة معينة ومن وضع معين .. فقد أؤيد الحاكم فى ناحية وأعارضه فى ناحية أخرى .. فعلى الرغم من اعجابى الكامل بالرئيس السادات اعجابا نجم عن تجربة متصلة لأكثر من ثلاثين عاما وربطت بيننا صداقة رائعة امتدت طوال هذه المدة دون أن تخفت أبدا رغم أننا كنا قد تباعدنا فى السنوات الأخيرة..ولكنها لم تكن المرة الأولى التى نتباعد فيها .. وهو دائما تباعد تفرضـه ظروف سياسية .. وكانت صداقتنا فوق السياسية وأقوى مما تفرضه السياسة

حتى ونحن متباعدون .. ورغم كل ذلك فقد بقيت فى عهـده محتفظا باستقلالى الفكرى ولم أتحـول أنا الى تابع يعبر عنه وينطق باسمه .. مسئولياته ليست مسئوليتى .. اننا متفقون فى الرأى ولكننى كنت أعبر عما لا يستطيع أنور السادات كمسئول من تحقيقه .. ولكننى واثق انه كان معى ، لأن ما لم يتحقق اليوم يجب أن نصر عليه حتى يتحقق غـدا » ..

فالرئيس الراحل أنور السادات والأستاذ احسان عبد القدوس كانا يسعيان لهدف واحد يجمعهما ، الا أنهما يختلفان فى مسئولية كل منهما لتحقيق هـذا الهـدف .. الرئيس السـادات مسئول مسئولية تنفيذية .. أى القيـام عمليـا بكل ما يخطر على باله لتحقيق مطالب الثـورة .. والأستاذ احسـان كأى كاتب تنحصر مسئوليته فى نشر الدعوى ..أى نشر الرأى ..والمسئول التنفيذى من الطبيعى أن يرتبط بالواقع ويخطو خطواته داخل هـذا الواقع سواء لهـدمه أو لاستكمال بنائه .. أما صاحب الرأى فقد يتجاهل الواقع ولا يحسب حسابه لأنه ليس مسئولا عن تنفيذ رأيه ، بل قد يكون رأيا يعبر به عن مجرد أحلام تنطلق من المبادىء التى يؤمن بها .. وخير دليل على صحة كلامنا ما قاله الرئيس السادات فى حـديث له بمجلة الحوادث اللبنـانية عقب توليه الرئاسة « الانسان الوحيد الذى فكره السياسى يلتقى مع فكرى السياسى هو احسان عبد القدوس » ..

ويختتم الأستاذ احسان عبد القدوس كلامه معى قائلا :

« اسمعى يا ابنتى .. اننى أشعر بعد موت أنور السادات وكان آخر من تحمل مسئولية حكم مصر من بين جيلنا .. الجيل الذى مهد لثورة ٢٣ يوليو وقام واستمر بها حتى اليوم .. أحس كأنى أنا أيضا قد انتهت مسئوليتى ككاتب .. كل جيلنا قد انتهت مسئوليته وتحملها عنه الجيل التـالى الذى كان السادات يسميه جيـل أكتوبر .. جيلك يا فتاتى .. فقد آن الأوان أن أستريح » ..

.. ولكن كيف يستريح والثورة ما زالت مستمرة ؟ .. ان دوره لم ينته بعد .. والقلم الحر لا يستريح أبدا .. فهو فى صراع دائم مع الزمن ومع تقلبات الحيـاة التى لا تنتهى .. ومما لا شك فيـه أن دور أستاذنا احسان عبد القدوس مع جيل أكتوبر لا يقل أهمية عن دوره مع جيل ثورة يوليو .. فهو كاتب متحرر من قيود التبعية .. وما أحوجنا

الى هذا الآن ٠٠فهو يكتب ما يراه صوابا وما يؤمن به ٠٠وتحن أشد ماتكون حاجة لهذه الآراء ٠٠

فالقلم المعطاء الذى يغذى وجدان الناس ويعلم أقلام الشباب لا يمكن أن ينتهي دوره أبدا ٠٠

والقلم المتوهج الذى فجر عشرات القضايا لا يمكن أن ينطفىء أبدا ٠٠

والقلم الأبى الذى لا يخشى أحدا غير خالقه لا يمكن أن ينكسر أبدا ٠٠

ولذلك فان قلم احسان عبد القدوس أقوى من أن تقصفه السنون ٠٠

فهـــرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٢/٣٠١٤

ISBN ٩٧٧ ـ ١ ـ ٢٨ ـ ٤



إحسان عبد القدوس صاحب قلم يثرى الوجدان وينير الطريق أمام عقول شابة متحررة . كاتب قصصى واكبت ابداعاته تحولات المجتمع وتغيراته ، فأبان عن عيوب اجتماعية فى داخل تركيبة المجتمع ، وهو كاتب سياسى فجر كثيراً من القضايا السياسية ، وحمل عبء نتائجها فى جسارة فارس لم تستطع السنون أن تقصف قلمه .

وفى هذا الكتاب تفيض ذاكرة إحسان بالزمان الذى عاشه وصنع به تاريخه ، وخلق قضاياه وفنه . وإذا كان الجانب الابداعى عنده واضحا لاينكر ، فإن حسّه السياسى صاحب فى حزم والتزام قضايا الفكر الوطنى . وغلّب ــ فى كل ما أثاره ــ الأفكار السياسية التى تحفظ للأمة وحدتها وكيانها ــ خاصة فيما يتصل بمراحل التحول الخطيرة . «فهناك لحظات فى حياة أى شعب تحتم على أى فرد متوافق مع مجتمعه أو مع الأغلبية الساحقة فى هذا المجتمع أن ينسى نفسه وأن تذوب شخصيته الفردية فى الشخصية الكلية لمجتمعه ، فإذا به ينسى لغته الخاصة وعواطفه الخاصة ، لكى يتحرك بإيمان وصدق كاملين مع حركة الجماهير كلها .. »

وإذا كان هذا رأيه عام ١٩٥١ ، حيث كان يموج المجتمع بحركات سياسية متعددة . فلا يزال رأيه موصولا ، ولا يزال يحمل قدرا كثيراً من الأهمية وكأنما يستقرئ زماننا الحاضر .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب